سردية الاعتقال والإخفاء القسري
في سجون النظام السوري

مـركـز أمـل
للمناصرة والتعافي

AMAL
Healing & Advocacy Center

سردية الاعتقال والإخفاء القسري
في سجون النظام السوري

مركز أمل للمناصرة والتعافي

عنوان الكتاب

سردية الاعتقال والاخفاء القسري في سجون النظام السوري

مركز أمل للمناصرة والتعافي

إعداد وتنفيذ: أمل السلامات

تصميم الغلاف: أحمد فيصل بياع

الطبعة الاولى: 2023

AMAL
Healing & Advocacy Center

سرديـةُ الاعتقـالِ والإخـفـاءِ القسـرِيِّ
فـي سجـونِ النظـامِ السـوريِّ بعـدَ عـامِ 2011
حكـايـاتٌ تـرويْهـا الناجيـاتُ
مـنَ الاعتقـالِ وقصـصٌ يُخْبرُهـا أهـالـي المعتقليـنَ

أَهـدَوْهـا إلـى:
مـنْ لا صـوتَ لَهـم..
المعتقلاتُ/ينَ والمَخْفِيَّاتُ/ين والمفقوداتُ/ينَ قسرياً

وإلـى:
مَن قضَوا نحبَهم في السُّجونِ والزنازين

عن مركز امل للمناصرة والتعافي

مركز امل للمناصرة والتعافي هو منظمة تقودها نساء مختصات في مجال تمكين المرأة ورفع قدراتها، تهدف إلى خلق مجتمع آمن للنساء يتمتعن فيه بحقوقهن كاملة بدون تمييز أو عنف.تسعى المنظمة الى تحقيق المساواة ومنع العنف ضد النساء سواء داخل الأسرة او ضمن المجتمع ككل من خلال ما يلي:

- المساهمة في إحداث تغيير في مكانة المرأة في المجتمع السوري ودعمها بزيادة وعيها بحقوقها وفرصها وذلك من خلال حملات المناصرة و جلسات رفع الوعي واللقاءات مع صناع القرار والأشخاص المفتاحيين والمؤثرين سواء في مجتمع اللجوء أو الداخل السوري.

- تقديم خدمات الدعم النفسي الاجتماعي من خلال تأمين مساحات آمنة للنساء والفتيات والأطفال للقيام بأنشطة اجتماعية تخفف من الضغوطات الحياتية بسبب اللجوء.

- تقديم خدمات متخصصة في المجال النفسي والقانوني للنساء المتضررات من العنف بكل أشكاله. وخاصة في أوقات الحروب والأزمات وبشكل خاص الناجيات من الاعتقال والعنف الجنسي وأهالي ضحايا الاختفاء القسري وضحايا انتهاكات حقوق الإنسان بكل أشكالها.

- القيام بأنشطة بناء قدرات وتمكين النساء بكل المستويات سواء كان في المجال السياسي والحقوقي والإداري أو المهني لتكون قادرة على المشاركة الحقيقية بالشأن العام أو على مستوى الأسرة.

إن الهدف من تأسيس المنظمة هو المساهمة في بناء مجتمع سوري قائم على العدالة والمساواة في الحقوق لكل الأفراد وخاصة النساء والفئات المهمشة بما فيهم ذوي الإعاقة والمتضررين/ات من الانتهاكات، والاستجابة بشكل خاص لاحتياجاتهم المتعلقة بالدعم النفسي والاجتماعي والمشورة القانونية.

تأسست المنظمة عام 2014 في مدينة أنطاكيا التركية الواقعة بالقرب من الحدود السورية التركية والتي تستضيف عددًا كبيرًا من اللاجئين من مناطق مختلفة في سوريا.

مقدمة:

الاعتقالُ والإخفاءُ القسريُّ يعدُّ واحداً من أكثرِ الانتهاكاتِ الممنهجةِ ممارسةً من قِبَلِ الأنظمةِ الدكتاتوريةِ والشموليةِ ضِدَّ معارضيها، فهذهِ الأنظمةُ لا تعرفُ لغةَ الحوارِ ولا تقبلُ بوجودِ أجسامٍ أو مؤسساتٍ أو شخصياتٍ معارضةٍ تُهدِّدُ وجودَها في سُدةِ الحكمِ أو تحاولُ إقامةَ نظامٍ ديموقراطيٍّ وتداولٍ للسلطةِ، وتقْدِمُ هذهِ الأنظمةُ على تطبيقِ عقوبةِ الحبسِ والاعتقالِ التعسفيِّ ضدَّ معارضيها ضاربةً بعَرضِ الحائطِ كلَّ ما تنصُّ عليهِ شِرعة حقوقِ الإنسان1 المعتبرةِ الاعتقالَ والإخفاءَ القسريَّ جريمةً وانتهاكاً ضدَّ الإنسانيةِ.

وأبعدَ من ذلك لا تعاقبُ تلك الأنظمةُ معارضيها من خلالِ حبسهم واعتقالهم فقط، بل قد يَطالُ الاعتقالُ عائلاتِهم أو أقاربِهم أو معارفِهم أو من لهم صلاتٌ وعلاقاتٌ معهم، وإن لم تفعل فهي تحيطهم بدائرةٍ منَ التهديداتِ والملاحقاتِ والتضييق عليهم، الأمرُ الذي يرتِّب على عائلاتِ وأهالي المفقوداتِ/ينَ والمعتقلاتِ/ينَ قسرياً آثاراً اجتماعيةً واقتصاديةً وسياسيةً وقانونيةً ونفسيةً صعبةً.

بحسَب تعريفِ الأنظمةِ الشمولية والدكتاتورية2 فإنَّ النظامَ السوريَّ خلالَ حكمِ الأسدِ الأبِ والابنِ يُعدُّ نظاماً دكتاتورياً وشمولياً، وقد أثبتَ عملياً عَدمَ تقبُّله للرأي الآخرِ أو المعارضِ لسياستِهِ فترةَ حكمِ الأسدِ الأبِ ومن بعدهِ الأسدِ الابنِ.

ومع بدء الحَراكِ الثوريِّ في سوريا ربيعَ 2011، كانت أداةُ الاعتقالِ والإخفاءِ القسريِّ أشدَّ الأدواتِ استخداماً في قمعِ الثائراتِ/ينَ السوريات/يينَ، أصبحَ ملفُّ المعتقلات/ين والمفقودات/ين في سوريا اليومَ بعدَ مُضِيِّ أكثرَ من عقدٍ على الحَراك الثوري في سوريا من أكثرِ الملفاتِ إشكاليةً وعقبةً في وجهِ الحلِّ السياسيِّ في سوريا، إذ يوجد / 135253 / مختفٍ قسريٍّ لدى قوات النظام منذ عام 2011 ولغاية عام 2022 بحسب **تقارير3** الشبكةِ السوريةِ لحقوقِ الإنسانِ ؛ لا يعلمُ أهاليهم وذويهم عنهم أيَّ شيءٍ، وعلى الرغم من حَمَلات المناصرةِ والمطالبةِ بالكشفِ عن مصيرهِم إلا أنَّ النظامَ السوريَّ لم يستجبْ لها.

لم تتغير منهجيةُ الاعتقالِ والإخفاءِ القسريِّ في عهدِ الأسدِ الابنِ عنها في عهدِ الأسدِ الأبِ، بل كانت أكثرُ شراسةً من ناحيةِ الاعتقالِ وبشكلٍ تعسفيٍ لِعشراتِ الآلاف من المعارضاتِ/ينَ لحُكمهِ و زجهم في سجونٍ ومعتقلاتٍ دونَ الإفصاحِ عن أماكنهم، وتعذيبهم والتنكيل بهم وعدم محاكمتهم بصورةٍ علنيةٍ وحتى قتلهم في السجونِ ودفنِهم في **مقابرَ جماعيةٍ سريةٍ4**.

وكانت ممارسةُ جريمةِ الاعتقالِ والإخفاءِ القسريِّ شديدةَ الوقعِ على أهالي المفقودات/ين والمعتقلات/ين، فقد تمَّتْ ملاحقتُهم وتهديدُهم والتضييقِ عليهم، وترتَّب على هؤلاءِ الأهالي آثاراً وظروفاً اقتصاديةً واجتماعيةً وحياتيةً وقانونيةً صعبةً، ولا سِيما النساءِ منهم، إذ تعرض بعضُهُنَّ للتهديدِ والملاحقةِ من قِبَلِ أجهزةِ النظامِ الأمنيةِ وأصبحتْ عشراتُ الآلافِ من زوجاتِ المعتقلينَ معيلاتٍ لأطفالِهِنَّ ولأسرهن، ورَزَحْنَ تحتَ ظروفٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ وقانونيةٍ قاسيةٍ.

أصبحَ الاعتقالُ في سوريا وكأنهُ حدثٌ طبيعيٌّ ومنطقيٌّ لأيِّ معارضةٍ ضدَّ حكمِ الأسدِ الأب والابنِ، إذ عايشته/ـه السوريات/يين على مدارِ ما يقاربُ نصفَ قرنٍ وكأنَّ السوريات/يين يحفظون سرديته عن ظهر قلب/ هن/م يعلمن/ون شدة تلك الأداة.

هذه الأداةُ التي ظهرَ تنكيلُها بشكلٍ واضحٍ وفجٍ بعدَ عامِ 2011، حيثُ طالت مئاتَ الآلاف من السوريات/يين، وأدخلت أهالي المعتقلات/ين في دواماتٍ منَ البحثِ والضياعِ والابتزازاتِ الماديةِ وتركتْ عليهم ضغوطاً اقتصاديةً واضطراباتٍ نفسيةٍ، وبات الأهالي اليومَ وبعدَ مرور 12 عامٍ على الحراك الثوري في سوريا يشعرونَ باليأسِ وفقدانِ الأملِ من معرفةِ مصيرِ أبنائِهم وذويهم المَخفِيين والمعتقلينَ قسرياً.

تقول أليس مفرج في ورقةٍ **بحثيةٍ5** أنجزَتها تحتَ عنوانِ - المحاسبةُ للجميع والعدالةُ للجميع - رقةٌ بحثيةٌ خلفيةٌ من كُتيِّبِ العدالةِ الانتقاليةِ في سوريا - حلولاً عمليةً" إذ تقول: **"لطالما استخدمَ نظامُ الأسدِ في سوريا مملكةَ الخوفِ والرعبِ الاعتقالِ وتغييبِ الصوتِ المعارضِ وإخفائِهِ وتعذيبِهِ كآليةٍ لفرضِ هيمنتِهِ الأمنيةِ من سبعيناتِ القرن الماضي، وتفاقمت حجمُ الانتهاكاتِ الجسيمةِ في بدايةِ الحَراك الشعبيِّ كآليةٍ أخرى لقمعِ الحراك بمنهجيةٍ واسعةِ النطاق، تم توصيفُها على أنها جرائمٌ ضِدَّ الإنسانية، وجرائمُ حربٍ ولقد كان لأجهزةِ المخابراتِ الأمنيةِ ذلكَ الدورَ القياديَّ في تعزيزِ وسائلِ القمعِ والعنفِ السياسيِّ، إلى جانبِ الجيشِ الذي أتمَّ إدارة الصراع من خلالهم على السلطة".**

سرديةُ الاعتقالِ والإخفاء القسري في سوريا بعدَ عام 2011

"كانت أسرتي - ولا سيما والديْ- تطبق المَثَل القائِلَ " الحيطان إلها آذان" إذا كانَ الموضوعُ يتعلقُ بالسياسةِ عموماً وبقصةِ اعتقالِ والدي خصوصاً، اقتبسُ من قولِ نور - ناجيةٌ منَ الاعتقالِ في عهدِ الأسدِ الابنِ والدُها كان معتقلاً سابقاً في عهدِ الأسد الأبِ.

" الحيطان إلها أذان" وهي عبارةٌ شاعث بين مختلفِ أطيافِ الشعبِ السوريِّ خلالَ عهدِ الأسد الأب والابنِ، وتدُلُّ على قناعةِ السوريـات/ين بأَنَّ أجهزةَ النظامِ الأمنيةِ قادرةٌ على اختراقِ أحاديثِهم وسماعِها حتى في بيوتِهم، خصوصاً تلكَ السياسيةَ أو المعارضةَ منها للحكمِ. لم تأتِ هذهِ القناعةُ عن عبثٍ، إذ يعلمُ الشعبُ السوريُّ بأنَّ النظامَ حَكَمَ بقبضةٍ أمنيـةٍ شـديدة، وحـرَّمَ أيَّ نشـاطٍ أو رأيٍ سياسـيٍ مخالـفٍ لـهُ، وتـ/يـدركُ السوريـ ات/ين بأنَّ مصيرَهم هو الاعتقالُ والتعذيبُ والإخفاءُ القسريُّ إنْ هم مارسوا أو حتى اتَّخذوا موقفاً أو رأياً معارضاً للنظامِ الحاكمِ، وتشعرُ بأنَّ السوريـات/ين وكأنهم يُوَرِّثون بناتِهم/أبنائَهم فكرةَ عدمِ الخوضِ في الأحاديثِ السّياسيّةِ حتى معَ أكثرِ الناسِ المقربينَ لهم.

بعد عام 2011 تَجرَّأ السوريـات/ين على المجاهرة برفع أصواتِهم المعارضةِ لحكمِ الأسد الابنِ حالمينَ متفائلينَ بتغييرِ نظامِ الحكمِ في سوريا، وما حصلَ هو قيامُ النظامِ بتفعيلِ أداةِ الاعتقالِ إلى أقصى درجاتِها، حتى أصبح ملفُّ المعتقلات/ين في سوريا اليومَ ملفاً إشكالياً

يتمُ تداوُلُهُ في أروِقةِ الأمم المتحدة، وورقةً يستخدمُها النظامُ لمصلحتِه .

لعلَّ أهاليَ المعتقلينَ والمخفيينَ قسرياً، هم أكثرُ الناسِ قُدرةً وموضوعيةً على روايةِ سرديَّةِ الاعتقالِ في سوريا بعد عامِ 2011، من خلال عذاباتِهم في بحثِهمُ المحمومِ عن ذويهم، وآلامِهم وعلى كافةِ الأصعدةِ التي يعيشونها حتى اليومِ وخيبةِ أملِهم في حلِّ ملفِّ المعتقلين، فمنهم من فقدَ الأملَ كُلياً في معرفةِ مصيرِ أحبَّتِهم وأبنائِهم وخاصةً بعد تطبيعِ الدُّولِ العربيةِ معَ نظامِ الأسدِ وقَبول عودتِه إلى الجامعةِ العربية، ما جعلَ الكشفَ عن مصيرِ المعتقلينَ لدى بعضِ الأهالي وكأنهُ حلمْ.

"نرجو إنه يكون في حل، ما في حل إلا بمحاكمةِ بشارَ الأسدِ. وضغطٍ دوليٍ قويٍ لإخراجِ جميعِ المعتقلينَ، وهذا شبهُ حُلُمٍ يعني نحلُمُ فيهِ هيك بعتقد يعني، لأنَّ العالمَ تواطئَ كلَّه مع بشار الأسد، وأخيراً تسويقُهُ وإرجاعُه إلى الجامعةِ العربيةِ، وإرجاعُ بعضِ العلاقاتِ الدِّبلوماسيَّةِ معَ هذا النظامِ يدل على أن العالمَ أدار ظهرهُ للشعبِ السوريِ وللمعتقلين"، تقولُ أم عبدو- والدة معتقل.

حتى نتمكنَ منَ الإحاطةِ بشيءٍ منَ الموضوعيةِ في سرديةِ الاعتقالِ في سوريا بعد عام 2011، تواصلْنا معَ عددٍ منْ أهالي المعتقلينَ كي نتعرفَ على أسبابِ الاخفاء والاعتقالِ القسريِّ والأماكنِ المحتملةِ

التـي يتواجـدُ فيهـا المخفييـن والمعتقليـنَ قسـرياً، وعلـى الآثـارِ الَّنفسـيةِ والاجتماعيـةِ والاقتصاديـةِ والقانونيـةِ علـى أهالـي المفقوديـنَ والمفقـوداتِ وعلـى الاحتيـالِ والابتـزازِ الماليِّ الـذي تعـرَّضَ لـهُ أهالـي المعتقليـن، ونُـدَوِّنَ رؤيـةَ أهالـي المعتقليـنَ للعدالـةِ ومحاسـبةِ مرتكبـي جرائمِ الاعتقالِ والإخفاءِ القسري. ما الدعم الذي يريده الأهالي وكيف يـرونَ الحـلَّ لقضيـةِ المعتقليـنَ ومـا هـي آليـاتُ المحاسـبةِ مـن وجهـةِ نظرهـم؟!

النساءُ في سرديةِ الاعتقالِ السوريةِ 2011

تحملتِ النساءُ السورياتُ العبءَ الأكبرَ في حالاتِ الاعتقالِ والإخفاءِ القسريّ، وكُنَّ أكثرَ تأثراً من ناحيةِ الضغوطِ الاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والنفسيةِ والقانونيةِ المترتبةِ على الاعتقالِ والإخفاءِ القسريّ. نسردُ تالياً بعضا من معاناةِ نساءِ المعتقلينَ والمخفيينَ قسراً:

- **أصبحَ الكثيرُ منهنَّ معيلاتٍ لأسرهِنَّ ويرزحْنَ تحتَ ظروفٍ اقتصاديةٍ قاسية:**

" زوجي كانَ ميسورَ الحالِ، وعشتُ بوجودهِ حياةً كريمةً، ولكن بعد اعتقالهِ وجدتُ نفسي مسؤولةً عن تربيةِ سِتَّةِ أولادٍ وحدي، فأهلُ زوجي انشغلوا بحياتِهم عني، وحتى عن أولادِه من زوجتِهِ السابقة. كان الحُزنُ يَفْطُرُ قلبي حينَ كنتُ أرى بناتي دون أبٍ، ويزدادُ ألمي حينَ لا أقدرُ على تلبيةِ احتياجاتِهم من لباسٍ أو مصاريفَ مدرسيةٍ وغيرِها، الأمرَ الذي دفعني لأفكرَ في العملِ لأكفِيَ نفسي وأولادي، ولا أقعدَ طالبةً الصدقة من أحد" إسراء -زوجة معتقل .

- **مجتمعٌ لا يرحمُ، وضغوطاتٌ اجتماعيةٌ:**

" خَطَبني رجلٌ ستينيٌّ متزوجٌ، ولكنَّه ميسورُ الحالِ، وتَعهدَ بأنه سيحققُ لي ولأطفالي بعضاً من الأمانِ المادي، وافقتُ بعدَ أنْ فكرتُ وترددتُ طويلاً، ولكنني لم أتوقَّع سيلَ الاتهاماتِ من بعضِ المحيطينَ حولي، واختلاقِهم لقصصٍ وإشاعاتٍ مزيفةٍ اذهلتني،

فبِتُّ أسمعُ منهم اتهاماتٍ تقولُ بأنني أنا منْ وضعتُ الأغنيةَ الثوريةَ على هاتفِ زوجي، ومنهم من قالَ أطفالي هم شركائِي في وضعِ الأغنية، هل تصدقين؟! أرهقنِي إيضاحِي لهم بأنَّ سببَ زواجِيَ المباشرِ هو وجودُ أمانٍ ماديٍّ لي ولأولادي، فيَردون عليَّ بأنني رفضْتُ الصّدقات، تَخيَّلي كيفَ يُفكِّرون؟!" أم ياسر - زوجة معتقل.

- تعرُّضهُنَّ للتهديدِ بالاعتقال:

"للأسف وقت إللي كنت أسأل عنو الأفرع الأمنية، يهددوني يقولون لي إذا بدك إياه فوتي لجوا يعني دوري عليه أنت بالأفرع. كثيراً ما تعرضت لهذا لأنه كنت أنا رح أعتقل كمان. لكن بالآخر قلت ابتعدت قليلاً، حتى إنه ع القليلة أكون بعيدة، وأقدر أظل أبحث عنه" أم معتقل.

- آثارٌ نفسيةٌ صعبةٌ:

"هلق يعني الآثارُ النفسيّةُ بسببِ الفقدِ يعني أنا كَأُمٍ بقَيتُ يمكن أكثر من لل2019، إذا بقلك ما بنام الليل وأنا هيك يعني قلقانة وبتسطح بالفرشة ما بحسن نام توتر، طول الوقت هيك يعني عندي انتظار يعني هيك حالة ترقب، كلما إجى حدا كلما انقصفنا بالطيران، كلما انقصفنا بالراجمات، وأنا خوفانة إنه أموت ويجي ابني ما يلاقينا" أم عبدو - أم معتقل.

السرديةُ والناجياتُ من الاعتقالِ

من ورقةِ أليس مفرج البحثيَّةِ:

" وردَ في تقريرِ اللَّجنةِ الدوليةِ المستقلة المعنَيَّة بسوريا بعام 2018 فقدتُ كرامتي، العنفُ الجنسيُّ والجِنسانِيُّ في الجمهوريةِ العربيةِ السورية. فقد تمَّ توثيقُ اغتصابِ النساءِ والفتياتِ في عشرينَ فرعٍ من فروعِ المخابراتِ السياسيةِ والعسكريةِ التابعةِ للحكومةِ. كما وَثَّقتِ الشبكة السوريةُ لحقوقِ الإنسانِ 8021 حادثةِ عنفٍ جنسيٍّ، استخدَمَها النظامُ بأسلوبٍ ممنهجٍ في المعتقلاتِ وعلى الحواجز، إضافةً إلى أن النساءَ تتعرضْنَ للاستهدافِ بطرقٍ عشوائيةٍ من قِبَلِ معظمِ أطرافِ النزاعِ، حيثُ يتمُّ استخدامُهُنَّ في مفاوضاتِ تبادلِ الأسرى. يُمثلُ توثيقُ الانتهاكاتِ والجرائمِ الدوليةِ في بلدٍ يعيشُ حالةَ الحربِ آليةً مهمةً ومليئةً بالتحدياتِ شديدةِ الخطورة للوصولِ إلى البياناتِ المتعلِّقة بالمعتقلـ ات/ين، وتحديداً توثيقُ هذهِ الجرائمِ بحقِ النساءِ بسببِ الخوفِ والوصمِ المجتمعيِّ".

وعليهِ فإنَّ السرديةَ ستبدو أكثرَ اكتمالاً ووضوحاً مع صوتِ الناجياتِ السوریاتِ من الاعتقالِ، بالإضافةِ إلى نقلنا ما حكتهُ لنا عددٌ من الناجياتِ عن ظروفِ اعتقالِهِنَّ، وما ترتبَ عليهِنَّ من ضغوطاتٍ اجتماعيةٍ واقتصادية، وما تَركه عليهن الاعتقالُ من آثارٍ نفسيةٍ صعبة. أَردْنا التركيزَ من خلالِ مقابلاتِنا مع الناجياتِ منَ الاعتقالِ على مسألة كيف ترى الناجيات العدالة لهن؟ كيفَ يفكرنَ أو يرغبْنَ

بمحاسبةِ المسؤولينَ عن عذاباتِهنَّ ومعاناتهنَّ، وذلك رغبة في أن تخرجَ الناجياتُ من عباءَةِ الضحيةِ ويصبحَ لهُنَّ ذلك الدورَ والمشاركةَ في عملياتِ المحاسبةِ والمساءلةِ والوصولِ إلى العدالة.

" كنتُ أشعرُ بارتياحٍ وأنا أستمعُ للاعترافِ بانتهاكاتِ النظامِ بحقِ الشعبِ السّوريِ داخلَ أروقةِ المحكمة، كانَ اعترافاً قضائياً بأن ما فعلهُ النظامُ وما يزالُ يفعلُهُ هو جرائمٌ ممنهجةٌ ضدَّ السورياتِ والسوريينَ، لكن ورغمَ أهميةِ هذا الاعترافِ القضائيِ فهو لا يعني تجريمَ النظامِ السوريّ. فقانونياً لم يصدرْ عنِ المحكمةِ قرارٌ بمنعِ الحكومةِ الألمانيةِ على سبيلِ المثالِ منَ التعاملِ مَعَ النظامِ السّوريّ الشموليّ كما وصفَتْه القاضيةُ، بل جاءَ هذا السردُ فقط للتعبيرِ عن السياقِ الذي ارتَكبَ فيه رسلانُ جرائمهُ. وقد قالتِ القاضيةُ ذلك بشكلٍ واضحٍ "الحكمُ ليسَ للنظامِ السوريّ، وإنما يتعلقُ الحكمُ بسلوكِ المتهمِ الفرديّ" -رويدة كنعان- ناجيةٌ منَ الاعتقال، وشاهدةٌ في محكمةِ كوبلنز ضدَّ أنور رسلان.

أثارتْ مقابلاتُنَا مع الناجياتِ من الاعتقالِ مشاعرَ ألمٍ وغضبٍ وحزن، وفي نفسِ الوقتِ كانتْ حافزاً على الاستمرارِ في النضالِ للوصولِ إلى العدالةِ والحقيقةِ ومحاسبةِ مرتكبِي جرائمِ الاعتقالِ والإخفاءِ القسري. لمَسْنَا في تلك المقابلاتِ شجاعةً لدى الناجياتِ ورغبةً كبيرةً لديْهِنَّ في أنْ يَكُنَّ جزءً منَ المحاسبةِ والوصولِ إلى العدالةِ في سوريا، ليسَ فقطْ بسببِ عذاباتِهنَّ ومعاناتهنَّ

بلْ من أجلِ جميعِ المعتقلات/ين في سوريا اللاتي أردْنَ أنْ تكونَ حَكاياتُهن مصدراً للتوثيقِ وشهاداتً حيةً عن انتهاكاتٍ وجرائمَ ضدَّ الإنسانية.

أُشجِّعُ الناجياتِ على سردِ قصصِهِن وحكاياتِهن، فتلك الحكاياتُ والقصصُ، هي توثيقٌ وشهاداتٌ على نظامٍ مجرمٍ لا يحترمُ حقوقَ الإنسانِ بوجهٍ عام، وينتهكُ حقوقَ المرأةِ على وجهِ الخصوص» **وفاء نجيب- ناجية من الاعتقال** .

ومن خلالِ تلكَ المقابلاتِ وضَعَتِ الناجياتُ تصوراتٍ عن آلياتٍ للكشفِ عنِ الحقيقةِ، ورؤيةٍ للمحاسبةِ وللعدالةِ التي يردْنَها.

"أريدُ محاسبةَ منتهكي جرائمِ الاعتقالِ في سوريا، لكن أريدُها محاسبةً تصونُ كرامتي، أريدُ كناجيةٍ بدايةً تطبيقَ مبدأِ جبرِ الضررِ، فأنا كناجيةٍ من المعتقلِ خسرتُ صِحتي، من سيعوضُنَي عنها وكيف؟ أريدُ أن أَكونَ في وظيفةٍ لأتمكنَ من إبرازِ قُدُراتي. ماذا عن أُسَرِ الشهيداتِ والشهداء؟ ماذا عن الأشخاصِ الذين فقدوا منازلهن/م؟ كلُّ هؤلاءِ يحتاجونَ إلى جبرٍ للضرر" عبير-ناجية من الاعتقال- وتضيفُ: "لنْ أقبلَ بالاعتذارِ فقط، لن أقبلَ أن يُقدَّمَ رؤساءُ الأفرعِ الأمنيةِ وأصحابُ القرارِ فيها الاعتذارَ لي، أريدُ مُحاكمَتهم محاكمةً عادلةً وإنسانيةً، علنيةً ودوليةً، فهم مجرمو حرب. أمَّا عناصرُ الأفرعِ الأمنيةِ والسجانينَ فهم ليسوا إلا عبيدًا

مأمورين، ربما يكفي محاكمَتُهم في محاكمَ وطنيةٍ داخليةٍ".

أشارتِ الناجياتُ القاطناتُ في جنوبِ تُركيا (المناطقُ التي ضربها زلزالُ 6 شباط 2023)، إلى عودَتِهِنَ لنقطةِ الصِّفرِ من ناحيةِ شعورهِن ببعضٍ من الاستقرارِ أو تَنَفُّسِ الراحةِ والحياةِ قبل حدوثِ الزلزال، حيث أدَّى زلزالُ تركيا إلى ازديادِ الأعباءِ الماديةِ والضغوطِ النفسيةِ عليهِن، وأدَّى الزلزالُ إلى دخولِهِن في دواماتٍ جديدةٍ منَ البحثِ عنِ الأمانِ والاستقرار.

" لم يكنْ منَ السهلِ الشعورُ بالاستقرارِ في انطاكيا، كانَ لِزاماً علينا التأقْلُمَ معَ الشعبِ التركيِّ وتعلمَ اللغةِ، وإيجادَ عملٍ ومنزل. أزعُمُ أنَّه في هذهِ السّنةِ وقبلَ الزلزالِ وصلْنا لنوعٍ من الاستقرار، ولكنْ جاءَ الزلزالُ ليعيدَنَا إلى نقطةِ الصفرِ، بل إلى ما دونَ الصفر. أينَ سنذهب؟ أين سنسكن؟ يبدو أنني سأدخلُ معركةَ كفاحٍ جديدةً " نور العمر-ناجيةٌ من الاعتقال- كانتْ تسكنُ في مدينةِ أنطاكيا الّتي تَهدَّمَت بشكلٍ شبهِ كاملٍ بسببِ زلزالِ 6 شباط 2023.

الفصلُ الأوّل: الناجياتُ منَ الاعتقال

حكاياتُ الناجياتِ السوریاتِ منَ الاعتقال، یَرویْن فیها صَبْرَهُنّ في زنازینِ النِّظام، یَحكِیْنَ أیاماً عایَشْن فیها الخوفَ والقلقَ والضّغطَ النّفسيّ، وحُلْمهُنَ بالخلاصِ من عَتمةِ المنفرداتِ وأنینِ الألمِ المحیطِ بِهِنَّ في أقبیةِ الأفرعِ الأمنیة. حَدَّثَتْنا الناجیاتُ عن مُواجَهَتِهِنَّ لظروفٍ اجتماعیةٍ واقتصادیةٍ ونفسیةٍ صعبةٍ بعدَ خُروجِهِن من السجن، ومِنْ ثم یذهبْنَ إلى منظُورِهِن ورُؤیتِهن في العدالةِ التي یُرِدْنَها لأَنفُسِهن ولِغیرهِن منَ المعتقلاتِ والمعتقلین، وتَصَوُّرِهِن لِآلیاتِ محاسبةِ منتهكي جرائمِ الاعتقال.

صورة تعبیریة

وفاء نجيب

وفاء نجيب، /31/ عاما، من ريفِ دمشقَ، اعتُقلتْ مَرّتينِ لدى سلطاتِ النظامِ السوريِ وتعيشُ حالياً في مدينةِ عفرين.

"في سجنِ عدرا المركزيِّ، كنتُ أحملُ دفتراً صغيراً، دوَّنْت فيهِ أحلامي، طموحاتي، وكتبتُ عن معاناةٍ عشتُها أنا وعشراتٌ من نساءٍ أخرياتٍ في زنزاناتِ النظام، كان لديَّ ذلك الأملَ بأنني سأخرجُ وأروي حكايتي. حكايتي ستُدينُ جرائمَ النظام، حكايتي حقٌّ وحقيقةٌ، والحقيقةُ لا تموتُ" أقتبسُ من حكايةِ وفاءَ هذا المقطعَ، فوفاءُ رحبتْ وبشدةٍ حينَ سألتُها عن إمكانيةِ مشاركَتِها لنا قصةَ اعتقالِها ونجاتِها من المعتقل، لأنها تحملُ بقلبِها أملاً بوصولِها معَ غيرِها من الناجياتِ إلى محاكمةِ مرتكبِي جرائمِ الاعتقالِ في سوريا.

أما الحكاية فهي:

اصْطَفَّت ْوفاءُ مباشرةً معَ الحَراكِ الثوري في سوريا، وبدأَتْ نشاطَها في يَلدا مَسقِطِ رأسِها في ريفِ دمشقَ.

" أسهمتُ بتجهيزِ اللافتاتِ في المظاهراتِ، وقدمْتُ المساعداتِ الإغاثيةِ للنازحينَ من مناطقِ القصفِ لبلدتي يلدا، ولاحقاً قدَّمتُ خَدَماتِي في المشفى الميدانيِّ في يلدا".

لم تعرفْ وفاءُ بأنَّ خروجَها ذاتَ يومٍ في عام 2012 سيُغَيِّبُها مدةَ سنتينِ عن بلدَتها: "في واحدٍ من أيامِ شهرِ آب عام 2012، خرجتُ مع شابٍّ من بلدتِنا بُغيةَ تَأمينِ بعضِ الموادِ الطبيةِ والإغاثيةِ، وعندَ وصولِنا لإحدى الحواجزِ الأمنيةِ المتواجدةِ في مخيمِ اليرموك، وجَّهَت عناصرُ الحواجزِ البنادقَ نحوَنا، واعْتقلَتْني أنا والشاب. لاحقاً علمتُ بأنَّ سببَ معرفةِ النظامِ بعملي واعتقالي، كان من خلالِ تقريرٍ كتبَتْهُ إحدى الفتياتِ اللواتي نمنَ في منزلي، وشاركْنَ العملَ في المشفى الميداني".

الفرع /227/ احدى أفرُعِ مخابراتِ النظامِ العسكريةِ هو الذي اقْتِيدَتْ إليهِ وفاءُ -كما أخبرتنا-، لتوضعَ في منفردةٍ: " حُبِسْتُ في منفردةٍ، طولُها تسعُ بلاطاتٍ و أربعُ بلاطاتٍ عرضُها، مظلمةٌ، رَطْبةٌ، لا ضوءٌ فيها، ولا شمسٌ تدخُلُها".

" الخوفُ كان يسيطرُ عليَّ، الخوفُ منَ السَّجانِ والمحققِ. لا أتذكرُ كلَّ التفاصيلِ، ولكن ألفاظَهُم النابيةُ لاتزال في ذاكرتي" تقولُ وفاءُ، وتتابعُ عن عملياتِ التحقيقِ معَها: **" لم أشعُرْ للحظةٍ بأنَّهم كانوا يحققون معي، هم كانوا فقط يستخدمونَ الترهيبَ والتهديد، تارةً كانوا يهدِّدونني بالإعدامِ وبأنهم سيَقتُلونَ كلَّ إخوتي وأهلي أمامَ عينيَّ إنْ لمْ أعترفْ بكلِّ ما قمتُ به من نشاطٍ ثوري، وتارةً كانوا يَعِدُونَنِي الخروجَ منَ المعتقلِ إن ساعدتُهم بتسليمِ والديْ لهُم، إذ أن والدي كان واحداً من أقطابِ العملِ الثوريِّ في منطقتي".**

وتتصارعُ وفاءُ مع مخاوِفِها وهواجسَ كانت تنتابُها في المعتقل وتقول: " غرقْتُ في الخوفِ، وكثيراً ما كنتُ أذهبُ بهواجسي إلى أنني سأموتُ هنا في هذهِ الزنزانةِ دونَ أن أرى أبي أو أخي أو أمي المريضةِ مرةً ثانيةً".

يتمُّ تحويلُ وفاءَ إلى سجنِ عدرا المركزي، لتخرجَ منهُ بعدَ عامينِ من لحظةِ اعتقالها: " خرجْتُ من سجنِ عدرا المركزي بعدَ دفعِ كفالةٍ ماليةٍ. كنتُ متعبةً جسدياً ونفسياً. عانيتُ النسيانَ فترةً منَ الزمنِ، عدمَ التركيزِ، تكرارَ الجملِ، حزناً شديداً، وبكاءً وخوفاً" أما الأصعبُ فتقول: "ولكن هذا ليس بشيءٍ أمامَ اعتقادِ المحيطينَ بأن الفتاةَ التي تدخلُ السجنَ تتعرضُ للاغتصاب، لم أتعرض للاغتصاب، لم أكنْ أريدُ أن أُعتقلَ أساساً. مُرهقٌ جداً أمرُ أنكِ فوقَ ظُلمِكِ واعتقالِكِ تريدينَ أن تُثبِتي براءَتَكِ منَ الاغتصاب، إنها الوصمةُ للأسف" وتضيف: " لا أريدُ الخوضَ كثيراً في مسألةِ الوصمةِ التي تلاحقُ المعتقلاتِ، هو أمر يزعجُني، أريدُ نسيانَهُ".

دونَتْ وفاءُ في دفاترَ حكايَتها في سجنِ عدرا، وفي الفرعِ العسكري: " كتبتُ في دفاتري تفاصيلَ كلِّ يومٍ في السجنِ، تمكنتُ من إخراجِها جميعاً، دفاتري هذهِ هي وثائقي، التي لنْ تَسمحَ للحقيقةِ أن تموت".

" تماسكتُ لاحقاً، عُدتُ إلى المناطقِ الخارجةِ عنِ النظامِ،

وتزوجتُ شاباً نبيلاً وقفَ إلى جانبي، وتعاهَدنا أنا وهو على تَكمِلةِ مسيرتِنا الثورية معاً، هنا غَيَّرْتُ نظرتي السوداويةَ التي نعانيها نحنُ المعتقلاتُ. كان اعتقالُ النظامِ لنَا قاسياً ولكنَّ المجتمعَ أكثرُ قسوةً وأشدُ ظلماً حينَ تطولُنا وصمةُ الاعتقال" تقول وفاء.

النساءُ وتوعيتُهن بحقوقِهِن من أهمِّ ما عملَت وفاءُ عليهِ إذ تقول: " عملتُ في مجالِ إرشادِ النساءِ وتوعيتِهن بحقوقِهِن وأهميةِ تعزيزِ دورهِن في المجتمعِ، والسببُ أنني كنتُ أستشعِرُ مدى ضعفِ النساءِ في محاربَتِهن لنيلِ حقوقِهن". ومنَ النشاطاتِ المهمةِ الأخرى، بدأتْ وفاءُ بتوثيقِ حالاتِ الاعتقال: " بدأتُ العملَ على توثيقِ أعدادِ المعتقلاتِ والمعتقلينَ في سجونِ النظامِ، كنتُ أسعى لأكونُ صوتَهم".

وهذا العملُ التوثيقيُّ كان سبباً في اعتقالِ وفاء للمرة الثانية:" كنتُ حاملاً في الشهرِ الثامنِ عندما خرجتُ من يلدا إلى العاصمةِ دمشقَ في الشهرِ الخامسِ من عام 2015، إذ أنني أردتُ الاطمئنانَ على الجنينِ وحملي. ويتمُ اعتقالي بتهمةِ التوثيقِ والتواصلِ مع قناةِ (أورينت) في منطقةِ القزازِ التابعةِ لريفِ دمشق".

" خمسةُ أيامً قضيتُها تحتَ التحقيق، لم أعترف بأيِّ شيءٍ من التُّهمِ التي وُجهتْ لي في ما يتعلقُ بأمرِ التوثيق. ويُفرجُ عني حيثُ كان هناكَ خُطةٌ للمصالحةِ في منطقةِ يلدا، وتم توقيعي على تعهدٍ بأن أَرجعَ للتحقيقِ بعد أن أضعَ مولودي، طبعاً لم أرجعْ قط" تخبرُنا وفاء

عن ِاعتقالِها والإفراجِ عنها.

في حزيرانَ 2018 تُرَحَّلُ وفاءُ بقوافلِ التهجيرِ القسريِ من ريفِ دمشقَ إلى الشمالِ السوري، وتعيشُ اليومَ في مدينةِ عفرين.

" أنا اليومَ متطوعةٌ مع رابطةِ الناجياتِ السورياتِ في الداخلِ السوريِ كمسؤولةِ تواصلٍ، وأُشاركُ في حَمَلاتِ مناصرةٍ للمعتقلـ ات/ ينَ والناجياتَ، إذ لا بدَّ منَ العملِ على مناصرةِ قضيةِ المعتقلينَ ولا بدَّ من دعمِ الناجياتِ من الاعتقال، صحيحٌ أنهُن خرجْنَ من الظلماتِ إلى النور، ولكنهُن ما يزلنَ محطَّماتٍ مكسورات" تقولُ وفاء.

أمَّا العدالةُ للناجياتِ فتتحققُ من وجةِ نظرِ وفاءَ: " من خلالِ محاسبةِ رأسِ النظامِ وبأشدِّ العقوبات" وتضيفُ: **" أُشجعُ الناجياتِ على سردِ قصصهنَّ وحكاياتِهن فتلكَ الحكاياتُ والقصصُ هي توثيقٌ وشهاداتٌ على نظامٍ مجرمٍ لا يحترمُ حقوقَ الإنسانِ بوجهٍ عام، وينتهكُ حقوقَ المرأةِ على وجهِ الخصوص".**

عندما كنْتُ أتحدثُ مع وفاءَ، كان صوتُها مليئاً بالشجاعةِ والجرأة، أخبرتْني أنَّها مُستعدةٌ لعملِ أيِّ شيءٍ يخدمُ قضيةَ المعتقلات/ ينَ والناجيات، وهي تؤمنُ بقدرةِ النساءِ السورياتِ وقُوتهن:" لدَيَّ كُلُّ الإيمانِ بقُدُراتِ النساءِ السورياتِ في التغيير، فهُنَّ قدَّمْنَ كلَّ ما استطعْنَ فترةَ الحربِ

وكان لهُن دورٌ كبيرٌ في المجتمعاتِ المحليةِ والأهلية، وإنني لن أتوقَّفَ لحظةً عن عملي بتوعيةِ النساءِ حتى أصِلَ إلى تغييرِ النَّظرةِ المجتمعيةِ والعاداتِ والتقاليدَ المجحفةِ بحقِّ النساء ".

أم عمر

" الاسمُ أمِّ عمرَ، عمري /42/ أنا من اللاذقية، كنتُ أعملُ في سوريا مدرسة وبمكتبي الخاص. كنتُ أعيشُ في أنطاكيا وأعيشُ حالياً في أورفا بعد. الزلزال، عملي الحالي ربة اسرة مربيةُ لأطفالي الثلاث. كنتُ زوجةَ مختفٍ قسريٍّ وبعرف أنو استشهد بعدين، لكن ما منعرف وين دفنوه، طبعا متلي متل آلاف النساء السوريات، الحمد لله" تعريفُ ام عمر عن نفسها.

قلتُ لام عمر على سبيلِ المزاحِ وأنا أستمعُ لقصتِها: " صار لازم تعطي دروس بالاعتقال"، فأم غمر خَبِرَتِ الاعتقالَ لثلاثِ مراتٍ خلالَ عهدِ بشارَ الأسد، وهي تقريباً باتَتْ تحفظُ أسماءَ أغلبِ الأفرعِ الأمنية و " مداخِلها ومخارِجها" كما أَضافَتْ، وأَقتبسُ عن هذا قولَها: ".. تنقلتُ بينَ أكثرَ من فرعِ. فرعُ أمنِ الدولة وفرعُ الامنِ العسكريِّ والسياسيةُ والحمدُ للهِ ما زُرنَا الجويةَ فهو الفرعُ الوحيدُ الذي لم نَزُره".

أزعمُ أن قصةَ ام عمر كانتْ من أكثرِ القصصِ التي أرهقتني نفسياً بسببِ تعرُّضِها لعنفٍ جسديٍّ وإساءةٍ لفظيةٍ ونفسيةٍ كبيرةٍ خلالَ الاعتقالِ كما روتْ. وقد أَغفلْتُ عمداً جزءً من رِوايتِها للعنفِ الشديدِ سواءٌ الجسديُ أو اللفظيُ أو النفسيُ الذي تعرضَتْ لَه، لسببِ أنني لا أريدُ للقارئةِ والقارِئِ أن يمتلِئَ بالحقدِ والكراهيةِ أو الغضبِ

أو ينظرَ لأم عمر كضحية. فأم عمر وبالرغمِ من كُلِّ معاناتِها والآثارِ الصعبةِ التي تَركَها الاعتقالِ عليْها، تعتزُ بنفسِها، فهِي تقول: ".. ما بندم ولا لحظة، رغم كل التحديات اللي أنا واجهتها بحياتي كمعتقلة وكأرملة. وبالرغم أنه في ناس بمجتمعنا عم تعيرني وتقول عني شقفة وحدة معتقلة، ما بكون خجلانة وبقول اذا بدكم تعيروني " عيروني بشي كون خجلانة منه، أنا كنت معتقلة لأني قلت كلمة حق ووقفت مع الناس المظلومة. مارح أتراجع ولا لحظة ولا أندم ولا خاف من قول كلمة الحق حتى لو اعتُقلت كمان وكمان". ومن جهةٍ ثانيةٍ فأنا أردْتُ التركيزَ على كيفيةِ حصولِ ام عمر وغيرِها من الناجياتِ على العدالةِ ومحاسبةِ مرتكبي الانتهاكاتِ في سوريا، **واقتبسُ منها: " بالنسبة لإلي، وبالنسبة لكثير ناجيات، كنا نتناقش كثير بموضوع كيف ممكن نحصل على العدالة، إيمتى بوصل لحقي؟ نحنا بالنسبة لإلنا العدالة ننالها يوم إللي مابيضل ولا معتقل سياسي في السجن ولا معتقل، ويوم إللي بيتحاسب كل شخص تسبب له في الاعتقال وتأذى نفسياً وضرب جسديا".**

وحكايةُ ام عمر هي التالية، وأشير أنني وضعتُ كلامَها باللهجةِ العاميةِّ بتصرفٍ بسيطٍ في الكلماتِ والمفرداتِ حتى تبدو أوضحَ وأسهلَ للقارئة/ئ.

أساساً ام عمر من عائلةٍ كانتْ معارضةً لحكمِ الأسدِ الأبِ والابن، ولكنَّ والدَها كان يمنع عليها وعلى اخوتها الحديثَ في الأمورِ السياسيةِ

إطلاقاً، فَعَمُّهَا مفقودٌ في سجونِ النظامِ السوريِّ منذُ ثمانيناتِ القرنِ الماضي (في عهدِ الأسدِ الأب) بتهمةِ انتمائِه لحزبِ الإخوانِ المسلمين "يعني العين مفتوحة علينا" كما قالَتْ ام عمر. وتزوجَتْ ام عمر ايضاً بعمرٍ صغيرٍ من شابٍ ينتمي أيضاً لحزبِ الإخوانِ المسلمين، وعلى أَثر هذا الزواجِ نالَتْ ام عمر حِصتُها منْ الملاحقُةِ الأمنيةِ والاعتقال: " زوجي كان عندو نشاط سياسي، كان منتمي لحزب سياسي على أثرها تمت ملاحقته، ويلي عرفته أنه أصيب بالملاحقة يلي صارت وتأذى، وما بعرف بعدها عنه شي نهائيا بعدما أخذوه، سمعت أنه استُشهد بعام 2008 بس ماني متأكدة وحتى جثة ما أعطونا. أنا تم اعتقالي بعدما أخذوه، بقيت معتقلة تقريباً ثلاثة شهور وعشرة أيام".

وتتابعُ ام عمر: " تَنقلْتُ بينَ أكثرَ من فرعً، فرعُ أمنِ الدولةِ، فرعُ الأمنِ العسكريِّ، السياسية، طبعاً هنّن اعتبروني من زمرة عمي اللي كان من الإخوان المسلمين، مع إني أنا ما كان إلي انتماء لاي حزب او تجمع او توجه سياسي، يعني كان إلنا انتماء متل ما تقولي عاطفي، يعني لم يكن انتماء فعليا". وتشيرُ ام عمر إلى أنهُ في سوريا لم يكنْ مسموحَاً بوجود أحزابٍ معارضَةٍ إطلاقاً، والحزبُ الوحيدُ الذي يجبُ أن تَنتميَ إليهِ فقط هو الحزبُ الحاكم: " حزبُ البعثِ اللي بتطلعي انت من التاسع للعاشر بتلاقي حالك اصلا انت منتمية لهذا الحزب وخلاص".

في السطورِ التاليةِ تحكي ام عمر عن عذاباتِ الاعتقالِ والسجنِ

وكما ذكرتُ سابقاً لن أكتبِ كلَّ ما قالتْهُ لشدةِ قسوتِه، واخترتُ بعضاً من رِوايتِها عَما تعرضَتْ لهُ خلالَ الاعتقال، وتبدأُ حديثَها عن ذلكَ قائلةً: " اللي نحنا منتعرضله بأثناء الاعتقال، شيء ما ممكن صدقاً شيء يوصفه، يعني مافي كلمات بتقدر تعبر عن السفاهة، الانحطاط الأخلاقي اللاإنساني، يعني إسرائيل ما بتعمل بالمعتقلين متل ما الأفرع الأمنية السورية بتعمل بالمعتقلين السوريين".

" أنا بتذكر مسكوني مثل كيس البطاطا أو شوال البطاطا أو ياليت بطاطا يعني بطاطا تقيلة، إنه كان يمكن وزني ما بيتعدى ال 45 كيلو. مسكوني هيك و زتوني بزنزانة، طبعاً ما بتتجاوز المتر بمتر هي الزنزانة. زنزانة قذرة وسخة معتمة جداً، ما بتعرفي فيها الليل من النهار. ليلك ونهارك هو السجان إللي بيجي وبغير دوريته سجان الصباح بيرجع سجان ثاني بيتغير، بتعرفي إنه صار في يوم تاني" تحكي ام عمر.

وتتعرضُ ام عمر للضربِ والإهانة: " أنا بتذكر لحد الآن كانت عيوني مطمشة، ومكلبشة لورا من إجري وإيدي، وبلش حدا يحكي كلام بذيء جدا جدا جدا جدا، ويضربني يضربني كفوف، يعني كف رايح كف جاي لدرجة أنا خلاص فقدت توازني ووقعت على الأرض، بس بدو مني إني أصرخ، فأنا ما كنت أصرخ وأنا عم أكل الكفوف" وتضيف: " بعدين جابو عصاية أوكرباج أو شي يعني، وبلشوا يضربو فيني برجلي مشان إسه يوقعوني على الأرض أكثر،

أنا وقعت وجلسوني في حدا كان ماسكني، طبعا أنا مكلبشة ماني شايفة يعني، بعدين شالو عن عيوني وبلش الكف كمان يضرب ويحكي، و الكلام البذيء متل ما عم قلك. وبعدين نزلوني، قال للمحقق ما عم تصرخ ما عم تتألم، لهيك حطوني بالدولاب وأنا أيدي مكلبشة - أنا لحد الآن في علامات بإيدي يعني كان ممكن ينقطع الوريد- بالدولاب بلشوا يضربوا على رجلي على راسي وين ما يضربوا، يضربوا ما يقصروا نهائياً، ويحكوا الكلام البذيء".

وتَخرُّجٌ ام غمر من السجنِ بعدَ أن لم يثبُتْ عليها أيُّ شيءٍ أو أيةُ علاقةٍ بما كانَ يقومُ بهِ زوجُها من معارضَتهِ للنظام، تحاولُ أن تستعيدَ عافيَتَها ولكنها تبقى مُراقَبةً من أجهزةِ المخابراتِ السوريةِ كما حكتْ قائلةً: " بقيت بعد اعتقالي ملاحقة وبقيت دائما مطلوبة للأفرع الأمنية، بيسألوني شو عم تساوي؟ وين رحتي؟ وين أجيتي؟ طبعا ضليت ممنوعة من السفر، ما منحت جواز سفر، زوجي ما كانوا يعطونا جثته بعد ماخبرونا إنه استشهد ولاحتى عرفنا وين قبرو، بقيت أنا مكتوم على نَفَسي، مع إني أنا رجعت مثلاً أسست عملي الخاص، ورجعت على الدراسة على الجامعة رياض أطفال، لكن بقيت مقيدة تماما من قبل الأفرع الأمنية، يعني مثلاً مرة كنت بدي أعمل شهادة سواقة، اتصلوا فيني وسألوني إنت ليش بدك تعملي شهادة السواقة، شو المناسبة؟ ليش شوفي؟ المخبرين تلاقيهم دائماً حواليي دائماً حوالين مشغلي ومحلي، وين ما رحت، وين ما جيت في حدا وراي".

مجزرةُ 6 سجنِ صيدنايا هي مجزرةٌ حدثَتْ بسجنِ صيدنايا العسكريِّ في سوريا يوم السبت 5 تموز/ 2008 إثرَ عصيانٍ قامَ بهِ معتقلونَ إسلاميون، وعلى أثرِ هذا العصيانِ اعتُقِلَتْ أم عمر للمرةِ الثانية، حيث كان زوجُها في سجنِ صيدنايا: " داهموا بيت أهلي باليل. أنا هون مابعرف شي، بس خمنت أنه اعتقلوني على أثر الاحداث بسجن صيدنايا مشان يضغطو على السجناء عن طريق نسائهم أو معارفهم" وتتابع: " لم أتعرض للضرب في هذا الاعتقال الذي دام حوالي خمسة أيام تقريبا، بس طبعاً سمعوني إهانات وكلام بذيء وتهديدات بالموت في السجون. اعتقالي هاد كان بفرع أمن الدولة وبعدين تحولت على السجن المركزي".

مثلَ كلِّ السوريات/ين تشعر ام عمر بأنَّها تَتَنَفَّسُ أخيراً بعدَ عامِ 2011: " أول ما استلم بشار الأسد فكرنا رح يصير الوضع أفضل، بس كمان نفس الشي بقيت الملاحقات لزوجي ورفقاته، منهم كانوا طلاب جامعيين، مهندسين ودكاترة، وحتى ناس عادية يعني، لكن كان عندهم توجهات سياسية ضد النظام وضد الحكم في سوريا، بس اعتقلوا واستشهدوا بعهد بشار. الرؤية خلاص وضحت بشار مثل أبوه، وهذا النظام نظام فاشي، نظام نازي ظالم مجرم. بالعام 2011 كانت الثورة هي المتنفس الحقيقي لإلي".

" كان الحمد لله إلي نشاط ثوري بالتوثيق (توثيق أعداد المعتقلين والشهداء) والمساعدات الإنسانية.

وكمان بمجال العمل الإنساني ومجال التوعية، فمثلا عملنا دورات إسعافية. كنا من ضمن تنسيقية اللاذقية من أعضاء التنسيقية، وكان إلي نشاط ثوري على (الفيس بوك). اشتغلنا الحمد لله شغل منيح لوقتما تم اعتقال عدد كبير من زملائنا إللي كانوا عم يشتغلو على الأرض، الشباب والصبايا، وأنا أيضا من بين المعتقلين تم اعتقالي تاني مرة بال 2013 " تَحكي ام عمر عنِ العملِ الذي قامَتْ بهِ خلالَ الثورةِ في سوريا والذي أدَّى لاعتقالِها للمرةِ الثالثة.

لمْ يطل اعتقالُ ام عمر أيضاً هذه المرةَ فقدْ كانت حَذِرَةً جداً، فاستخدمَت أثناءَ عمَلها أسماءً مستعارةً و غَطَّتْ وجهَهَا وملامِحَها - كما قالت - وهي أيضاً لم تتعرضْ للضربِ الجسديِّ ولكنها تعرضَتْ للتهديدِ بالاغتصاب وبالتحرش اللفظي وبحسبِ روايةِ ام عمر: " بالاعتقال الثالث كان بفرع الأمن العسكري، ما كان في تعذيب جسدي، لكن التعذيب النفسي يلي كان موجود شيء لا يصدق. الكلام النابي، السيئ، التهديدات وزاد كل هذا الشيء لأنه أكثر من حدا اتدخل كواسطة لإخراجي من المعتقل، فكلَّما يتدخل حدا واسطة، يجو لعندي ويبلشوا يسمعوني حكي نابي وساقط جداً جدا" وتضيفُ: " بقيتُ خمسةَ أيامٍ بالمعتقلِ ولكن كانت أياماً عصيبةً جداً، ناهيكِ أنه كان في تهديد بالاغتصاب وبالضرب، فحطوني بمكان كان في شباب إيرانيين يمروا من جنبي يغسلوا أيديهم ويعرضوا حالهن جسديا أمامي".

تخرجُ ام عمر من الاعتقالِ الثالثِ وكما أخبرِتْنَا بسببِ تَدخلِ أحدٍ

كوسيطٍ لإخراجِها.

حتى اليومَ تعاني ام عمر من آثارٍ جسديةٍ بسببِ الاعتقالِ منها: " صار عندي طنين وصداع مستمر دائم إلى الآن ما زلت أعاني منه. صار عندي دوار دائم".

وسردَتْ ام عمر مشاكل وآثاراً نفسيةً كثيرةً بسببِ الاعتقالاتِ الثلاثةِ، منها الخوفُ والقلقُ المستمرُ منْ أيِّ صوتٍ عالٍ قدْ تسمَعُه، شُعورُها بأنها بدونِ قُوةٍ أو طاقة، وغيرَ قادرةٍ حتى على أداءِ أبسطِ الأعمال، تخافُ ام غمر من أصواتِ أقفالِ الأبوابِ حينَ تُغلَقُ وتُفتحُ، لأنها تُذَكِّرُها بأبوابِ الزنزاناتِ والسجون. وسأذكرُ قصةً حكتْها ام عمر خلالَ وجودِها في تركيا عن ذلك الخوفَ الشديدَ الذي ما يزالُ يَتَملَّكُها بسببِ الاعتقال: " يستحيلُ أنسى صوت أبواب السيارات، تعون الدوريات ما بنساهم أبداً، أنا لحد الآن مع إني موجودة بتركيا بس صوت أصوات سيارات الأمن والبوليس والدوريات بخوفني وبيعملي مشكلة نفسية. رح قلك قصة على سبيل الطرفة، مرة على صلاة الفجر سمعت صوت سيارات الأمن والبوليس تحت بنايتي، نزل من السيارات أشخاص لابسين لبس مخابرات وأمن، هون أنا بلشت أرجف وشعرت بالخوف الشديد، قلت لحالي أهدي يابنت أنت بتركيا، أنتي ماعليكي شي، هنن كانوا جايين لياخذو زلمة تركي من البناية. فصوت سيارات الأمن والبوليس مارح أنساه بحياتي، صوت أبواب السجن لما يجي السجان بالصبح وبالليل دائماً براسي، صوت قفل الحديد جوا جوا براسي دائما".

تدخلُ ام عمر تركيا في عام 2015، ويبدأُ معتَرَكُ حياةٍ جديدٌ كما قالتْ ام عمر وتبدأُ حياتَها من الصفر: " ودخلت على مدينة أنطاكيا. كمان بلشت من الصفر ومن جديد، لأني أنا كنت هون طبعا كمان خسرانة كل شيء. أسست كمان شغل خياطة لانه بدي مردود مادي ، بلشت أرجع كمان أدرس، أسس حياتي العلمية متل مابقولو" .

وكما قالتْ ام عمر فإنها كناجيةٍ وأرملةٍ لم تحصلْ على دعمٍ من المنظماتِ باستثناءِ مساعدةٍ أَمَّنَها لها جارُها: " ما إجاني أي مساعدة من أي جهة أو منظمة نهائيا، باستثناء المساعدة إللي اجتني مدة سنة، بحكم كان جارنا موجود في هذه المنظمة. جاري بأنطاكيا الله يجزيه الخير، وهو إللي قلهن عليّ، هن كانوا يكفلوا أرامل. فهن كفلوني على إني أرملة لمدة سنة، وبعدين ما عاد شفت من حدا شيء أبداً أبداً. يعني لا مساعدات مادية، لا مساعدات توعية، لا مساعدات تمكين، لا مساعدات رفع أي أي شيء، يعني ما كان في شيء".

تالياً سأفردُ في حكايةِ ام عمر حديثَها عن رؤيتِها للعدالةِ في قضيةِ المعتقلين، وما الآلياتُ للكشفِ عن مصيرِ المعتقلين.

تقول ام عمر: " كل المسؤولين عن التعذيب والاعتقال لازم يتحاسبوا ولو بعد حين. المحاسبة لازم ضمن برامج وآلية معينة وضمن قضاء عادل. أنا ماني مستعجلة المحاسبة، لأنه الشعب السوري يادوب عم يتعافى، من حقي وحق شعبي يعيشوا بدولة بتحترم الإنسانية،

بتحترم الرأي الأخر. أنا لما بتصير محاسبة مارح أتنازل عن حقي من شخص ضربني وأهاني بسبب رأيي المخالف لرأيه وشتمني وشتم ديني وشتم عقيدتي وشتم شعائري وشتم يعني إنسانيتي».

" الكشف عن المعتقلين والمعتقلات ما بتم إلا من خلال التوثيق الحقيقي مع الناجين والناجيات. لحتى تعرفي مين المعتقلين والمعتقلات عند النظام. النظام يستحيل يكشف لك عن المعتقلين إللي عنده إلا إذا قدرت تدخل لسجونه لجان من الأمم المتحدة. بدنا لجان تكشف عن ظروف الاعتقال غير الصحية بسجون النظام، لجان تفوت للأفرع الأمنية، هاي الأفرع يلي فيها خفايا وخبايا كثير، يلي فيها معتقلين ومختفين قسريا، لجان تفوت على المسالخ البشرية بأقبية السجون، في أماكن احتجاز عند النظام مخفية ما حدا بيعرفها.. الكشف عن المعتقلين لازم تشارك فيه المنظمات ومنظمة الصحة والهلال الأحمر والصليب الأحمر" .

وعن ملف المعتقلات/ين تحكي ام عمر " الدعم لملف المعتقلين والمعتقلات، برأيي أنا بيكون من خلال ضغط منظمات المجتمع المدني قد ما بتقدر تضغط هذه المنظمات. على كافة الأصعدة. يعني تضغط لجعل هذا الملف إنساني مو سياسي مثل مابده النظام يلي عم يتاجر فيه. النظام مارح يرضخ ورح يعتبر ملف المعتقلين ورقة سياسية، لهيك نحن لازم نضغط من خلال منظمات المجتمع المدني، من خلال المنظمات الصحية، الطبية، الهلال الأحمر،

الصليب الأحمر، المنظمات يلي بتدعم المرأة، المنظمات التابعة للأمم المتحدة، الكل لازم يضغط على النظام بملف المعتقلين".

ام عمر في تركيا زوجةٌ ثانيةٌ ولَديها ثلاثةُ أطفالٍ، أطفالُها فرحتُها وسعادتُها في هذه الدنيا: " أولادي هم دافعي للبقاء في الحياة". وستبقى ام عمر تناضلُ من أجلِ قضيةِ المعتقلات/ين وستبقى تُناصرُ هذه القضية: " واجب علينا نحنا كناجين وكناجيات نضل نناضل، صدقيني خلاص يعني طلعنا نحن مشي الحال من المعتقلات، لكن إللي جوا ضل الخيط موصول بيننا وبينهم، إنه نحنا صوتهم".

نجَتْ ام عمر منَ الاعتقالِ وهي أيضاً من ناجيات الزلزالِ الذي ضربَ جنوبَ تركيا بتاريخ 6 شباط 2023، وأُنهي قصةَ أم عمر بشعورِها بالخذلانِ عندما أعادَتْ جامعةُ الدولِ العربيةِ بشارَ الأسدَ إلى مقاعِدِها، وهو أمرٌ كان عليها أصعَب من الزلزالِ الذي عاشتْه: " الخذلان إللي هو أصعب علي أنا من الاعتقال، هو استقبال بشار في الجامعة العربية. هذا الأمر أصعب من الزلزال للأمانة. الزلزال أثر فينا جدا نفسيا واقتصاديا، بس عودة بشار للجامعة العربية كانت أصعب، لكن رح ينتصر الشعب السوري ولو بعد حين".

عبير

عبيرُ اسمٌ مستعارٌ لِناجيةٍ منَ الاعتقالِ تعيشُ حالياً في تركيا تروي لنا حكايَتَها،

"أُريدُ محاسبةَ منتهكِي جرائمِ الاعتقالِ في سوريا، لكن أُريدُها محاسبةً تصونُ كرامتي، أريدُ كناجيةٍ بدايةً تطبيقَ مبدأِ جبرِ الضررِ فأنا كناجيةٍ منَ المعتقلِ خَسرتُ صحتِي، مَنْ سيعوضُني عنها وكيف؟ أريدُ أن أكونَ في وظيفةٍ لأتمكنَ من إبرازِ قُدُراتي. ماذا عن أسرِ الشهيداتِ والشهداء؟ ماذا عنِ الأشخاصِ الذينَ فَقَدُوا منازلهن/م؟ كلُّ هؤلاءِ يحتاجونَ إلى جبرٍ للضرر" أَقتبسُ من عبيرَ حديثَها عن الآلية التي يمكنُ من خلالِها تطبيقَ محاسبةٍ عادلةٍ للناجياتِ/ين منَ الاعتقال.

عَمِلَتْ عبيرُ قبل عام 2011 كمديرةٍ لمدرسةٍ خاصةٍ وكمعلمةٍ لتلاميذِ المرحلةِ الابتدائية.

تنحدرُ عبير من مدينةٍ تابعةٍ لريفِ دمشقَ تحفَّظَتْ على اسمِها لأسبابٍ تخُصُّها، وقالتْ عن تلك المدينة: " مدينتي من أوائلِ المدنِ التي شَهدتْ مظاهراتٍ واعتصاماتٍ مناهضةً للنظامِ وهيَ منَ المُدُن التي شهدَتْ أيضاً اقتحامات وقصفاً واعتقالاتٍ طالتْ عشراتِ السورياتِ والسوريينَ القاطناتِ/ينَ فيها".

" مع بِداياتِ عام 2011 بدأتِ المظاهراتُ في مدينتي، حينَها ذهبْتُ مباشرةً إلى الشاب الذي كان يُنظِّمُ المظاهراتِ في الحيِّ الذي أقطُنُ فيهِ وقلتُ لهُ أريدُ أن أكونَ مَعَكُم" وتُتابِعُ عبيرُ شارِحَةً عن نشاطِها الثوري: " شاركتُ في إعدادِ وتحضيرِ اللافتاتِ للمظاهراتِ. وعقدتُ في بيتي عشراتِ الاجتماعاتِ السِّريةِ للمتظاهرات/ين. دعمْتُ المظاهراتِ السلميةِ باللوجستياتِ المطلوبةِ من خلالِ جَمعي للتبرعاتِ وللمبالغِ المرصودةِ لنشاطِنا الثوري. تمكنْتُ من كسبِ ثقةِ الجميعِ لِأني مؤمنةٌ بالثورةِ ومقتنعةٌ بما كنا نقومُ بِه".

كأغلبِ السوريات/ين ظَنَّتْ عبيرُ أن النظامَ سيسقطُ خلالَ فترةٍ قصيرة، ولكنَّ ما حَدَثَ كان تصاعُدَ العنفِ في سوريا ضدَّ المتظاهرات/ين، إذِ استخدَمَ النظامُ الرصاصَ الحيَّ لقمعِ المظاهراتِ السِّلمية: "كنا نأملُ سقوطَ النظامِ خلالَ فترةٍ قصيرةٍ لكنَّ النظامَ بدأَ بتصعيدِ العنفِ مستخدماً الرصاصَ الحيَّ ضدَّ المتظاهرات/ين، وهذا ما نَقَلَنَا من مرحلةِ المظاهراتِ السلميةِ إلى مرحلةِ نضالٍ ثوريةٍ جديدة" وتضيفُ: " صارَ لدينا إصاباتٍ وجرحىً ولم نتمكن من نقلِهم إلى مشافي الدولة، الأمرَ الذي حَتَّم علينا إيجادَ أماكنَ نُخصصها لمعالجتِهم، فكان منزلي هو الحلُّ، حيثُ تحول إلى مشفى ميداني. وتحولَتِ التَبرعاتُ الماليةُ منَ الأصدقاءِ وأهلِ المنطقةِ من دعمِها للمظاهراتِ إلى تأمينِ اللَّوازمِ الطبيةِ والإسعافية. لم أتوقفْ لحظةً حتى خريف 2011 وقتَ اعتقالي".

في منتصفِ أيلولَ 2011، تُحاصِرُ ثلاثُ سياراتٍ عسكريةٍ وأمنية

وتعتقِلُها: "أحدُ الأشخاصِ القاطنينَ في حيِّنا كان قدِ اعتُقِلَ سابقاً من قِبَلِ النظامِ وهو مَن أخبَرَهم عن بيتي ونشاطِي، مضيفاً لذلك عدداً من تقاريرَ أمنيةٍ كانت جميعُها كفيلةً لِتُداهِمَ قواتُ النظامِ بيتي وتعتقِلُنِي. حاوَطَتِ القواتُ منزلي بأكمَلِه، كَسَروا الأبوابَ والشبابيكَ وانهالوا عليَّ ضربًا وأنا في منزلي. (مُطَمَّشَةٌ) معصوبةَ العينينِ، اقتادوني إلى فرعِ أمنِ الدولةِ في دمشقَ، ثمَّ أدخلوني إلى غُرفةِ تفتيشٍ كان فيها سيدةٌ جَردتني من حِجَابي (غطاءُ الرأسِ) وأغرقَتْنِي بوابلٍ من الشتائمِ البذيئةِ، ليأخذنِي بعدَها عددٌ منَ العساكرِ وأنا سافرةُ الرأسِ إلى المنفردة".

" المنفردةُ، وما أدراكِ ما المنفردة. كانت ضيقةً جداً، قضيت فيها **خمسةً وأربعينَ يومٍ كاملة**، لم أخرُجْ منها خلالَ هذهِ الأيامِ إلاَّ وقتَ التحقيق" قائلةً عبير.

ولِشدةِ معاناتِها في المنفردةِ تُشارِكُنا عبيرُ وصفاً لحالتها: " شبحُ الموتِ وحدَهُ هو الذي كانَ يرافِقُني. كنتُ أشعرُ فيها بأنني بلا قدراتٍ ذهنيةٍ، حيثُ نسيْتُ الأسماءَ والأشياءَ ونسيتُ مثلاً تلاوةَ آياتٍ كنتُ أحفُظُها عن ظهرِ قلب. كانتِ المنفردةُ حالكةَ الظلمةِ ، لم أميز فيها ليلي من نهاري".

كان الوقوفُ كالصَّنمِ أمامَ سَجَّانِها، مِن أكثرِ الأمورِ التي كانت تُشعِرُ عبيرَ بالإهانةِ: "ابني هو الشخصُ الوحيدُ الذي كنتُ أريدُ

أن أطْمِئَنَّ أنهُ بخير، خاصةً أنه تم اعتقالي وضربي أمامَ عينيه، شعورُ المهانةِ والذُّلِ انْتابَني لحظَتَها، لكنَّ هذا الشعورَ كانَ أكبرَ عندما كنتُ أقفُ أمامَ سجاني كالصَّنَمِ وهو يتأملُني واقفةً أمامهُ، مجردةً من حجابي، مرتديةً ثيابي المنزليةِ التي خرجْتُ فيها لحظةَ اعتقالي".

"إلى الموتِ، إلى الإعدامِ سنأخذُكم، هذا ما كان يقولُه لنَا السجانونَ حينَ كانوا يقتادونَنا إلى مكانٍ آخرَ لا نعرِفُه" تقول عبير.

ومن وجهةِ نظرِ عبيرَ فإن النظامَ مارسَ حرباً نفسيةً على المعتقلاتِ/ين: "حربٌ نفسيةٌ وعصبيةٌ كانت تمارِسُها علينا أجهزةُ النظامِ الأمنية. حينَ نقلوني أنا وسجناءَ آخرينَ إلى مكانٍ لا نعرِفُهُ، أزالوا عن عُيونِنَا (طمشاتِ العيونِ) عصاباتِ العيونِ، أجزمُ بأنهم أزالوها عن قصدٍ كي نرى تلك المناظرَ في ساحةِ المكانِ الذي وصلْنا إليه، أجسادٌ ملقاةٌ على الأرضِ تسيلُ منها الدماءُ وأجسادٌ فوقَ بعضِها البعض تتعرضُ للتعذيب، لن أنسى ذلك المنظرَ ما حييت".

لم يتمكنْ محقِّقي الأفرعِ الأمنيةِ من إثباتِ (جرمِ) تحوُّلِ منزلِ عبيرَ إلى مكانٍ لمساعدةِ مصابي المظاهراتِ (مشفى ميداني)، علاوةً على أن أهلها وأصدقائَها وسُكانَ حيِّها لم يتوقفوا عن إرسالِ الوساطات إلى أفرعِ المخابراتِ للإفراجِ عنها، فردةُ فعلِ سكانِ الحيِّ الذي تقطُنُه عبيرُ كانت كبيرةً بسببِ اعتقالِها ، تَجلَّت بالمظاهراتِ المطالبةِ

بالإفراجِ عنها، وبحديثِ البعضِ عن اعتقالِها على بعضِ القنواتِ الإعلاميةِ العربيةِ ، وذلك كونَها امرأةً أولاً، ولأنها أثبتَتْ أيضاً مدى وفائِها وإخلاصِها للثوارِ والثورة.

ترى عبيرُ النورَ بعد 45 يومٍ منَ الحبسِ الانفرادي: " وصلتُ منزلي، أزلتُ عنهُ بقايا الشمعِ الأحمرَ الذي وضعتْهُ أجهزةُ النظامِ، ضممتُ أهلي وابنِي بحرقةٍ وحرارةٍ، كنتُ متعبةً جداً، ولكنني سعيدةٌ في نفسِ الوقت".

دسكٌ في الرقبةِ وتقرحاتٌ شديدةٌ في المَعِدَةِ، علاوةٌ على حالةٍ نفسيةٍ مضطربةٍ تصيبُ عبيرَ جراءَ الاعتقال. وتصرِّحُ عبيرُ بأن الموتَ أرحمُ من اعتقالٍ ثانٍ: " أُفضِّلُ الموتَ على أن أُعتَقَلَ مرةً ثانية".

تخرجُ مدينةُ عبيرَ في شباطَ 2012 عن سيطرةِ النظامِ وتصبحُ تحتَ سيطرةِ فصائلِ المعارضةِ المسلحةِ، ولكن عبيرَ لم تكن راضيةً عن عسكرةِ الثورةِ إلا أنها ترى أن النظامَ هو من جَعَلها ثورةً مسلحة: " رفضْتُ تمامًا عسكرةَ الثورةِ، كما كنْتُ ضدَّ انضمامِ عناصرَ وأشخاصَ عُرفَ عنهم تبنيهمُ التطرفَّ والتشددَّ الإسلامي لصفوفِ الثوارِ، هؤلاءِ الشبابُ الثوارُ الذين حملوا السلاحَ رغمًا عنهم بسببِ شدةِ قمعِ النظامِ للمظاهرات بالقصفِ والرصاص. بدأَت ْتتشكلُ المجالسُ العسكريةُ في المناطقِ الثائرةِ ضدَّ النظامِ، وتشكلَتْ معَها الفصائلُ المعارضةُ

المسلحةُ". تستمرُّ عبيرُ في نشاطِها الثوري: " عَمِلْتُ في مجالِ الإغاثةِ، وفي مجالِ توثيقِ الانتهاكاتِ و بَقِيَتْ مدرستي التي أديرُها مكاناً لتدريسِ طالباتِ وطلابِ المرحلتينِ الإعداديةِ والثانويةِ على أيدي مُدرِّساتٍ/ينَ ومعلماتٍ/ينَ متطوعاتٍ/ينَ من أهالي المنطقةِ، كنا نُؤَمِّنُ لهؤلاءِ الطالباتِ والطلابِ الحافلاتِ التي تَقُلهم لمناطقِ سيطرةِ النظامِ لتقديمِ امتحاناتِ الشهادتينِ الثانويةِ والإعداديةِ".

عام 2016 هو نقطةُ تحولٍ جذريةٌ في حياةِ عبيرَ وفي حياةِ مدينَتِها كلّها إذ تسقطُ بعدَ حصارٍ ومعاركَ بيدِ قواتِ النظامِ، وتغادرُ عبيرُ مدينتَها وسوريَّتها في قوافلِ التهجيرِ إلى الشمالِ السوري، ومن ثمَّ إلى تركيا.

"بعد وصولي إلى تركيا، تناولْتُ الأدويةَ النفسيةَ، عانيْتُ فترةً منْ نوباتِ الصرعِ، تَطورَ وتفاقَمَ وجعُ الديسكِ ليصبحَ آلامًا مُبرحةً تمتدُ لرقبتي وذراعِي، لدرجةِ أنني لم أكن قادرةً على تقشيرِ تفاحةٍ، إضافةً لمشاكلِ تأمينِ العيشِ والمسكنِ والدخل، لكنني تعافيْتُ، نعم لقدْ نجوتُ" هكذا تبدأُ عبير قصَّتها بعد دخولها إلى تركيا.

في ولاية " هاتاي" التركية تستقرُّ منيرةُ وتتعافى رُويداً رويداً وتوجهُ كلَّ طاقَتِها ونشاطِها لدعمِ الناجياتِ منَ الاعتقالِ اللاتي يقطُنَّ في ولايةِ هاتاي، أما السببُ فهو كما قالت لنا عبيرُ: " شاهدتُ وسمعتُ عن عشراتِ الناجياتِ هنا في تركيا،

يعانينَ ظروفًا نفسيةً وجسديةً قاسيةً منْ أَثَرِ الاعتقال، فلا دعمَ لهُن سَواءٌ على المستوى النفسيِّ أو الجسديِّ أو المعاشِي الصعبِ في تركيا"، ولذلك وكَدعمٍ للناجيات: "أنشأْتُ مع عددٍ منَ الناجياتِ مجموعةً على منصاتِ التواصلِ الاجتماعيِّ وقمنا بتجهيزِ ملفٍّ خاصٍّ بنا يتضمنُ وثائقَ داعمةً يمكنُ أن نرسلهُ لأيِّ جهةٍ تعملُ على موضوعِ الناجياتِ من الاعتقال".

ماهي الآليةُ لدعمِ الناجياتِ من وجهةِ نظرِ عبير؟

"العملُ على دعمِ الناجياتِ يجبُ أن يَأخُذَ بالحسبانِ أمرينِ مهمينِ وهما عُمْرُ الناجيةِ وحالتُها الصحية، فالناجيةُ الصغيرةُ عمراً المتمتعةُ بصحةٍ جسديةٍ جيدةٍ يمكن تدريبُها ورفعُ مهاراتِها وتمويلُها بِمبلغٍ ماديٍّ تطلقُ من خلالهِ مشروعَها، أما الناجيةُ الأكبرُ سناً أو تلك التي تعانِي من وضعٍ صحيٍّ سيءٍّ فهي بحاجةٍ لكفالةٍ ماديةٍ وعلاجٍ طبِّي مستمرٍّ، وربما يُستفادُ من قدراتِها الفكريةِ وخبراتِها لاستثمارِها في مجالاتٍ لا تحتاجُ لجهدٍ عضلي".

رؤيةُ عبيرَ لمحاسبةِ مرتكبي الانتهاكاتِ في سوريا: " على المستوى الشخصي أريدُ أن أكون جزءًا من تطبيقِ العدالةِ الانتقاليةِ والمحاسبةِ في سوريا. أريدُ المحاسبةَ، لكن محاسبةً تصونُ كرامتي، أريدُ كناجيةٍ بدايةً تطبيقَ مبدأِ جبرِ الضررِ، فأنا كناجيةٍ منَ المعتقلِ خسرت صحتي مثلاً،

من سيعوضُني عنها وكيف؟ أريدُ أن أكون في وظيفةٍ لأتمكنَ من إبرازِ قدراتي. ماذا عن أُسرِ الشهيداتِ والشهداء؟ ماذا عنِ الأشخاصِ الذينَ فقدوا منازلهن/م؟ كلُّ هؤلاء يحتاجونَ إلى جبرٍ للضرر".

وبصورةٍ تفصيليةٍ أكثرَ: " لن أقبلَ بالاعتذارِ فقط، لن أقبلِ أن يقدمَ رؤساءُ الأفرعِ الأمنيةِ وأصحابُ القرارِ فيها الاعتذار لي، أريدُ محاكمَتَهم محاكمةً عادلةً وإنسانية، علنيةً ودولية، فهم مجرمو حرب. أمَّا عناصرُ الأفرعِ الأمنيةِ والسجانينَ فهم ليسوا إلا عبيدًا مأمورينَ، ربما يكفي محاكمتُهم في محاكِمَ وطنيةٍ داخلية".

رُفَيْدَة زيتون

رفيدة زيتون، مطلقة، ثلاثةٌ وأربعونَ عاماً، من الزبداني التابعةِ لريفِ دمشقَ، تعيشُ حالياً في تركيا مع وَلَدَيها.

استخدمَ النظامُ السوريُّ أهالي المعارضات/ين ضدَّ حكمهِ كورقةِ ضغطٍ على المعارضات/ين ليتوقفـ ـن/وا عن نشاطهـ ـن/ـم المعارض، وفي أحيانَ كثيرةٍ استخدمَـهُن/ـم كرهيناتٍ أو رهائنَ (اعتَقلـ ـهُن/ـم) ليسلمَ المعارضـات/ين أنفسَهم لأجهزةِ النظامِ الأمنيةِ والمخابراتية. رُفَيـدَةُ كانـت واحـدةً مـن أهالـي المعارضات/يـن اللواتي/الذيـن تـم اعتقالهـن/م لتكـون ورقـةَ ضغـطٍ علـى أخيهـا لتسـليمِ نفسِـهِ للنظـام، فتقولُ رفيدة: " سببُ اعتقالي هو لأكونَ ورقةَ ضغطٍ على أخي من أجلِ تسليمِ نفسِه للنظام".

تحمل رفيدة إجازةً جامعيةً في التاريخ، وعَمِلَتْ قبلَ عام 2011 كَمُدَرسةٍ في مدارسِ النظامِ الحكومية، لم يكن لديْها أيُّ نشاطٍ سياسيٍّ أو ثوري، ولكنها ضِمنياً كانت معارضةً لحكمِ الأسدِ كونَها من عائلةٍ معارضةٍ أساساً: " قبلَ عام 2011 عملتُ كمدرسةٍ لمادةِ التاريخ. أنا من عائلةٍ معارضةٍ للنظامِ أساساً فعمي اعتُقِلَ في ثمانينيَّاتِ القرنِ الماضي وأخي اعتُقِل في عام 2007 بسببِ نشاطِه المعارضِ للنظام، لذلك أنا كنتُ معارضةً ضمنياً، ولكنني لم أُظهر ذلك خوفاً من خسارةِ وظيفتي".

سيطَرت[7] فصائلُ المعارضةِ المسلحةُ (الجيشُ الحرُّ) على مدينةِ الزبداني بالكاملِ في عامِ 2012، ما جعلَها عُرضةً لقصفِ طائراتِ النظامِ السوري، كما أن النظامَ انتهجَ سياسيةَ إطباقِ الحصارِ على الزبداني كأغلبِ المدنِ والمناطقِ التي كانت تخرجُ عن سيطرتِهِ ، وبالتالي شُحٌ في الموادِ الغذائيةِ والطبيةِ وغيرِها، وذكرَتْ منظمةُ العفوِ الدوليةُ في تقريرها لعام 18/2017 : " فرضَتِ القواتُ الحكوميةُ حالاتِ حصارٍ طويلةً على المناطقِ المكتظةِ بالسكانِ، وفرضَتْ قيوداً على إمكانيةِ وصولِ المساعداتِ الإنسانيةِ والطبيةِ إلى آلافِ المدنيين" .

بقيَتْ رفيدةُ في مدينتِها الزبداني -بعدَ أن خرجَتْ عن سيطرةِ النظامِ- تحتَ الحصارِ والقصفِ ولم تخرجْ منها إلا في عامِ 2015 لإسعافِ والدتِها: " أصيبَتْ والدتي بشظِيةٍ في النخاعِ الشوكيِّ إثرَ قصفِ النظام، ولأنها تحتاجُ إلى عنايةٍ طبيةٍ - حيثُ تعاني المدينةُ من نقصٍ شديدٍ في الموادِ الطبيةِ والمشافي المؤهلةِ- كان لابد من نقلِ والدتي إلى مشافي دمشقَ الحكومية".

" تم اعتقالي أنا ووالدتي وأختي بتاريخ 15 أيار 2014 أثناءَ نقلِ والدتي - التي كانت في غيبوبةٍ-إلى مشفى المجتهد والسبب هو جعلُنا ورقةَ ضغطٍ كي يُسَلِّمَ أقارِبُنا -وخاصة أخي- أنفسَهم للنظام" تقولُ رُفيدة.

منَ الملاحظِ منْ بعضِ شهاداتِ الناجيات/ين من الاعتقالِ

بأن النظامَ السوريَّ اعتقلَ البعضَ منهم في مشافٍ حكوميةٍ كمشفى المجتهد.

وعن تفاصيلِ اعتقالِها تخبرُنا رُفيدة: "حجزتُ في غرفةٍ تابعةٍ لِقسمِ الأوعيةِ في مشفى المجتهد مدةِ ستةِ أشهرٍ وعشرينَ يومٍ، كانت غرفةً بلا حمامٍ حيثُ كان السجانُ يجعلني اقضي حاجَتي في حمامٍ موجودٍ في إحدى الممرات، وهكذا بقيتُ كلَّ تلك المدةِ بلا استِحمام. لاحقاً تم نقلي إلى غرفةٍ تحويْ حماماً تابعةٌ لقسمِ الصدريةِ لأبقى فيها حوالَي الأربعة أشهر" وقبلَ أن تكملَ رفيدة تفاصيلَ اعتقالِها تشيرُ إلى:

" والدتي فقدَت قدرَتَها على تحريكِ أطرافِها السُّفليةِ وأصبحتْ مشلولةً بعد /15/ يوماً من إصابتها"، وتُتابع رُفيدة: " بعد الاحتجاز في مشفى المجتهد، تَم نقلي إلى فرعِ الخطيب /فرع 251/، ثم أُخرجتُ منه بعدَ سبعةِ شهورٍ إلى سجنِ عدرا المركزي، لِيُخْلى سبيلي بعدَ خمسةِ شهورٍ قضيتها في عدرا ".

ككلِّ المعتقلات/ين عاشَتْ رفيدة ظلمةَ الزنازينِ، الخوفَ والقلقَ، والضغطَ النفسيَّ الشَّديد:

" خلال احتجازي واعتقالي لم أَتَعرضْ لعنفٍ جسديٍّ، ولكن عشتُ ضغوطاً نفسيةً قاسية، تعرضنا لتهديداتٍ غيرِ مباشرةٍ بالاغتصاب، فمثلا كنت مع تسعَ عشرةَ فتاةً في فرعِ الخطيب محتجزاتٍ لصفَقاتِ التبادل، عندما كنا نُضرِبُ عنِ الطعامِ كان السجانُ يقولُ لنا (يلي شرفها رخيص عليها لاتاكل). صعبة هي الزنازين، صراصيرٌ وجرذانٌ وقذارةٌ، وروائحُ الدمِ والجثثُ تَعبقُ المكان. الخوفُ والقلقُ من المصيرِ المجهولِ وحدَهُ كان يحيطُ بنا".

العبارةُ التاليةُ سأضعُها باللهجةِ العامِيةَّ كما قالَتْها رُفيدة بعدَ خروجِها من السجنِ بتاريخ 25 نيسان 2016، وهي تشرحُ فيها عن حالَتِها التي أصبحتْ عليها: " طبعاً أمشي وطلع وراي من الخوف، كلَّما رنّ الجرسُ، يعني دائماً هيك مثل اللي عندي هستيريا صار. جبت أولادي، المهم شفت أولادي. مشي ما أعرف أمشي بالشارع".

" أولادي كانوا أهمَّ شيءٍ في حياتي، أحضرتُهم، انفصَلْتُ عن زوجي بعد الاعتقال، فهو وعائلته فضلوا البقاءَ في سوريا على مغادَرَتها، اتخذْتُ قرارَ الرحيلِ عن سوريا مع طفليَّ. ووجهتي كانت إدلب، رغبتُ البقاءَ في إدلبَ ولكنني لم أحتمل قصفَ الطيرانِ لذلكَ دخلتُ إلى تركيا" تروي رُفيدة قصةَ مغادرَتِها من سوريا.

وحيدةٌ مع طفلَيْها ووالدتِها المشلولةِ دونَ معيلٍ تعيشُ رفيدةُ في مدينةِ انطاكيا التركية، وضعُها لم يكنْ أفضلَ

من الناحيةِ النفسيةِ والاقتصاديةِ: " الحالُ في تركيا صعبٌ جداً من ناحيةِ المعيشة، أنا بلا معيلٍ وبلا عملٍ ولدَيَّ والدةٌ مشلولةٌ. في تركيا أصابني مرضُ الديسك، كما أنني خضعْتُ لعدةِ جلساتٍ نفسيةٍ ولم أتلقَّ أيَّ مساعدةٍ ماديةٍ سِوا بطاقةِ الهلالِ الأحمر8".

تضيفُ رفيدةُ حولَ مصاعبَ وتحدياتٍ جديدةٍ في تركيا من الناحيةِ القانونية: " تمتْ إزالةُ ملفي الخاصِّ بالجنسيةِ التركية، لأنهُ تم تسجيلي متزوجةً عندَ دخولي لتركيا ولم أُحدِّث بياناتي ظناً أن حالتي المدنية مطلقة، وفي حالتي -وكأيِّ مطلقةٍ- أحتاجُ لورقةِ موافقةٍ من زوجي من أجلِ أولادي، فحدثَ بسببِ ذلك مشاكلَ في ملفِ الجنسيةِ وتَمت إزالته. الكثيرُ منَ الأمورِ الصعبةِ هنا أشعرُ أنني في معاركَ طويلةٍ ومستمرةٍ معها".

جاءَ زلزالُ 6 شباط 2023 الذي ضربَ تركيا وسوريا ليزيدَ من معاناةِ السوريات/ين: " أصبحتِ الحالةُ أصعبَ بعَد الزلزالِ، بدءاً من رعبةِ الزلزالِ الذي ضربَ انطاكيا، إلى فقدانِ المأوى وصعوبةِ إيجادِ بيوتٍ للإيجار، ومن ثُم استغلالُ أصحابِ البيوتِ لكارثةِ الزلزالِ وزيادةُ أجرةِ البيوتِ إلى أكثرَ من ثلاثةِ أو أربعةِ أضعافٍ، وأنتِ مضطرةٌ لقبولِ هذهِ الزيادةِ أمامَ تهديدِ مالكِ المنزلِ بطردِكِ منَ المنزلِ إذا لم توافقي على الزّيادةِ، وتوافقينَ مجبرةً فيما عدا ذلك سيكونُ مصيرُكِ الشارعَ مع عائلتِك" .

" تحتاجُ الناجياتُ إلى دعمٍ على المستوى النفسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، وأقصدُ بالاجتماعيّ مثلاً تأهيلُ الناجياتِ في تركيا للاندماجِ في المجتمعِ التركي من خلالِ تعليمِهن اللغةَ التركية. الناجياتُ متعباتٌ جسدياً ونفسياً ويعِشْنَ ظروفاً اقتصاديةً صعبةً ولاسيما الأراملِ والمطلقاتِ منهن، فهنَّ وحيداتٌ بلا معيلٍ أو دخلٍ يضمنُ كرامَتَهن مع أولادِهِنَّ. ملفُّ الناجياتِ يحتاجُ إلى دعمِ المنظماتِ المحليةِ والدّوليةِ وعلى جميعِ المستويات" هذهِ رؤيةُ رُفيدةَ لدعمِ الناجيات.

عندما تواصلْت مع رُفيدةَ لأخذِ شهادَتِها، لم تتردَّد لحظةً بل عبَّرتْ عن رغبتِها في مشاركةِ قصتِها، لأن لديْها قناعةً بأهميةِ أنْ تشاركَ الناجياتُ منَ الاعتقالِ شهادَتَهن للوصولِ إلى تطبيقِ العدالةِ ومحاسبةِ مرتكبي جرائمِ الاعتقال: " بتتحقق العدالة للناجيات، لما الجاني بيتحاسب أكيد ،شهادتي أنا وشهادة كثير ناجيات ضروري تتقدم للمحاكم الدولية لحتى الجاني ينال جزائه".

نور العمر

أَسمَت نفسها " نور العمر "، عزباءُ، شابةٌ من حلبَ تعيشُ حالياً في مدينة سامسون التي نزحتْ إليها من مدينةِ انطاكيا التركية، التي دمَّرها الزلزالُ في 6 شباط 2023، تعملُ كمدخلةِ بياناتٍ ومسؤولةٍ للتوثيق.

قبلَ الدخولِ في حكايةِ نور أريدُ أن أُنوِّه بأن نور ذَكرتْ تفاصيلَ دقيقةً وكثيرةً في رحلةِ اعتقالِها ونضالِها الثوري، اغفلْتُ بعضاً من تلك التفاصيلِ لما لها من وقعٍ على القلبِ وخوفاً مما قد تثيره من ألمٍ ووجع.

وهناك نقطةٌ أخرى أشيرُ لها بأن نور فتاةٌ شجاعةٌ، رغِبَتْ مشاركتَنا حكايتَها وبكلِّ جرأةٍ لإيمانِها بأهميةِ أن تُحكى سرديةُّ الاعتقال، كي تكونَ دليلاً للوصولِ إلى العدالةِ في سوريا القادمة.

لم يكنْ لنور أيُّ نشاطٍ سياسيٍّ أو حتى اهتمامٍ بالسياسيةِ قبلَ عام 2011، جُلُّ همِّها التخرجُ من جامعتِها فقط، وبالرغمِ من أنّ والدَها اعتُقِلَ في ثمانينات القرنِ الماضي في عهدِ حافظِ الأسد، إلا أنه لم يكن يتحدثُ عن فترةِ اعتقالِهِ، وهكذا بقيتْ نورُ وأسرتِها بعيدينَ عن كلِّ ما يخصُّ السياسيةَ، وعن هذا تقولُ نور: " قبلَ عام 2011 كنتُ طالبةً في السنةِ الثالثةِ في كليةِ الشريعة، فتاةٌ مشغولةٌ فقط بحياتِها الدراسية،

أعملُ على تحفيظِ الأطفالِ الصغارِ القرآنَ، ليسَ لي أيُّ اهتمامٍ بالسياسيةِ، حتى أَنني لم أكنْ أتابعُ أيَّ أخبارٍسياسية. والدي معتقلٌ من أيامِ الثمانينات، ولكن لمْ يكنْ يتحدثُ أبداً عن فترةِ اعتقالِه. **كانَتْ أسرتي ولاسيما والدَيَّ تطبقُ المثلَ القائلَ " الحيطان إلها آذان" إذا كانَ الموضوعُ يتعلقُ بالسياسيةِ عموماً وبقصةِ اعتقالِ والدي خصوصاً".**

ما كان يجري في درعا ربيعَ 2011 هي الأخبارُ الوحيدةُ التي تابعَتْها نورُ لاحقاً، وكانتْ تطرحُ على والدِها تساؤُلاتٍ من مثل: " هل سينزلُ الجيشُ السوريُّ ويكبحُ جماحَ المظاهرات؟ ماهي حقيقةُ ما يحدث؟ هل ستعيشُ سوريا نفسَ سيناريو مصرَ وتونُسَ؟ ويأتي جوابُ والديْ بأن وضعَ سوريا مختلفٌ عن مصرَ وتونسَ". ولكن ما شاهدَتْهُ نورُ في حيِّ ركنِ الدينِ التابعِ لمحافظةِ دمشقَ، أجابَ عنِ الكثيرِ من تساؤُلاتِها، بلْ وأبعدَ من ذلك جعلَها تقفُ في صفوفِ المعارضات/ين لحكمِ النظام.

" كنتُ أَدرسُ في جامعةِ دمشقَ، واستأجرتُ منزلاً مع عددٍ من الصديقاتِ في حيِّ ركنِ الدين. أَتذكرُ تماماً ذلك اليومَ من منتصفِ شهرِ حزيرانَ لعام 2011، حينَ خَرجَتْ إحدى المظاهراتِ السلميةِ المعارضةِ في الحي. ومن شباكِ غرفتي في الشقةِ شاهدتُ بأمِّ عيني كيفَ أطلقَتْ عناصرُ النظامِ الرصاصَ الحيَّ على المتظاهرين، ليسقطَ حينها /4/ شبانٍ قتلى،

كانوا شباباً عُزَّلاً لا يحملونَ أيَّ سلاح. كان مشهداً صادماً بالنسبةِ لي" تروي نور.

ولاحقاً تستضيفُ نورُ وصديقاتها في بيتهِن المستأجَرِ طالبةً جامعيةً من درعا، طلبَتْ أن تبقى معهُنَّ مدةَ يومينِ خوفاً من حملةِ الاعتقالاتِ التي كانت تجري في حي ركنِ الدينِ على إثرِ المظاهراتِ، فهيَ كانت تخافُ أن يتم اعتقالها فقط لأنها من درعا. وتدورُ بينَ نورَ وتلك الطالبةِ محادثاتٌ عن حقيقةِ ما كانَ يجري في درعا، وكما أخبرتنا نور: " بعدَ حديثي مع تلكَ الطالبةِ بدأتْ تتضحُ الصورةُ أكثرَ في رأسي، وعرفَتُ حقيقةَ الأحداثِ في درعا، وأن الجيشَ يقتلُ ويحاصرُ المدنيين. شعرتُ بالاحتقان وأدركتُ كَذِبَ الإعلامِ السوريِّ التابعِ للنظام، لقد شاهدتُ بأمِّ عيني مقتلَ الشبابِ العُزَّلِ في المظاهرات. رجَعتُ إلى حلبَ إلى أهلي، الذينَ استشعروا غضبي واحتِقاني وموقِفي المعارضِ للنظام".

" يجبُ أن لا نسكُتَ، باتَ الأمرُ يعنيني فخرجتُ في مظاهراتِ الجامعةِ في دمشقَ، كتبتُ عدداً من المنشوراتِ المعارضةِ على (الفيس بوك)- طبعاً باسمٍ مستعارٍ- واحتفظتُ بأغنيةِ سميح شقير [ياحيف9]، (وهي أغنية عن قتل النظام للمتظاهرين السلميين) في جوالي، والتي أرسَلتَهْا لي إحدى الصديقات. سَمِعَها أخي واشتكاني إلى والدي. **والدي الذي قال لي أنتِ لا تعرفين هذا النظامَ، هذا نظامٌ لا يُميزُ بينَ رجلٍ وامرأةٍ في التعذيبِ، هل تريدينَ أن تُعتقَلي بسببِ أغنية؟،**

ثُم حكى لي والدي بعضاً من تفاصيلِ اعتقالِهِ لأولِ مرة" تضيفُ نور.

وبالرغمِ من هذا: " شعرتُ بأنني يجبُ أن أفعلَ شيئاً، دخلتُ في الحَراكِ الثوري السِّلمي من خلالِ الخروجِ بمظاهراتٍ سمعتُ عنها من أصدقاءَ عن طريقِ الفيس بوك، ومجموعاتٍ على السكايب".

بعدَ عدةِ شهورٍ من خروجِ المظاهراتِ السلميةِ في عدةِ مناطقَ من سوريا، تحولَ الحَراكُ الثوريُّ السلميُّ في سوريا إلى صراعٍ مسلح، وظهرَ ما سُمي بفصائلِ " الجيشِ الحرِّ" في المناطقِ الثائرةِ ضدَّ حكمِ بشارَ الأسد. وأصبحَت هناك مناطقُ سميتْ بـ " مناطقَ محررةٍ" تخضعُ لسيطرةِ فصائلِ الجيشِ الحرِّ وأخرى خاضعةٌ لسيطرةِ قواتِ وجيشِ النظامِ، وحتى أنه قد تجدُ حياً واحداً مقسوماً لقسمين، قسمٌ تحتَ سيطرةِ الجيشِ الحرِّ وقسمٌ تحتَ سيطرةِ النظامِ، مثلَ حيِّ برزةَ التابعِ لمدينةِ دمشقَ وأحياءَ في حلبَ. وغالباً ما قَصفَ وحاصرَ النظامُ المناطَقَ التي سيطرتْ عليها فصائلُ الجيشِ الحرِّ، والتي شهدتْ أوضاعاً إنسانيةً صعبة.

هنا اتخذَ النضالُ الثوريُّ شكلاً مختلفاً وتحولَ/ـتْ الكثيرُ من المتظاهرات/ين السلميـ ـات/ين إلى العملِ الإغاثيِّ والطبيِّ لدعمِ المناطقِ المحاصرةِ أو تلك التي تتعرضُ لقصفِ النظام.

وتتابعُ نورُ نضالَها الثوريَّ بطريقةٍ أُخرى، فتقول: " أصبحَ في حلبَ مناطقٌ تسيطرُ عليها فصائلُ الجيشِ الحرِّ وأُخرى تخضعُ لسيطرةِ قواتِ النظام، وفُصِلَتْ تلك المناطقُ عن بعضِها، وعاشَتِ المناطقُ المحررةُ قصفاً وحصاراً من قِبَلِ قواتِ النظام. أنا كنتُ أقطنُ في آخرِ حيٍّ سيفِ الدولة، أولَّ صلاحَ الدينِّ وهو حيٌّ كان تحتَ سيطرةِ النظام. وهنا تَوجَّهتُ للعملِ الإغاثيّ والطبيّ والإنسانيّ لدعمِ المناطقِ المحررة. استطعتُ تأمينَ علبِ دواءٍ قليلةٍ للمناطقِ المحررة، وكذلك ساعدتُ النازحينَ منَ المناطقِ المحررةِ إلى مناطقِ سيطرةِ النظامِ من الناحيةِ الإغاثية، كنتُ أعملُ ضمنَ مجموعةٍ اعتُقِلَ المسؤولُ عنها ثلاثَ مراتٍ، وماتَ في النهايةِ شهيداً وشَيَّعْنا جثتَه".

قبلَ أن أدخلَ في سرديةِ نورَ عنِ اعتقالِها، أريدُ أن أكتبَ ما قالتْهُ نورُ عن تحضيرِ النَّاشطين لأنفُسِهم في حالِ تم اعتقالُهم: " كلُّنا نعلمُ أنهُ بسببِ نشاطِنا قدْ نُعتقَل. سوفَ تتعرضونَ للضربِ الشديدِ في المعتقلِ كي تعترفوا على بقيةِ أصدقائِكم في عملكمْ، إياكمْ ثُم إياكم أن تعترفوا، الاعترافُ لن يوقفَ الضربَ، بل سيزيدُه، هذهِ العباراتُ كنتُ احفظُها عن ظهرِ قلبٍ منِ رئيسِ مجموعتنا".

اعتُقِل أحدُ الشبابِ الذينَ كانتْ تعملُ معهم نورُ، الأمرُ الذي ولَّد لديها مخاوفَ بأنها قد تعتقلُ هيَ الأُخرى، إذ ربما يعترفُ الشابُّ عليها وعلى بقية الصديقاتِ والأصدقاءِ الذين كانوا يعملونَ معه سوِيَّاً. قد جعلَها هذا الأمرُ تُعَلِّقُ نشاطَها وتتوقفُ عنهُ قليلاً.

وانتقلَتْ مخاوفُ نورُ لأهلِها وخاصةً والدُها، الذي كانَ راغباً بأن تغادرَ سوريا إلى تركيا، إلا أن نورَ رفضَتْ ذلك كما أخبرتْنَا.

بتاريخ 17 آب 2014 في الساعةِ الثانيةِ ليلاً، يُدَقُّ بابُ منزلِ نورَ بعنفٍ، وبعدَها تأتي سرديةُ اعتقالِ نور، نحكيها تالياً كما أخبرتْنَا عنها.

" طُرقَ بابُ منزلِنَا في الساعةِ الثانيةِ ليلاً بطريقةٍ شعرتُ بها بأن الطارقَ هم عناصرُ أمنٍ ومخابراتِ النظام. فِعلاً كانوا هُم، أحسستُ بأنهم قادمونَ لاعتقالي، فسارعتُ لإخفاءِ بطاقاتِ الذاكرةِ التي أحتفظُ فيها بكلِّ المعلومات، أخفيتُ أي أجهزةٍ الكترونيةٍ قدْ تكونُ دليلَ إدانة. عندما دخلوا انهالوا عليْنَا بفيضٍ منَ الأسئلةِ عن أسماءِ أخواتي البنات وعمَّن يَقطُنَّ هُنا... شعرتُ بكلِّ الضغطِ النفسيِّ والضيقِ، وفي رأسي سؤالٌ واحد، هل جاؤوا ليعتقلوني؟" هكذا بدأت نورُ حكايةَ اعتِقالِها.

وتتابعُ: " حرفياً، (نشف الدم بعروقي) وهم يسألونَ ويستفسرونَ، وقفتُ أريدُ الذهابَ لأشربَ كأسَ ماءٍ، وهنا قالوا لي، نورُ أين تذهبين؟ رددتُ أريدُ أن أشربَ الماءَ، فردوا، نحن نريد أن نستفردَ بك وبوالدك في غرفةٍ خاصة. اتَّضَحَتِ القصةُ في رأسي، وأدركتُ أن اعتقالي باتَ وشيكاً".

" أنكرتُ كلَّ صلةٍ أو معرفةٍ بنساءٍ يشربْنَ القهوةَ في صورةِ عرضوها

عليَّ، ويُصرُّ أحدُهم (وهو عميدٌ كما عرَّفَ عن نفسهِ) بأنني أعرفُهن. وعندما بقيتُ على إنكاري بمعرفَتِهِن، قال لي نحنُ مضطرونَ لاستجوابِكِ في الفرع" وتضيفُ نورُ: " رفضتُ الذهابَ وسألتُهم أن يُوجِّهوا ليَ الأسئلةَ في بيتي. أنكرتُ معرفتي بأسماءَ ذكروها، مُصِرَّةً على موقفي بعدمِ الذهابِ إلى الفرع، إلى أن ناداني أحدَهم باسمي الحَرَكي (المستعار). لقد انتهى الأمرُ، باتَ أمرُ اعتقالي أمراً مفروغاً منهُ بالنسبةِ لي ولوالدي الذي طلبَ مني ارتداءَ ملابسي والذهابَ معهم ".

في وصفِ نور لحظةَ ركوبِها سيارةَ الأمنِ شجونٌ، دفعني لأكتُبَهُ كما ذَكَرَتْهُ وباللغةِ العامية: " كنت عم أطَّلّع على أبي من شباك سيارة الأمن وهو واقف قدام البناية، يلي بتذكره أني ظليت عم أتطلع عليه لحد ماقطعت السيارة شارع بنايتنا، ولما بّعدت السيارة وبلش أبي يصير بعيد، شفته قعد على الرصيف، ظلت عيوني على الشباك والسيارة تبعد لحد ما عاد قدرت شوف أبي".

تدخلُ نورُ فرعَ الأمنِ بحلبَ، في رأسِها جملةٌ واحدةٌ: " احتملوا الضربَ حتى لوكان شديداً، لا تعترفوا بأي شيء".

لم تعترفْ نورُ في فرعِ الأمنِ العسكريِّ بحلبَ على أي نشاطٍ كانوا يتهمونَها بِهِ، بالرغمِ من ضربِهم لها بأنبوبٍ كان يُسمى بـ " الأخضر الإبراهيمي" وبالرغم من تعرضها " للشبح".

مـــــن تقريـرٍ لمنظمـــــةِ العفوِ الـــــدوليةِ تحـــــت عُنـــوان إنـه يحطـم إنسـانيتك[10] أوردَ مـا يلـي عـن أنبـوبِ الضـربِ المسـمى بالأخضـر الابراهيمـي: " تَعـرَّضَ جميـعُ المعتقليـنَ السـابقينَ، الذيـن أُجرِيَـتْ معَهم مقابـلاتٌ فـي سـياقِ إعـدادِ هـذا التقريـر، لشـكلٍ مـا مـن أشكالِ الضربِ خلالَ الاستجواب، سواءٌ بأيدي وأقدامِ المحققينَ أو الحـرسِ، أو باسـتخدامِ أدواتٍ محـددة، مـن بينهـا مثـلاً أنبـوبٌ أخضـرُ اللونِ من البلاستيكِ صارَ معروفاً لاحقاً باسمِ "الأخضر الإبراهيمي"، وهـي طُرفـةٌ لفظيـةٌ تَسـتخدمُ اسـمَ مبعـوثِ الأمـمِ المتحـدةِ والجامعـةِ العربيـةِ السـابقِ المعنـيِّ بسـوريا" .

وتحـدثَ ذاتُ التقريـرِ عـن تعذيـبِ " الشـبح[11] " للسـجناءِ سـواءٌ الرجـالُ منهـم أو النسـاء.

التهديـدُ بالقتـلِ أوِ التلميـحُ بـه أيضـاً كان من ضمنِ مـا واجهَتـهُ نـورُ فـي فـرعِ الأمـنِ العسـكريِّ بحلـبَ: " كان مسـاعدُ التحقيـقِ بفـرعِ حلـبَ يكرهني، وكان يطلقُ عليَّ صفةَ " بنت جفصة" لأنني لم أعترف على أيِّ أحـدٍ ولا على أي نشـاطٍ اتهمونـي بـه. كان يقـولُ لـي وهـو يضرِبُنـي، أريـدُ أن اقتلـكِ أن أقضـيَ عليـكِ بيـنَ يـديَّ. ووعدنِـي بأنـهُ سـيُحولنِي إلى فرع فلسـطين[12] في دمشـقَ انتقاماً من صمتِي وإنكاري لأيِّ تُهمةٍ وعـدمِ اعترافـي على أصدقائِي وصديقاتِي".

بعدَ /54/ يوماً تُنقلُ نورُ من فرعِ الأمنِ العسكريِّ بحلبَ إلى فرعِ فلسطينَ بدمشقَ: " انهرتُ عندما عرفتُ بأنني أُنقلُ إلى فرعِ فلسطين، كان والديْ قد حدَّثني سابقاً عن سوءِ سمعةِ هذا الفرع. عندما دخلتُ الفرعَ كان الوضعُ مأساوياً جداً. التعذيبُ صفةُ المكان، أصواتُ الشبابِ (المشبوحةِ) كانتْ مخيفةً ومؤلمة. لم أتَعرَّضْ في فرعِ فلسطينَ للتحقيقِ أو التعذيب، ولكنني حُشِرْتُ مع حوالي 25 سيدةً في غرفة مساحتُها (مترين * متر). شاهدتُ بِرَكاً من الدمِ وجثثاً عندما كنتُ أذهبُ إلى الحمام. ممنوعٌ الكلامُ، ممنوعٌ الصراخُ، ممنوعٌ قراءةُ القرآنِ، الكاميراتُ تراقبُنا في كلِّ مكان. بقيْتُ في فرعِ فلسطينَ حوالي /7/ أشهرٍ، لأُحوَّل بعدَها إلى سجنِ عدرا المركزي".

" لسى بدك رصَّة أذن" هذا ماقالهُ القاضي لنورَ حينَ استُدعِيَتْ للمحاكمةِ بعد **/15/** يوماً من وصولها لسجنِ عدرا المركزي: " رجعتُ إلى سجنِ عدرا بعدَ أن وِجد القاضي أنني مازلتُ احتاجُ إلى (رصة أذن) كما قالَ. في عدرا. تواصلتُ مع أهلي، عرفتُ أنهم دفعوا مبالغَ كبيرةً لأشخاصٍ أخبروهم بأنني مازلتُ في حلبَ في حينِ إنني كنتُ في دمشقَ فعلمتُ بأن أهلي تعرضوا للنصبِ والاحتيالِ مدةَ ثمانيةِ أشهرٍ، إلى يومِ اتصلتُ بهم واخبرتُهم أنا عن مكاني. حتى في سجن عدرا دفعَ أهلي مبالغَ كبيرةً وتواصلوا مع أشخاصٍ نافذينَ حتى تمكنوا من إخراجي من سجنِ عدرا بعدَ ستةِ أشهرٍ تقريباً".

" **معركةُ الاعتقال**" عبارةٌ ذكَرَتها نورُ أكثرَ من مرةً في حديثِها عن تنقُّلها بين الأفرعِ الأمنيةِ وسجنِ عدرا، فنورُ لم تذهبْ مباشرةً إلى أهلها بعدَ قرارِ إخلاءِ سبيلِها من سجنِ عدرا، إذْ زارتْ فرعَ الخطيبِ في دمشقَ لتبقَى فيهِ /10/ أيامٍ أخرى: " تاريخُ إخلاءِ سبيلي من سجنِ عدرا بحسبِ ما أذكر كان في 14 شباط 2015، لكنني لم أذهبْ إلى أهلي في حلب، بلِ اقتادونِي إلى فرعِ الخطيب بدمشقَ، حيث بقيتُ فيهِ /10/ قبل إخلاء سبيلي. لم تنته معركة الاعتقال بعدها. أذكُرُ أنه بعدَ /20/ يوماً تماماً من إطلاقِ سراحِي، أتفاجئُ أنا وأهلي بخبرٍ منَ الشخصِ الذي ساعدَ في إطلاقِ سراحي بأنني قد اعتقلُ مرةً ثانيةً وأنَّ أمنَ ومخابراتِ النظامِ قادمون لاعتقالي. لملمتُ مع أهلي أغراضَنا وأشيائَنا وخرجْنا منَ المنزلِ مُقرِّرينَ دخول تركيا عبر طُرقِ التهريب. التهريبُ نعم فأنا كنتُ محرومةً من حقوقيَ المدنيةِ فلن أتمكنَ من دُخول تركيا بطريقةٍ شرعيةٍ وكان التهريبُ أساساً صعباً في تلكَ الأيامِ وهنا تبدأُ معركةٌ ثانية" .

قبلَ أن أدخلَ في حكايةِ نورَ عن حياتِها في تركيا، سأذكرُ باختصارٍ مما أخبَرتْنا بهِ نورُ عنِ الآثارِ الجسديةِ والمعاناةِ النفسيةِ التي تركَها الاعتقال عليها ، ليسَ رغبةً في إيلامِ القارئِ، ولكن لأهميةِ أن نَستعرِضَ كيف تعاملتْ معتقلاتُ وسجونُ النظامِ معَ المعارضينَ لحُكمه.

تقولُ نورُ: " بسببِ الضربِ خسرتُ قسماً من أسناني، كما كُسِر أنفي الذي لم أستطِع علاجَهُ حتى اليوم.

تم تهديدِي باعتقالِ أهلي إن لم أعترف. كان هناكَ تلميحاتٌ بالاغتصابِ أيضاً. التعذيبُ النفسُي هو سماعِي لمدة /24/ ساعةً أصواتَ من يتعرضونَ للضرب".

تدخلُ نورُ تركيا في عام 2017 بعدَ عدةِ محاولاتِ تهريبٍ فاشلةٍ. تعملُ كمدخلةِ بياناتٍ ومسؤولةِ توثيق، ولنورَ وجهةُ نظرٍ في البرامجِ التي قدمَتْها بعضُ المنظماتِ لدعمِ الناجياتِ من الاعتقالِ ألا وهي: " من وجهةِ نظري بعضُ البرامجِ التي قُدمتْ للناجياتِ منْ عددٍ منَ المنظماتِ في تركيا، ليسَتْ مناسبةً وهي قليلةٌ. الدعمُ النفسيُّ للناجيةِ لن يفعلَ شيئاً طالما أنها بدونِ عمل، طالما لازالت تشعرُ بأنها عالةٌ على أحدٍ ولا تأخذُ فرصَتَها في العملِ والإنتاج".

وتضيف: " تخلى الكثيرُ من أزواجِ الناجياتِ عنهن، ماذا سيفيدُهُن الدعمُ النفسيُّ دونَ أمانٍ اقتصادي؟".

وتريدُ نورُ كغيرِها من الناجياتِ محاسبةَ مرتكِبي جرائمِ الاعتقالِ والاخفاءِ القسري: " يجبُ محاسبةُ أيِّ شخصٍ ساهمَ بعذابِنا، ومحاسبَتُه تكون عن طريقِ محاكمَ عادلةٍ ليأخذَ القَصاصَ المناسب".

زلزالُ 6 شباط الذي ضربَ سوريا وتركيا أعادَ عشراتِ آلافِ السوريات/ين إلى نقطةِ الصفر، وكانتْ نورُ واحدةً منهـ/ن/م، وعنهُ تقولُ: " لم يكن منَ السهلِ الشعورُ بالاستقرارِ في انطاكيا،

كانَ لِزاماً علينا التأقلُمَ معَ الشعبِ التركي وتعلمِ اللغة، وإيجادِ عملٍ ومنزل. أزعُمُ أنَّه في هذهِ السنةِ وقبلَ الزلزالِ وصلْنا لاستقرارٍ نوعاً ما، ولكن جاءَ الزلزالُ ليُعيدَنا إلى نقطةِ الصفر، بل إلى ما دون الصفر. أينَ سنذهَب؟ أين سنسكُن، يبدو أنني سأدخلُ معركةَ كفاحٍ جديدةً".

رويدة كنعان

رويدةُ كنعان، ناجيةٌ من الاعتقالِ قدَّمَتْ شهادَتها في محكمةِ "كوبلنز" 13 ضدَّ أنورَ رسلان، رئيسُ قسمِ التحقيقِ في الفرع 251 بدمشقَ والمعروفُ باسمِ "أمنِ الدولةِ – فرعُ الخطيب".

رويدة، عضوُ الأمانةِ العامةِ في الحركةِ السياسيةِ النسويةِ، وهي صحفيةٌ، كتبَتْ مقالا 14 تحت عنوان " محكمةُ كوبلنز لن تكونَ الأخيرة" كصحفيةٍ شاهدةٍ ضدَّ أنورَ رسلان، ومن مقالِها أوردُ ما كَتبَتْه:

" كنتُ أشعرُ بارتياحٍ وأنا أستمعُ للاعترافِ بانتهاكاتِ النظامِ بحقِّ الشعبِ السوريِّ داخلَ أروقةِ المحكمة، كان اعترافاً قضائياً بأن ما فعلَهُ النظامُ وما يزالُ يفعلُه هو جرائمٌ ممنهجةٌ ضدَّ السورياتِ والسوريين، لكن ورغمَ أهميةِ هذا الاعترافِ القضائيِّ فهو لا يعني تجريمَ النظامِ السوري. فقانونياً لم يَصدُرْ عنِ المحكمةِ قرارٌ بمنعِ الحكومة الألمانية -على سبيل المثال- منَ التعاملِ معَ النظامِ السوريِّ الشموليِّ كما وصفَتْه القاضيَة، بل جاءِ هذا السردُ فقط للتعبيرِ عنِ السياقِ الذي ارتَكَبَ فيه رسلانُ جرائمَه. وقد قالَتِ القاضيةُ ذلك بشكلٍ واضحٍ "الحُكمُ ليسَ للنظامِ السوري، وإنما يتعلقُ الحكمُ بسلوكِ المتهمِ الفردي".

اعتُقِلَتْ رويدةُ ثلاثَ مراتٍ، الاعتقالُ الأولُ كانَ في عامِ 2011، حيثُ تم اعتقالُها خلالَ مظاهرةٍ في شارعِ العمارةِ في مدينةِ دمشقَ،

واستمرَّ اعتقالها لمدةِ ثلاثةِ أيامٍ في فرعِ الأمنِ الجنائيِّ في دمشقَ بتهمةِ إثارةِ الشغب. أما الاعتقالُ الثاني فكانَ في شباط 2012 دامَ لمدةِ شهرٍ في فرعِ الخطيبِ وفرعِ 285 إدارةِ المخابراتِ العامة، بتهمةِ دعمِ المسلحينَ والترويجِ لتغييرِ الدستورِ للنيلِ من هيبةِ الدولة. وكان الاعتقالُ الثالثُ هوَ الأطولُ، والذي اختبرَتْ فيه أشكالاً مختلفةً منَ التعذيب، دامَ لمدةِ عشَرَةِ أشهرٍ، حيثُ سُجِنَتْ في فرعِ الجويةِ في دمشق. وهذه المعلوماتُ أخذْتُها من **مقابلةٍ 15** أجريتُها أنا سابقاً مع رويدةَ، حكَتْ رويدةُ في هذه المقابلةِ عن نشاطِها واعتقالِها ونضالِها السابقِ والحاليِّ ولاسيما في قضايا النساء، لذلك عندما تواصلْتُ مع رويدةَ أردتُ أن تكونَ مقابلَتِي معها في موضوعِ سرديةِ الاعتقالِ للتركيزِ على وجهةِ نظرِها أو رؤيَتِها في دعمِ الناجياتِ منَ الاعتقالِ وطُرقِ تحقيقِ العدالة.

قضيةُ الناجياتِ منَ الاعتقالِ في سوريةَ تستحقُ المزيدَ منَ الاهتمام، هنَّ شاهداتٌ على الجرائمِ وعلى تَعرُّضِهن لانتهاكاتٍ خطيرةٍ لحقوقِهِن الإنسانيةِ، التعذيبُ والأمراضُ المزمنةُ والأمراضُ النفسيةُ، فضلاً عن حوادثِ العنفِ الجنسيِّ بأشكالِه والعنفِ المبنيِّ على النوعِ الاجتماعيّ، وتواجهُ الناجياتُ صعوبةً في الوصولِ لخدماتٍ صحيةٍ ونفسيةٍ والحصولِ على حقوقِهن القانونيةِ والمهنية.

كان حديثي مع رويدةَ مُرَكَّزاً عمَّا تريدُه الناجياتُ من دعمٍ، وعن طرقِ وآلياتِ الوصولِ للعدالةِ والمحاسبة.

واختـرْتُ رويـدةَ للحديـثِ خاصـةً عـن هـذا الجانـب، لأنهـا كان لهـا مـن الشـجاعةِ أن تقـفَ فـي محاكـمٍ قضائيـةٍ، وإنْ دلَّ ذلـكَ علـى شـيءٍ فهـو يـدلُّ علـى وضعِهـا خطـوةً أولـى علـى مسـارِ الحقيقـةِ والعدالـةِ للناجيـاتِ والمعتقلات/يـن فـي سـوريا.

قبلَ أن أكتبَ حديثي مع رويدةَ، أريدُ أن أَذْكرَ بأنني كنتُ أتواصلُ مع رويدةَ لترتيبِ وقتٍ مناسبٍ لإجراءِ المقابلة، فرويدةُ كانت مشغولةً جداً، ولكن عندما تمكنَّا من إيجادِ الوقتِ المناسبِ للِّقاء، أرسلَتْ لي رويـدةُ تسـجيلاً صوتيـاً اعتـذَرَتْ فيـه علـى التأخـرِ فـي الـرد، وأرغـبُ أن أوردَ ما قالتْهُ في تسجيلِها الصوتي، وباللغةِ العاميـة لأنني وجدْتُ في كلامِها تعبيراً ووصفاً لحالةِ الناجياتِ عندما يتذكرْنَ حكايةَ اعتقالهن:

" بداية كمان من أسباب التأخير بالإرسال إنه الاعتقال هيك بدو طاقة، الحديث عن الاعتقال بدو طاقة إضافية، لأن أنا بشوف إنه أصعب مرحلة بحياة البني آدم هي الاعتقال، يعني بالحياة منحكي عن مستقبلنا، بنقول بعد سنة بعد سنتين بعد كذا، أما بالاعتقال وبالسجن ، فالزمن هو ساعات فبنقول بعد ساعة بعد ساعتين بعد يوم.

بتذكر أول ما أفوت على أي زنزانة، أدور على قطعة معدنية، قطعة حجر لحتى بس أقدر أعمل تاريخ أو رزنامة لوجودي بهذا المكان مشان ما أنسى، مشان ما تضيع مني الأيام.

فبتذكر كنت أعمل هي الخريطة تبع خط 1،2،3،4 وأقفلهم بالخمسة وهكذا، بعدين إنه نكون أول شيء عم نعد خطوط، بعدين بيصير عم نعد خمسات، بعدين حتى هدول منعملهن بمجموعات ونصير نعدهم بالسلاميات وهكذا. يعني الحديث عن اعتقال بحاجة طاقة إضافية لحتى نحكي عنها، بس لازم على طول نحكي بشكل من الأشكال".

برأيكِ ماذا تحتاجُ الناجياتُ من الاعتقالِ من الدعم؟

بيئةٌ حاضنةٌ متفهمةٌ لما مرَّت به الناجيات، بيئةٌ لا تجعلُ الناجيةَ تشعرُ بالذنبِ لأنها اعتُقلت، بيئةٌ محيطةٌ داعمةٌ لا تسألُها إن تعرضَتْ للاغتصابِ أو التحرش، هذه البيئةُ هي أولُّ احتياجاتِ الناجيات، إنَّ وجودَ مثلِ هذه البيئةِ هي أولُ خطوةٍ لدعمِ الناجيات.

قبْلَ تقديمِ الدعمِ النفسيِّ للناجيات- والدعمِ النفسيِّ أمرٌ مُلِحٌّ طبعاً- هناكَ أمورٌ هامةٌ وأساسيةٌ يحتجنَها ولابد من تأمينِها أولاً، منها المأوى الآمنُ والحاجاتُ الإنسانيةُ الأساسيةُ من مأكلٍ وملبس. فمثلاً تقومُ بعضُ المنظماتُ بتقديمِ الدعمِ النفسيِّ للناجياتِ دونَ النظرِ إلى تلكَ الحاجاتِ الأساسية، كيف نفكرُ بالدعمِ النفسيِّ لناجيةٍ وقد أرهقَها التفكيرُ في تأمينِ الطعامِ والمأوى لأطفالِها، هنا يصبحُ الدعمُ النفسيُّ بلا جدوى فعلياً.

تأمينُ فُرصِ العملِ للناجياتِ هو احتياجٌ هامٌ آخرُ، وتأمينُه بحدِّ ذاتِه دعمٌ يساعدُ الناجيةَ على إعادةِ توازنِها النفسي.

هل حصلَتِ الناجياتُ على الدعمِ المطلوب؟ فمثلاً هلِ استطاعَتْ منظماتُ المجتمعِ المدنيِّ تقديمَ دعمٍ للناجيات؟

لا أنفي أن بعضَ المنظماتِ بذلَتْ جهوداً وحاولَتْ تقديمَ بعضٍ من الدعمِ المطلوبِ للناجيات، فهي قدمَّتْ مساعداتٍ ماديةٍ بسيطةٍ. عَمِلَتْ على الجانبِ النفسي، وقامَتْ بحملاتِ مناصرةٍ في محاولةِ لإسقاطِ الوصمةِ عن الناجيات، هذه الوصمةُ التي تجعلُ الناجياتِ في حالةٍ نفسيةٍ سيئة، ولكن هذا لا يكفي وتحتاجُ الناجياتُ لدعمٍ أكبرَ على مستوى تغييرِ المنظومةِ المجتمعيةِ والسياسية، وهذا أمرٌ قد لا تتمكنُ منظماتُ المجتمعِ المدنيِّ منَ القيامِ به لأسبابٍ تتعلقُ بالتمويلِ والوقت، إضافةً إلى أن قضيةَ دعمِ الناجياتِ ليستْ أولويةً أمامَ القضايا الأخرى في الشأن السوري المعقّد.

إن قضيةَ دعمِ الناجياتِ قصةٌ معقدة، وهي أكبرُ من منظماتِ المجتمعِ المدني، القضيةُ مرتبطةٌ بالمجتمعِ و بالثقافةِ وبالدينِ وبالوضعِ الاقتصادي و بالحربِ التي ماتزالُ مستمرةً في سوريا. كلُّ هذه التفاصيلِ إلى جانبِ عدمِ وجودِ حلٍّ سياسيٍّ حقيقيٍّ في سوريا، يعيقُ تقديمَ الدعمِ الفعليِّ والمطلوبِ للناجياتِ منَ الاعتقال.

كيف يتم تحقيقُ العدالةِ للناجيات؟

عندَ الحديثِ عن تحقيقِ العدالةِ سواءٌ للناجياتِ أو لمن مازالوا بالسجونِ والمعتقلات، فهذا الحديثُ لا يكونُ إلا بزوالِ هذا النظام، ومع وجودِ حلٍّ سياسيٍّ حقيقيٍّ يضمنُ عدمَ تكرارِ عملياتِ الاعتقال، وعدمَ انتهاكِ حقوقِ الناجياتِ مرةً ثانيةً. العدالةُ تتحققُ بمحاسبةِ كلِّ مرتكبي جرائمِ الانتهاك.

هذا الأمرُ لن يكونَ سهلاً في المرحلةِ الحالية، ولكن هناكَ خطواتٌ تحدثُ في أوروبا مِثلَ محاسبةِ بعضِ منتهكِي الجرائمِ في سوريا، هي خطوةٌ جيدةٌ وأولى.

لكنَّ المحاسبةَ الحقيقةَ تكونُ بمحاسبةِ رأسِ السلطةِ والنظامِ وقياداتِ الأفرعِ الأمنيةِ وقياداتِ الدفاعِ المدنيِّ والشبيحة، طبعاً عمليةُ المحاسبةِ هي قضيةٌ معقدةٌ في سوريا، وأعتقدُ أنها لن تَتِمَّ كما يجبُ إلا بإطارِ عدالةٍ انتقاليةٍ في سوريا.

تضمنُ العدالةُ الانتقاليةُ محاسبةَ كلِّ المجرمين، جبرُ الضررِ للناجياتِ منَ الاعتقال، استعادتُهن لكرامتِهن و حريتِهن بشكلٍ حقيقي، ففِعلياً لا يمكنُ أن يُعتبرَ الفردُ حراً و لديه ذلك الخوفُ منَ الاعتقال مرةً ثانيةً.

كيف تريدينَ محاسبَةَ مرتكبي جرائمِ الاعتقالِ في سوريا؟

محاسبةُ مرتكبي جرائمِ الاعتقالِ في سوريا، عمليةٌ معقدةٌ. حقيقةٌ أنا لن يكون لدي ثقةٌ بالقضاءِ الوطنيِّ في مرحلةِ العدالةِ الانتقاليةِ، أو بمعنىً آخرَ بذيولِ هذا القضاءِ الوطني، الذي سكَتَ عن كُلِّ الانتهاكاتِ السابقةِ وكان حتى مشاركاً فيها، ولكن لا يعني هذا فقداني لكلِّ الثقةِ بالمطلق، لذلك فأنا أُفضِّلُ في حالةِ وصولنا لمرحلةِ الانتقالِ السياسيِّ والعدالةِ الانتقاليةِ والوصولِ للمحاسبةِ أن يكونَ هناك قضاءٌ مختلطٌ تحت إشرافٍ أممي.

برأيْكِ كيف يمكنُ الكشفُ عنِ المعتقلاتِ والمعتقلينَ في سجونِ النظام؟

يوجدُ خطواتٌ جيدةٌ في اتجاهِ الكشفِ عن حالاتِ الإخفاءِ القسري، مثلَ ميثاقِ الحقيقةِ والعدالة، الذي أطلقَتْه مجموعةٌ من عائلاتِ وأهالي المخفيينَ قسراً، مثلَ الآليةِ المستقلةِ الجديدةِ التي صدرَتْ مؤخراً عنِ الجمعيةِ العامةِ للأممِ المتحدة، ولكن فعلياً الكشفُ عن المصيرِ يحتاجُ إلى تدخلٍ أممي، لأن هذه القضيةَ أصبحَتْ أكبرُ من السورياتِ والسوريين. لابد منَ الضغطِ باستخدامِ القوة- أنا لا أحب استخدام القوة حقيقةً- لكنَّ النظامَ السوري نظامٌ متعنتٌ، فهو رفضَ الآليةَ الجديدةَ في البدايةِ على سبيل المثال، وهو لن يتعاونَ معها.

نقطةُ الكشفِ عنِ المصيرِ هي أيضاً بدورِها معقدةٌ، لأن الإخفاءَ القسريَّ فعلٌ لم يرتكبْه النظامُ فقط، بل جميعِ أطرافِ النزاعِ الأخرى، وحتى اللحظةَ لم يُتمَّ فتحُ تحقيقاتٍ جديةٍ للكشفِ عن مصيرِ المخفياتِ/ينَ قسرياً لدى هذه الأطراف.

وأعيدُ وأكرّرُ أن الكشفَ عن ضحايا الإخفاءِ القسريِّ لن يتمَّ وبصورةٍ حقيقيَّةٍ دونَ الحلِّ السياسيِّ في سوريا.

وتضيفُ رويدةُ:

ما لمستُه وأحسستُه من خلالِ النشاطِ السياسيِّ والنسوي، أنه لا يوجدُ بذلُ جهدٍ حقيقيٍّ لحلِّ القضيةِ السوريةِ بشكلٍ عامٍّ، و قضيةُ الاعتقالِ والإخفاءِ القسريِّ بشكلٍ خاص، لا من طرفِ المعارضةِ السوريةِ ولا من طرفِ المجتمعِ الدولي. لا ألومُ المعارضةَ السوريةَ كثيراً، لأنني ذكرَتْ بأن القضيةَ أكبرُ منهم، علاوةً على أنه لا يوجدُ رغبةٌ وإرادةٌ سياسيةٌ لحلّ القضيةِ سواءٌ أكان على مستوى الأممِ المتحدةِ أم على مستوى الدولِ المعنيةِ بالقضيةِ السورية. ولكن لا يعني هذا أن نسكُتَ أبداً كأفرادٍ و منظمات، ونطالبُ الجميعَ بحلولٍ جذرية.

الوسمُ أو وصمةُ العارِ التي تلاحقُ الناجياتِ منَ الاعتقال، تحتاجُ بدورها العملَ عليها بشكلٍّ جديٍّ وجذريٍّ،

فمثلاً أنا خلالَ اعتقالي في دمشقَ تعرَّفْتُ على نساءَ تم طلاقُهن وهن في السجن، فَضَّلَتْ بعضُ النساءِ اللواتي خرجنَ من السجنِ البقاءَ في دمشقَ على الذهاب إلى بلداتهن ومحافظاتهن الأصلية، خوفاً من وصمة العار، وهؤلاءُ تعرضْنَ لاحقاً للاستغلالِ ومنهنَّ من صارت جزءً من شبكاتِ الدعارةِ في دمشق، هناكَ نساءٌ خرجْنَ من السجنِ وتم أخذُ أولادِهن منهن من قبل أزواجِهن أو ذويهن.

تغييرُ النظرةِ المجتمعيةِ وإلغاءُ وصمةِ العارِ قد يحتاجُ إلى وقتٍ طويلٍ، لأنه مرتبطٌ بالدينِ والعاداتِ والتقاليدِ الراسخةِ من مئاتِ السنين، ولكنهُ ليس مستحيلاً إن تم وضعُ خططٍ وعملٍ مشتركٍ بين المنظمات، الناجيات، المجتمع، المنظمات الأهلية، الدولة، السلطات الموجودة..

رويدة كنعان

هبة رمضان

هبةُ (28) عاماً، من الغوطةِ الشرقية، تقيمُ حالياً في تركيا.

كنتُ أودُّ لو تتمكنَ القارئَة/ئ من سماعِ صوتِ هبةَ وهيَ تَقُصُّ لنا حكايتَها، ففي صوتِها بكاءٌ مخفي، وصبرٌ يتحدى كل ما مرَّت به، وإصرارٌ على تجاوُزِ كلِّ ألمِ الاعتقالِ وأملٌ بأن العدالةَ قادمةٌ لامحالة. وحكايتُها:

تزوجَتْ هبةُ بعمرٍ صغيرٍ، أنجبَتْ طفليـنِ ولداً وبنتاً، ولم يكنْ لها أيُّ نشاطٍ أو عملٍ سياسيٍّ قبل عام 2011، ولكن بعدَ اندلاعِ الأحداثِ في سوريا، سارعَتْ عائلتُها لتصبحَ من أولى العائلاتِ التي شاركَتْ بالمظاهراتِ المناهضةِ للنظام.

" تزوجت في سن مبكرة، لم يكن لدي أي اهتمام بالسياسة، ولا أي نشاط معارض، شغلي هو العناية ببيتي وطفلي. بعد عام 2011 كانت عائلتي من أول العوائل التي شاركت في المظاهرات ضد النظام في الغوطة الشرقية".

وتنقُلُنَا هبةُ مباشرةً إلى حكايةِ اعتقالِها في شهرِ نيسانَ من عام 2015.

" في طريقي إلى طبيبِ الأسنان، بالقربِ من دوارِ سوقِ الخضارِ في

شارعِ الأمينِ بحيِ الشغور، أوقفتني سيارتان، نزلَ منهما ثلاثةُ عناصرَ من الأمن، وضعوا كيساً في رأسي، قيدوا يدَيَّ، وأخذوني معهم، كان ذلكَ في الشهر الرابع من عام 2015".

أما سببُ الاعتقالِ والتُهمُّ التي وُجهتْ لهبةَ فهي وكما أخبرَتْنا: " إعطاء إحداثيات لمطار دمشق الدولي! وإدخال أدوية للغوطة الشرقية".

" عندما اعتقلت كان عمر ابني 7 أشهر فقط، أي أنني كنت مرضعة. لم أكن متعافية بعد من العملية القيصرية، الألم الجسديُّ كان شديداً لا يمكن وصفه في المعتقل" تقول هبة.

اعتُقلتْ هبةُ ما يقارب الخمسةِ أشهر، تنقلَتْ فيها بين أكثرَ من فرع: " مدة اعتقالي كانت 4 أشهر و19 يوم، زرت فيها فرع الأمن الجنائي وفرع فلسطين وفرع الخطيب. ويصعب حقيقة إيجاد كلمات لوصف العذاب الجسدي والنفسي".

خرجتْ هبةُ منَ المعتقلِ بعدَ أن أنكرَتْ كلَّ التهم، هذا الإنكارُ الذي دفعَتْ ثمنَه باهظاً من جسدها ونفسيتها: " كان أسلوب التحقيق معي في البداية، ليناً لطيفاً، ولكن تحول المحققين والسجانين لوحوش بعد إنكاري لكل التهم ضدي. كنت أتمنى الموت كل لحظة لشدة الضرب والتعذيب، تعرضت للشبح، ضربت بخرطوم ماء،

تم رفسي في كل أنحاء جسمي، أثناء التعذيب تعرضت للصعق الكهرباء، ناهيك عن السب والشتم والكلام القذر".

" لم أفكر بأي شيء في المعتقل سوا بطفلي، كنت أسأل نفسي هل سأخرج من السجن وأرى ولدي" تضيف هبة.

أريدُ أن أشيرَ إلى أن هبة تحفَّظَت على ذكرِ روايةِ تعرُّضِها للعنفِ الجسدي في المعتقل: " لا أريد أن أذكر تفصيلِ تعرضي للعنف الجنسي في المعتقلِ، أنا لن أنسى، ولكنني أفتعلُ النسيانَ جاهدةً".

عن طريقِ الوساطات ودفعِ المالِ خرجِتْ هبةُ منَ المعتقل: " كنت أعلمُ بأنَّ أهلي لن يتركوني في السجن. بواسطةِ زوجِ عمتي وهو صاحبُ نفوذ بالدولة، وبالإضافةِ لدفع أهلي مبالغَ من المالِ تم الإفراجُ عني. بعد خروجي من المعتقل كان يتوجب عُليَّ زيارةَ مقرِّ الشرطةِ العسكريةِ كلَّ أسبوع، وفي كلِّ مرةٍ أذهبُ للمقرِّ أسمعُ سيلاً من الشتائمِ والإهاناتِ مع الضرب. كما أن زوجي الذي كان يؤدي خدمة العلم (احتياط)، كانت تصلُ لقطعته العسكريةِ برقيةً كلَّ أسبوعٍ تتضمنُ طلبَ مراجعتي لقسم الشرطةِ العسكرية، كلُّ تلك الأمورِ مجتمعةً مع شعوريَ الدائمِ بالخوفِ والقلقِ من اعتقالي مرةً ثانيةً، دفعتني لاتخاذِ قرارِ الرحيلِ عن سوريا".

في الحديثِ عن مغادرةِ هبةَ لسوريا وتبعاتِ

هذا القرارِ عليها وعلى أطفالها، أريدُ تسليطَ الضوءِ على معاناتينِ اختبرَتْهُما هبةُ بسببِ الاعتقال، الأولى: آلامٌ جسديةٌ لم تبرَأْ منها حتى اللحظة: " كان اللون الأزرق يغطي ساقي من الركبة وحتى أسفلِ قدمي بعد خروجي من المعتقل، علاوة على تكلُّس رُكبي وأقدامي، بقيتُ مدةَ شهرٍ ونصف أعرجُ على قدمي. حين كنتُ أضعُ قدمي على الأرضِ أشعرُ بأن مساميراً تدخلُ فيها من شدةِ الوجع. وجدتُ صعوبةً كبيرةً في تحريكِ قدمي، كنت أحسُّ بأنها ستكسر أو تخلعُ من مكانها، كنت اسمع أسمعُ طقطقة عظامِ ساقي. أُعاني أنا اليومَ من مرضٍ في عيني اليسارِ -التي أجريتُ لها عملية - من نظر ضعفِ النظرِ بسببِ كميةِ الضربِ التي تلقيتُها على رأسي في المعتقل، ألامُ ديسكٍ ووجعٌ في الظهر، وحتى اللحظة ما يزالُ تكلس الركب يصاحبني".

أما المعاناةُ الثانية: فهي كما أسمتها هبة " نظرة الناس" وأوردها باللغة العامية كما حكتها هبة: " وقت طلعت من الاعتقال، يلي ما كان يجي لعندي بالقبل صار يجي لعندي، يعني تخيلي، أنا كنت نايمة بالتخت، معنفة من رجلي، عم أخذ أدوية، حالتي الصحية كثير صعبة. وجهي كان مبين عليه التعب والإرهاق وقلة الأكل، فالناس تجي تتفرج علي، يعني والله العظيم نظرة الناس أنا لهلئ مو نسيانتها، انه بيحكوا علي، مجنونة، مهبولة، ما فيها عقل، مانها متذكرة حدا، انطوائية، طلعت من المعتقل مجنونة خالص. طيب يعني شخص طالع من المعتقل كيف يعني بدها تكون أمورو؟ فعنجد المنطقة يلي أنا كنت قاعدة فيها صدقيني

إذا مو كلها ثلاثة أرباعها أجت تتفرج على منظري بعد الاعتقال، يعني أنا ولدت بوالدين وما حدا أجى دق بابي وسأل علي. ليش؟ ليش؟ أجوا؟ تخيلي يقلولهم أهلي مو قادرة تشوف حدا، فيقلولهم لأ بدنا نشوفها!.. لما أطلعت على تركيا اتخلصت من هل النظرة".

بالعودةِ لقرارِ هبةَ بالرحيلِ عن سوريا، فكانَ ثمنُه الطلاقُ والبعدُ عن أولادها: " قررت مغادرة سوريا، ولكن زوجي رفض المغادرة، فكان الطلاق هو الحل. غادرت وحيدة دون ولدي"

تدخلُ هبةُ تركيا عبرَ طُرقِ التهريب في عام 2016: " تزوجْتُ في تركيا من رجلٍ يشعرُ بالفخر إنني معتقلة، ليس الوضعُ رائعاً في تركيا، ولكنني تخلصتُ من نظرةِ الناس، أحاولُ الدخولَ في بحرِ نسيان الماضي".

العدالةُ التي تريدُها هبةُ: " أريد رؤية ولدي، ابنتي تبلغ اليوم /12/ عاماً وابني /9/ أعوامٍ، التواصل معهما شبه معدوم" وتتابع: " أريد محاسبةَ كلِّ المجرمينَ بإعدامِهم وحبسِهم مدى الحياة، لقد ظُلمنا، لقد خسرتُ أطفالي، خسرتُ صحتي".

دعمُ الناجياتِ أمرٌ مُلحٌ وضروريٌ تراه هبة: " نحن بحاجة للدعم المادي والنفسي. يجب أن يتم تمكين الناجيات سياسياً وقانونياً،

حتى يصبحَ لديهن دورًا في العدالةِ القادمة».

الفصلُ الثّاني: أهالي المعتقلين

حَدَّثَنا أهالي المعتقلينَ والمخفيينَ قسراً عن بحثٍ يَلُفُّهُ اليأسُ من سماعِ خبرٍ ولو بسيطٍ عن ذويْهِم وأبنائِهم المعتقلين، وعن تَعَرضهم للتهديدِ والابتزازِ وللخساراتِ المادِّيةِ الكبيرة. يُخبِرُنَا الأهالي عن آثارَ صعبةٍ عاشُوها ولا سيما زوجاتِ المعتقلينَ وأولادُهُنَّ، تلك الزوجاتُ اللواتي عايَشْن ضغوطاً اجتماعيةً واقتصاديةً ونفسيةً قاسيةً رَتَّبَها عليهِنَّ غِيابُ الزّوجِ والمعيلِ وانقطاعُ أيِّ خبرٍ عنه. يَحكي لَنا أهالي المعتقلينَ خيباتِهم من وجودِ حلٍّ لملفِّ المعتقلاتِ/ ينَ في سوريا، وبعضُهم يقطعُ أيَّ أملٍ بالوصولِ إلى معرفةِ الحقيقة.

أهالي المعتقلين تحت جسر الرئيس في دمشق، بعد إصدار العفو الرئاسي الأخير

إسراء

زوجةُ معتقل، من ريفِ درعا الشماليِّ الغربي، كان عمرُها /32/ عاماً عندما اعتُقل زوجُها "

" طمنيني يعني في شي جديد بخصوص المعتقلين؟ في جهة رح تتولى البحث عنهم؟ أم خلص نفقد الأمل؟" هكذا وبلهفةٍ ردَّتْ عليَّ إسراءُ عندما سألتُها على الهاتفِ عن إمكانيةِ مشاركتِها قصةَ زوجِها المعتقلِ منذُ عامِ 2012.

اسمُها ليس إسراءَ، فهي تُفضِّلُ ألا يذكرَ اسمُها الحقيقي خوفاً، فإسراءُ ماتزالُ تعيش في مناطقِ سيطرةِ النظامِ، ويصلُ خوفُها لدرجةِ أنها رفضَتْ أيضاً أنْ يذكرَ اسمُ المنطقةِ التي تعيشُ فيها حالياً، لذلكَ اكتفيْنا بأن نقولَ بأنها تعيشُ في مدينةٍ أو قريةٍ تابعةٍ لريف درعا الشمالي الغربي.

زوجُ إسراءَ من نفس منطقتها من مواليد 1978: " كان زوجي أرملاً حين تزوجتُهُ، كان لديهِ أربعةُ أطفالٍ، ثلاثةُ ذكورٍ وبنتٌ، وبعدَ زواجِنا أنجبْتُ منهُ طفلتَين. أولادُه كانوا أطفالاً صغاراً أصغرُهم يبلغُ منَ العمرِ /7/ سنينَ، كُلهمُ اليومَ وبعدَ مرورِ أكثرِ من عشرِ سنواتٍ على اعتقالِ والدهِم أصبحُوا شباباً. هو كان يعملُ خياطاً، ويملكُ محلهُ الخاص".

بدايةُ الحراكِ الثوري في سوريا، كانَ في محافظةِ درعا، وتحديداً درعا البلد وريفِيها الشرقيِّ والغربيِّ، وهذه المحافظةُ من أكثرِ المحافظاتِ التي شهدتْ اقتحاماتٍ ومداهماتٍ من قِبَلِ أمنِ وأجهزةِ النظامِ السوريِّ، ويَترافقُ مع تلكَ الاقتحاماتِ والمداهماتِ اعتقالاتٌ لشبابٍ من مدينةِ درعا وأريافِها على نحوٍ عشوائي. زوجُ إسراءَ كان أحدَ الشبانِ الذينَ تم اعتقالهُم في واحدةٍ من تلكَ المداهمات: " سمعْنا طَرقاً عنيفاً على بابِ منزلِنا، ودونَ استئذانٍ وبصورةٍ مخيفةٍ دخلَ عدةُ عناصرَ من جيشِ وأمنِ النظامِ منزلَنا، وراحوا يُفتشونَ كلَّ غرفِ البيت، ليجدوا في خزانةِ زوجي جهازاً لاسلكياً، و كان هذا كفيلاً بأن يعتقلَ زوجي، وتختفِيَ كلُّ أخبارِه عني لسنواتٍ طويلةٍ".

" ربما كان زوجي مسانداً أو يعملُ مع الثوارِ، أنا حقيقةً لا أعرفُ ولكنني بعدَ اعتقالِه بحثتُ عن مكانِهِ أو عن أيِّ خبرٍ عنهُ ولكن دون جدوى، كما أنني خسِرتُ أموالاً كثيرةً، وكنتُ على وشكِ أن أخسرَ مبلغاً كبيراً في رحلةِ بحثي عن مكانِه" تقولُ إسراء.

وعن رحلةِ بحثِها تشرحُ إسراء: « تمكنتُ من الوصولِ إلى أشخاصٍ نافذينَ في النظامِ، وحقيقةً دفعتُ رشوةً للأشخاصِ الذينَ وصلونِي معهم، دفعتُ المالَ لعناصِرَ أمنيةٍ في النظامِ قالوا أن لديهِم قوائمَ اسميةٍ عنِ المعتقلينَ يعرفونَ من خلالِها إنْ كان حياً أو ميتاً، ذهبتُ إلى القصرِ العدليِّ عدةَ مراتٍ في مدينةِ دمشقَ، وهناك أيضاً دفعتُ مبالغَ ماليةٍ لأحدِ العناصرِ المتواجدينَ هناك في القصرِ العدلي

ليبحثَ لي عن اسمِ زوجي إن كان من ضمنِ الذين سيُقدمونَ للمحاكمة، ومع كلِّ ذلكَ لم أتمكنْ منَ الحصولِ على أيةِ معلومةٍ عنه».

"ولأنني كنتُ مرهقَةً أشعرُ باليأسِ والخيبةِ، كنت سأُقْدِمُ على دفعِ خمسينَ مليونِ ليرةٍ سورية في عام 2014 لشخصٍ أكَّد لي بأن زوجي حَيٌّ، وهو قادرٌ على إخراجِه من فرع الأمنِ العسكري. بدأت فعلياً أسألُ أهلي وأهلَ زوجي وأقارِبي ومعارِفي بأن يساعدونِي في جمعِ المبلغ، وهم وعلى الرغمِ من تأكيدهم لي بأنني أتعرضُ للنصبِ والاحتيال، لم أصدقهم، وبقيتُ أبحثُ عن طريقةٍ لتأمينِ المبلغِ، ولكن ما حدثَ وبعد أن تواصلتُ مع الشخصِ الذي طلبَ الخمسينَ مليونِ ليرةٍ، وأخبرتُه بأن المبلغَ المطلوبَ مرتفعٌ جداً ويصعُبُ عليَّ تأمينُه، بدأَ يقولُ لي بأنه سيُخفِّضُ المبلغَ، وهو سيقبل بمبلغٍ أقلَّ من ذلكَ بكثير، هنا أدركتُ ما كنتُ مقدمةً عليهِ وبأنني أتعرضُ للنصبِ والاحتيال، فتوقفْتُ وقطعْتُ كلَّ الاتصالاتِ بهذا الشخص "تحكي إسراءُ عن تعرضِها للنصبِ في قضيتِها.

وتمرُّ السنواتُ على إسراءَ عصيةً صعبةً تتحملُ فيها غيابَ أي خبرٍ عن زوجِها. تربيةُ ستةِ أولادٍ وحدَها، و ضوائقُ ماليةٌ واقتصادية: « زوجي كانَ ميسورَ الحالِ وعشتُ بوجودِه حياةً كريمة، ولكنْ بعدَ اعتقالِه وجدتُ نفسي مسؤولةً عن تربيةِ ستةِ أولادٍ وحدي، فأهلُ زوجي انشغلوا بحياتِهم عني، وحتى عن أولادِه من زوجتِهِ السابقَة.

كان الحزنُ يَفطُرُ قلبي حينَ كنت أرى بناتي دونَ أبٍ ويزدادُ ألمي حينَ لا أقدرُ على تلبيةِ احتياجاتِهم من لباسٍ أو مصاريفُ مدرسيةٍ وغيرِها، الأمرُ الذي دفعَني لأفكرَ في العملِ لأكفيَ نفسِي وأولادِي، ولا أقعدَ أطلبُ الصدقةَ من أحد".

لم تكنْ اسراءُ تحملُ سوى الشهادةِ الابتدائية، الأمرُ الذي صعَّب عليها إيجادَ عملٍ في بلدتِها: " أخذتُ أولادي وذهبتُ إلى إحدى ضواحي مدينةِ دمشقَ بحثاً عن عملٍ في مصنعٍ أو معملٍ أو ما شابهَ فأنا لم أكن أحملُ سوى الشهادة الابتدائية، ولم أكن أعرفُ حِرفةً أو مهنةً يدويةً تُغطي تكاليفَ معيشيتي وأبنائي. وجدتُ عملاً في أحدِ المعاملِ في ريفِ دمشق، ولكنَّ تكاليفَ الحياةِ في المدينةِ لم تكن سهلةً أبداً، فازدادتِ الأعباءُ الماديةُ والمصاريف، وجاءَ الحلُّ الذي أوجعَني جداً وهو إرسال أبناء زوجي من زوجتِه السابقةِ إلى بيت أهلِ زوجي كي يتكفلوا بمصاريفِهم، كان الأمرُ خارجاً عن رغبتِي ولكنني شعرتُ بأن ذلك أفضلُ لهم ولي من ناحيةِ الأمانِ المادي".

" أن تكوني ابنةَ ريفٍ محافظ، فهذا يعني قولاً واحداً بأنهُ لا يمكنُكِ العملُ في معمل، ولا يُمكنُكِ مغادرةَ بلدَتِك وأنت بدون زوج، فأنتِ إن غادرتِ وعملتِ ستكوني امرأةً سيئةً مخالفةً لعاداتِ مجتمعِها وخارجةً عن قِيَمه وأخلاقِه، والطامةُ إن كان لديكِ بنات. إن العيشَ على الصدقاتِ أفضلُ في نظرِ مجتمعِك المحافظِ من أن تعملي في معمل، وبسببِ هذا الاعتقادِ والنظرةِ للمرأةِ العاملةِ في المجتمعِ

المحافظِ هددني أهلُ زوجي بأنَّهم سيأخذونَ مني بناتِي إن لمْ أرجِعْ إلى البلدةِ مع بناتِي وأقبَلَ العيشَ بما يتصدقُ به الآخرونَ عليَّ " تتحدثُ إسراءُ عن أكبرِ الضغوطاتِ المجتمعيةِ والنفسيةِ التي واجَهَتْها بعدَ أن أصبحتْ مُعيلةَ أولادها.

وتتابع: " رفضتُ العودةَ قطعاً، فأنا لن أعودَ إلى ذلكَ المجتمعِ الذي كان يُجَرِّمُني إن خرجتُ من منزلي لمجردِ أنه ليس لي زوج، كنتُ دائماً مُراقَبةً من الجميعِ بكلِّ حركاتي وتَصرفاتي، فاخترتُ البقاءَ في غرفةٍ صغيرةٍ مُستأجَرَةٍ مع بناتي على الشعورِ بأنني مسجونةٌ وأختنق".

في صيف 2018 تمكن النظامُ السوري وحليفُهُ الروسيُّ من بسطِ سيطرتِهِ على كامِلِ محافظةِ درعا، وقالَ الحليفُ الروسي الذي كان ضامناً للمصالحاتِ والتسوياتِ مع معارضـات/ـي النظام، بأن سيكونُ هناك إطلاقُ سراحِ المعتقلـ ات/ين في درعا. وبحسبِ إسراءَ فإنهُ كانتْ هناكَ مبادرةٌ من قِبَلِ النظامِ للكشفِ عن مصيرِالمعتقلات/ين في السجون: " قالَ النظامُ بعدَ أن سيطرَ على محافظةِ درعا، بأنهُ يمكنُنَا نحنُ أهالي المعتقلينَ أن نُحضرَ دفترَ العائلةِ وإخراجَ قيدٍ عائلي ونتوجَهَ إلى النفوسِ لنعرفَ إذا ما كان المعتقلُ الذي نبحثُ عنهُ حياً أم ميتاً. ذهبت حقيقةً بهذهِ الأوراقِ إلى السجلِ المدني، ولكنني وحتى اليومَ لم أعلم أي خبرٍّ عن زوجي.

وكما سمعتُ بأن أغلبُ من أُطلقَ سراحُهُم هم تجارٌ أو سارقون، أي بمعنى أنهم لم يكونوا من المعارضينَ ولا الثائرين. الاعتقالُ لمْ يتوقفْ بعد 2018، فالنظامُ اعتقلَ عشراتِ الشباب، وحتى أنهُ اعتقَل شبابَ خضعوا لعملياتِ التسويات".

" إذا لم يكن هناك جهةٌ تضغطُ وبقوةٍ على النظامِ لإطلاقِ سراحِ المعتقلين، صدقيني لن يُخرِجَ النظامُ معتقلاً واحداً من سجونِه، حتى لو بقيْنا نحن السوريينَ نصرخُ كلَّ يومٍ بأعلى صوتِنا بأنَّنا نريدُ معتقلينا" تقولُ لي إسراءُ وبكلِّ ثقة.

ماذا تريدُ إسراءُ وبعدَ أكثرِ من عشرِ سنواتٍ؟ بائسة تَرُد: " حَيٌّ أو ميْتٌ أمرٌ سيجعلُني أرتاح، هذا من ناحيةِ اختفاءِ زوجي، أما أنا فأريدُ الأمانَ المادي لي ولأولادي، تعبتُ. هناك أمرٌ لا أعرفُ كيفَ سيتغيَّرُ وهو نظرةُ المجتمعِ للمرأةِ دونَ زوجٍ وتربي بناتٍ وحدَها".

" مشاركةً، أنا خائفةٌ من أن يذكرَ اسمي الحقيقي، وترددْتُ كثيراً قبلَ الموافقةِ على الحديثِ عن قصةِ اعتقالِ زوجي، مستحيلٌ ولكن طبعاً سأكونُ مشاركةً وبكلِّ قوةٍ في حالِ تَغيرَ الوضعُ كلياً وأحسستُ بالأمان " هذا كان جوابُ إسراءَ عندما طلبتُ منها أن تفترضَ بأنهُ طُلبَ منها المشاركةُ في لجنةٍ لمحاسبةِ المسؤولينَ عن جرائمِ الاختفاءِ القسريِّ في سوريا.

أم ياسر

« زوجةُ معتقل، من ريفِ درعا الغربي، كان عمرُها سبعةً وعشرينَ عاماً عندما اعتُقِل زوجُها»

« لم أشعر بالطمأنينةِ منذُ لحظةِ اعتقالِ زوجي، كان القلقُ والخوفُ ينتابُني دائماً، كنتُ أتوقعُ كل يومٍ أن يداهِم بيتي عناصرُ النظامِ، ربَّما يعتقلونَنِي، يهددونني أو يهددونَ أطفالي» هذا اقتباسٌ من حكايةِ « أم ياسر» عن زوجِها المعتقلِ منذُ 2011.

لايزالُ الخوفُ من النظامِ السوري يسيطرُ على أهالي المعتقلات/ين في سوريا، فهم لا يشعرونَ بأنَّهم في مَأمنٍ من مخابراتِه وأجهزتِه الأمنيةِ إنْ صرَّحوا عن أسمائِهمُ الحقيقة، وهو أشدُّ عندَ أولئكَ الذينَ ما يزالون يعيشونَ في المناطقِ الخاضعةِ لسيطرتِه، لذلكَ استخدمْنا اسمَ « أم ياسر» كاسمٍ مستعار، واحتراماً لرغبتِها نذكرُ أنها تسكنُ الآن في ريفِ درعا الغربي.

وتبدأُ أمُّ ياسرٍ الحكاية: « قررَ زوجي في بدايةِ الحراكِ الثوري في سوريا السفرَ إلى إحدى دولِ الخليجِ العربي، إذ تمكنَ أحدُ أصدقائِهِ في إحدى دولِ الخليجِ من تأمينِ عقدِ عملٍ لهُ في مهنةِ السِّباكة « وتُتَابع: « كان أطفالي الأربعةُ صغاراً، وكنتُ حاملاً في الشهرِ الثالثِ عندما قررَ زوجيَ السفرَ»

لم يقطعْ زوجُ أمِّ ياسرٍ حتى حدودَ بلدتِه، فحواجزُ النظامِ المتواجدةِ على مداخلِ ومخارجِ بلداتِ وقرى ريف درعا الغربي اعتقلتْهُ: " استقَل زوجي سيارةً مع عددٍ من الركابِ مغادراً البلدةَ، ولكن ما حدثَ هو أنهُ اعتُقِلَ هو وجميعُ من كان معهُ في السيارةِ من قِبلِ إحدى الحواجزِ المتواجدةِ على مدخلِ البلدة"

أما سببَ الاعتقالِ كما سمعَتْ أم ياسر لاحقاً: " أخبروني أن سببَ اعتقالِهِ، هو أغنيةٌ خاصةٌ بالثورةِ موجودةٌ في هاتفِه النقال".

ويسيطرُ الخوفُ والقلقُ على أم ياسر بعدَ اعتقالِ زوجها خوفاً من مداهمةِ منزلها وقلقاً على أطفالها: " لم أشعر بالطمأنينةِ منذُ لحظةِ اعتقالِ زوجي، كان القلقُ والخوفُ ينتابني دائماً، كنت أتوقعُ كلَّ يومٍ أن يداهمَ بيتي عناصرُ النظام، ربما يَعتقلونني، يُهددوني، أو يُهددون أطفالي"

" بعدَ عدةِ أشهرٍ من اعتقالِ زوجي، بدأتُ أطمئنُّ قليلاً بأنه باتَ مستبعداً أن تداهمَ عناصرُ النظامِ منزلي، فكانَ لابد لي أن أبدأَ عمليةَ البحثِ عن مكانِه أو أعرفَ خبراً عنه" تحكي أم ياسر.

"حملَتْ صورتَه في جيبها، لتُريَها لكل شخصٍ سمعتْ بأنهُ خرجَ من المعتقل: " لا أنا ولا أهلي ولا أهلُ زوجي كان يعرفُ شخصيةَ مسؤولةٍ في أجهزةِ النظامِ لنسألَهُ عن زوجي. حملتُ صورتهُ معي دائماً،

لِأُريَها لكلِّ سجينٍ أو معتقلٍ في بلدتي أو حتى في القُرى والبلداتِ المجاورةِ سمعتُ بأنه خرجَ حديثاً من الحبس. بعضُهم قالَ أنهُ شاهدهُ في السجنِ معه، ولكن بجسدٍ ووجهٍ أنحفَ، عموماً كُلٌّ من قالَ أنهم شاهدوهُ لم يكونوا متأكدين إن كان هو أم شخصٌ آخر».

«بلا جدوىً وعبثاً كنتُ أحاولُ الوصولَ إلى خبرٍ عن زوجي، فاستسلمْتُ لليأسِ، ضممتُ أطفالي لصدري، أتجهزُ أنا وهم لبدايةِ معاركِنا في الصمودِ بوجهِ واقعِنَا الاقتصاديِّ والمعيشيِّ الذي صارَ أكثرَ صعوبةً وسوءً.

تقولُ أم ياسر بعد أن فقدَتْ معيلَها الاقتصادي، وتتابع: « رفضتُ أي مالٍ أو صدقةٍ عُرضَتْ عليَّ، فأنا لم اعتَدِ الصدقاتَ فعملتُ في الزراعةِ كقطافِ الزيتون، كما اضطُرَّ أطفالي إلى مغادرةِ المدرسةِ ليساعدوني في مصروفِ البيت، إذِ امتهنَ كلٌّ منهم مهنةً صعبةً، ولكن انقذَتْنا من الحاجةِ إلى الناس».

لعلَّ شقاءَ العملِ وتركَ أطفالَها لمدارسِهم، كان أهونَ بكثيرٍ على أم ياسر من تلك الاتهاماتِ الباطلة، التي راحَ البعضُ من محيطِها ومجتمعِها يوجهونَها لها حين فكرتْ في الزواجِ مرةً ثانية، وبعد ستِّ سنواتٍ على غيابِ زوجِها: " خطبني رجلٌ ستينيٌّ متزوجٌ ولكنه ميسورُ الحال، وتَعهدَ بأنهُ سيحققُ لي ولاطفالي بعضاً من الأمانِ المادي.

وافقتُ بعدَ أن فكرتُ وترددتُ طويلاً، ولكنني لم أتوقَّع سيلَ الاتهاماتِ من بعضِ المحيطينَ حولي، واختلاقِهم لقصصٍ وإشاعاتٍ مزيفة أذهلتني، فبِتُّ أسمعُ منهمُ اتهاماتٍ تقولُ بأنني أنا منْ وضعتُ الأغنيةَ الثوريةَ على هاتفِ زوجي، ومنهم من قالَ أن أطفالي هم شركائي في وضعِ الأغنية، هل تصدقين؟! أرهقني إيضاحِي لهم بأن سببَ زواجيَ المباشرِ هو وجودُ أمانٍ ماديٍّ لي ولأولادي، فيرُدونَ عليَّ بأنني رفضتُ الصدَقات، تخيلي كيفَ يفكرون؟!"

" أُطلِّقُ زوجي غيابياَ وأتزوج، أَدفِنُ حزني عميقاً، وأبحثُ عن حياةٍ ربما تكونَ أفضلَ، أنا قد أستطيعُ ذلك، ولكن أولادي وحتى اليومَ يتطلعونَ في كلِّ لحظةٍ للقاءِ والدِهمُ الغائب، يرفُضون علنِياً وضمنياً التسليمَ أنهم ربما باتوا أيتاماَ" تختمُ أم ياسر.

حنان

حنان، تعيشُ في إدلبَ.

حنان، من ريفِ إدلب، فاقدةٌ لكلِّ الأملِ في قضيةِالمعتقلات/ين والمخفيات/ين قسرياً في سوريا، وهيَ تصفُ كلَّ الحَمَلاتِ والتوثيقاتِ والمبادراتِ والمنظماتِ العاملةِ على قضيةِ المعتقلات/ين، وكلَّ ما يُطلقُ من أجلِ المعتقلات/ين في سوريا، بـ " مسكناتِ الألم " كما قالت.

وأقتبسُ من مقابلَتِها: " بظن المعتقلين الورقة يلي بتخلي النظام المجرم يبيض وجهه في إخلاء السجون"

اعتُقِلَ زوجُ حنان في عام 2012، بدونِ أيِّ ذنب: " عملَ زوجي قبلَ اعتقالِه بعدةِ شهورٍ في مكتبِ سفريات، ليسَ لديهِ أي حراكٍ أو نشاطٍ ثوري، كان حيادياً لا ينتمي لأيِّ طرف، ورغمَ ذلك تم اعتقالُه خلالَ مداهماتِ الجيشِ لمدينة إدلب".

آلافُ السوريات/ين يتمُ اعتقالُهم بسببِ تقاريرَ كيديَّةٍ، ومسألةُ التقاريرِ الأمنيةِ عُرفَتْ خلالَ عهدِ الأسدِ الأبِ وزادتْ خلالَ عهدِ الأسدِ الابن، ويعرفُها كُلُّ السوريات/ين، واستخدَمَها النظامُ الحاكمُ في كلِّ المؤسساتِ الحكوميةِ وحتى الخاصةِ، وحتى كان هناكَ مُخبِرينَ في الشوارعِ والطرقاتِ والأماكنِ العامة،

وكثيراً ما سمِعْنا عن أشخاصٍ دخلوا السجونَ لفتَراتٍ طويلةٍ بسببِ تقاريرَ أمنية. وأَخبرتْنا حنان بأنَ ما وَصَلَها عن سببِ اعتقالِ زوجِها هو: " تقريرٌ كَتبَهُ أحدُ أبناءِ حيِّنا عن زوجي".

وطبعاً تبدأُ رحلةُ البحثِ عن المعتقلِ دونَ فائدة: " بحثْنا عن مكانِهِ أو عن أيِّ خبرٍ عن زوجي، ولكن لا خبرَ يُذكر، قال لنا أحدُهم أنهُ في **سجن صيدنايا الأحمر16".**

" أخو زوجي يتكفلُ بمعيشَتي ومتطلباتِ أولادي، وهذا بالنسبةِ لي أمر رائعٌ مقارنةً مع نساءِ معتقليَ أخرياتٍ يواجِهْنَ ظروفَ الحياةِ الاقتصاديةِ وحدَهنَّ بعدَ اعتقالِ مُعيلي أُسرهِن وعدمِ دعمِهِن من أيِّ أحد، لكنني وبالرغمِ من شعوري بالأمانِ الاقتصاديِّ إلا أنني أعيشُ حالةً نفسيةً صعبةً وأشعرُ بالتعبِ والوحدةِ بدون زوجي" تقولُ حنان.

مستعدةٌ حنان للمشاركةِ بأيِّ عملٍ أو فعلٍ قد يساعدُ على إطلاقِ سراحِ المعتقليَ أو معرفةِ مصيرِهم: " لن أترددَ أبداً بالمشاركةِ في أي أمرٍ من شأنِهِ كشفُ مصيرِ المعتقلين" ولكن: " انْشَغَلَ الجميعُ من وجهةِ نظرِي عن قضيةِ المعتقليَ فلا توجدُ حملاتٌ حقيقةٌ لمساعدتِهم ومُساعدتِنا، أِشعرُ أِحياناً أنَّ بعضَ النشاطاتِ التي قامتْ بها بعضُ المنظماتِ ليستْ ذاتَ جدوى".

" بدأَ الأملُ بمعرفةِ مصيرِ زوجي أو غيرِهِ من المعتقليَ يتلاشى" تضيفُ حنان .

وتبعثُ رسالةً لكلِّ شريفٍ يُهمهُ انتصارُ الثورة: " الشرفاءُ هم وحدَهم من سيتمكنونَ منَ الكشفِ عن مصيرِ معتقليْنا فلهم أقول: لا تجعلوا النظامَ ينتصرُ ويُبيِّضُ صفحةَ جرائِمِه من خلالِ استخدامِ ورقةِ المعتقلين".

أما ورقةُ المعتقلينَ وكيفَ يمكنُ للنظامِ أن يُبَيِّضَ جرائِمهُ من خلالِها تَشرحُ حنان: " أخافُ ألا تتمَ محاسبةُ النظام، بعدَ أن اعتقَل الآلافَ وقَتَلَهم في مقابرَ جماعيةٍ دونَ محاكماتٍ علنية، النظامُ حينَ يعتقلُ شخصاً فإنه لا يعتقلُهُ وحدَهُ بلْ يعتقِلُ كلَّ أفرادِ أُسرتِه ويُعذبُهم معه".

صورة أقمار صناعية لسجن صيدنايا

بسمة الرفاعي

بسمةُ الرفاعي، درسَتِ الحقوقَ في سوريا، تعملُ في مركزِ أملَ للمناصرةِ والتعافي كمستشارةٍ قانونية.

تروي بسمةُ قصةَ اعتقالِ أخيها الأصغرِ منها عماد، وقبلَ سردِ القصةِ لفَتَنِي ذلك الأثرُ النفسيُّ الذي تركَهُ اعتقالُ عمادَ لدى بسمة، فتقول: "من أصعبِ الآثارِ النفسيةِ التي اختبرتُها والأشدُ من الفقدِ، هو أنني أنا منْ ربَّيْتُ أخي عماد. عندما كانَ عمرُه عامينِ كانَ عمري /13/ عاماً، كنتُ أطعمُه وأحممُه وأغيرُ له حفاضاتِه، وعندما كبُرَ قليلاً كنتُ ألاعبُه وأصحبُه معي إلى الحديقة. كان طفلاً يحبُ الأغاني ويحبُ الرقصَ على إيقاعَها... إنَّ فقدانَ عمادَ حُرقةٌ في قلبي".

وأقتبسُ من حكايةِ بسمةَ -قبلَ سردِ قصةِ عماد- مقطعاً تحدثَتْ فيهِ بسمةُ عندما ذهبَتْ والدتُها إلى مقرِّ الشرطةِ العسكريةِ لتسألَ عنِ ابنها عماد: "قالَ البعضُ لوالدتي اذهبي لمقرِّ الشرطةِ العسكريةِ واسألي عن ابنك. وبالفعلِ بعدَ حوالَي السنةِ منِ اعتقالِ عماد، ذهبَتْ والدتي للشرطةِ العسكريةِ بدمشقَ، وهناك أخبروها بأنَّ عمادَ قد ماتَ في السجن. أعطوها هاتفَ عمادَ النقالَ وهويتَه الوطنية، وطلبوا منها أن تذهبَ إلى مشفى تشرين العسكري17 لتأخذَ تقريرَ وفاة... هكذا وبكل بساطة".

عماد من مواليد 1983، أعزب، ينحدرُ من قريةِ نصيبٍ

التابعةُ لريفِ درعا الشرقي، كان طالباً جامعياً في السنةِ الأخيرةِ من كليةِ الصحافةِ والإعلام (التعليم المفتوح) قبلَ أن يُعتقَل.

"في عام 2011 سيختلفُ كلُّ شيءٍ في محافظةِ درعا، نقطةُ بدايةِ الحراكِ الثوريِّ في سوريا، إذ بدأَ الجيشُ ينتشرُ بدبابتِه في مدنِ وقرى وبلداتِ درعا ... بسببِ دراستِه الجامعيةِ كانَ عمادُ يقومُ بتأجيلِ خدمةِ العلمِ (الخدمة العسكرية)، واستمرَّ بطلبِ تأجيلِ الخدمةِ العسكريةِ بدايةَ الأحداث، فهو كانَ يخافُ إنِ التَحَقَ بخدمةِ العلمِ أنَ يكونَ واحداً من أولئك العساكِرِ المنتشرينَ في مدنِ وقرى وبلداتِ درعا أو في شوارعِ محافظاتٍ أخرى".

لم تتوقعْ غالبيةُ السورياتِ/ ينَ أن تطولَ الأحداثُ في سوريا وتتطورَ إلى عنفٍ مسلح، وأن يبدأَ النظامُ السوريُّ بالبحثِ عن المطلوبينَ للخدمةِ العسكرية (خدمة العلم)، ويرفُضَ طلباتِ تأجيلِ المتخلفينَ عن الخدمةِ العسكريةِ بسببِ حاجتِهِ لعناصرَ أكثرَ في جيشِه لقمعِ الحراكِ الثوريِ ضده. ومثلُ مئاتِ الشبابِ السوريينَ المطلوبينَ لخدمةَ العلم، لم يعدْ مسموحاً لعمادَ أن يؤجِّلَ خدمتَهُ العسكريةَ وباتَ لزاماً عليهَ الالتحاقُ بالجيشِ السوريِّ كما أخبرَتْنا بسمة.

وتضيف: "تمكنَ عمادُ منَ النجاةِ من مداهماتِ الجيشِ والأمنِ لحيٍّ القصورِ في محافظة درعا، تلكَ المداهماتُ التي تبحثُ عن معارضينَ أو ثائرينَ أو متخلفينَ عن الخدمةِ العسكرية،

وتقتحمُ البيوتَ وتقومُ بتفتيشِها. فحينَ يعلمُ عمادُ بوجودِ حملاتِ مداهمةٍ يغادرُ المنزلَ لمكانٍ أكثرَ أمْناً حتى تنتهي تلك الحملاتُ ليرجعَ بعدها للمنزل، وبقيَ على هذهِ الحالِ قرابةَ السنةِ والنصف".

وتتوقفُ حياةُ عمادَ الدراسية، ويصعُبُ عليه إيجادُ فرصَةِ عملٍ في الإعلامِ بدرعا، فيقررُ مغادرةَ درعا إلى دمشق: "عمادُ شابٌ طموحٌ يُحبُّ الصحافة، ولأنه لم يتمكنْ من إيجادِ عملٍ في الإعلام، قررَ الذهابَ إلى مدينةِ دمشق، علَّه يجدُ فرصةَ عملٍ ويتمكنُ من إنهاءِ سنَتِهِ الأخيرةِ في الجامعة".

يجدُ عمادُ وأهلُهُ طريقةً آمنةً نسبياً تتيحُ لعمادَ تجاوزَ حواجزِ النظامِ الأمنيةِ دون "تفيش" هويته، حيث ذهبَ في سيارةِ أحدِ الأشخاصِ العاملينَ في أحدِ المناصبِ الأمنية، وهؤلاءِ غالباً يقطعونَ الحواجزَ الأمنيةَ دون تفتيش أو "تفيش" لهوياتهم أو لهوياتِ مَنْ معَهم مِنَ الركاب.

دمشقُ ليست كدرعا، فدمشقُ أكبرُ مساحةً وسكانُها أكثرُ عدداً وهي تحتَ قبضةِ النظامِ الأمنية، وغالباً لا يعلمُ قاطنو دمشقَ عن مداهماتِ الأمنِ لمنازلِهم وبيوتِهم، كما كانَ يعلمُ بها سكانُ قرى وبلداتِ وأحياءِ درعا. فمثلاً تقولُ بسمة: "كان أهالي درعا يستخدمونَ

مصطلحات تدلُ على قدومِ باصاتِ الأمنِ والجيش، فيقولونَ مثلا» اجت العروس – راحت العروس « كإشارةِ تنبيهٍ لاقتحاماتٍ أو مداهمات، الأمرُ الذي يتيحُ فرصَةً للمطلوبينَ بالاختباءِ والهروب».

في دمشق: "وصل أخي دمشقَ وصار يتنقلُ فيها بحذر، متجنباً الأماكنَ المزدحمةَ أو تلك التي تتواجدُ فيها دورياتٌ أو أفرعٌ أمنية، وباتَ يتنقلُ بين بيتِ أهلي في حي ركنِ الدين وبيتِهم حي الدويلعة".

"في عام 2014 شنَّتْ فصائلُ المعارضةِ المسلحةُ هجوماً على منطقةِ الدخانيةِ القريبةِ من منطقةِ الدويلعة، وجرَتْ اشتباكاتٌ بينَ الفصائلِ المعارضةِ وقواتِ النظام، وانتهَتِ الاشتباكاتُ بهزيمةِ قواتِ النظامِ للفصائلِ وجَعَلها تعودُ أدراجَها من حيثُ أتتْ. بعدَ هذهِ الحادثةِ بعشَرةِ أيامٍ بدأتْ قواتُ النظامِ الأمنيةُ حملةَ مداهماتٍ واقتحاماتٍ لمنطقة الدويلعة، وقتَها كان أخي عمادُ مع والدتي في منزلِنا في الدويلعة". تحكي بسمة.

وتتابع: "تدخلُ عناصرُ الجيشِ والأمنِ المنزلَ لتجدَ أخي، يطلبون هويتَه الوطنيةَ الصادرةَ من درعا، ويعتقلونَه" وتتابعُ واصفةً ردةَ فعلِ والدتِها التي كانتْ مع عماد "ركضَتْ والدتِي خلفَ عناصِرِ الأمنِ تصرخِ أين ستأخذونَه، ليردوا عليها، ادخلي للمنزل، وتدخلُ أمي المنزلَ دونَ عمادَ الذي لم نرهُ منذ ذلك اليوم".

وكَكُلِّ أهالي المعتقلينَ تبدأُ رحلةُ أهلِ عمادَ المحمومَةُ بالبحثِ

عن مكانِه أو عن الفرعِ الموجودِ فيه أو عن أيِّ خبرٍ عنه: "اعتُقل عمادُ بتاريخ 28أيلول 2014، صِرنا نسألُ ونحاولُ البحثَ عن مكانِه، وطبعاً دفعنا مالاً كثيراً حينَها لأشخاصٍ أملاً في قدرتِهم على مساعدَتِنا في معرفةِ الفرعِ الذي اقتيْدَ إليهِ عماد، ولكنْ دخلْنا في دوامَةٍ من المعلوماتِ المتضاربة، فبعضُهُم قالَ هو في فرعِ الدوريات، آخرونَ قالوا هو في فرعِ الخطيب... وهكذا كان بحثُنَا دونَ فائدة".

حكَتْ بسمةُ خلالَ حديثِها عنِ اعتقالِ عمادَ ما سمعَتْه من شهاداتِ الناجينِ عنِ الاعتقالِ حينَ كانوا يدخُلونَ السجن. أمرٌ يهمني أن أكتُبَه وهو التالي كما قالتْهُ بسمة: "حسبَ شهاداتِ الناجينَ من الاعتقال، أولُّ شيءٍ يتعرضُ له المعتقلونَ بدايةَ دخولِهم للسجنِ هو الضرب، الضربُ الفرديُّ والجماعي. طبعاً لا يتم فرزُ المعتقلينَ حسبَ التهمة، فالذي حملَ السلاحَ مثلاً وقتلَ عشَرةَ أشخاصٍ يعاملُ بنفسِ معاملةِ من تم اعتقالُه منَ الشارع، بمعنىً آخرَ هناكَ فوضىً عارمةٌ في الأفرعِ الأمنيةِ، ويضافُ لذلكَ أنَّه لا يوجدُ في سوريا محاكماتٌ علنيةٌ لهؤلاءِ الذينَ اعتُقلوا قسرياً وتم إخفاءُ أيِّ خبرٍ عنهم".

تصفُ بسمةُ في الفقرةِ التاليةِ ما آلتْ إليهِ حالةُ والدَتِها بعد اعتقالِ عماد، وسأنقُلُها كما قالتْها وبلهجَتِها العاميةِ لشدةِ تأثيرِها على النفس: "يوم إللي أخذوه، كانت أمي موجودة، صارت تدور من بيت لبيت متل المجنونة. أنو مشان الله إذا حدا بيعرف حدا بالأمن، حدا بالجيش حدا بالعفاريت إنه يلاقولي هالولد وين أخذوه؟ وين جابوه؟

خبرت القرايبين، خبرت الأهل، الكل وقف عاجز، لإنه هنّ أساساً كل عائلة من هدول المعارف والأقارب كله رايحله حدا، ما في حدا خالي يعني، وقتها راحت على درعا، خبرت والدي الله يرحمه خبرت هالعالم، يعني ما قدرتْ تقعد بالبيت ولا دقيقة، يعني وقتها حست بالضوجان والله، راحتْ من محل لمحل من بيت لبيت من بيت شو بدي أعمل؟ شو بدي أساوي؟ شو بدي أعمل؟ يقولولها اصبري شوي، دوري شوي، إذا بتعرفي حدا إيده طايله ممكن يشفلك إياه وين، ممكن هيك كل شيء إلا استني هلق ما ببين، ما بصرحوا عنه، وهكذا ضلت تقريبا 10،15 يوم، بوضع نفسي سيء جداً جداً ".

لعلَّ الأقسى على والدةِ عمادَ وأهلِهِ كانَ بعد مرورِ عامٍ على اعتقالِه: "يُطرقُ بابُ بيتِ أهلي بعدَ عامٍ تقريباً على اعتقالِ عمادَ شابٌ لا نعرفُه، فتحَتْ له والدَتي، أخبرَها جملةً واحدةً ودونَ أن يدخلَ البيت، البقيةُ في حياتك، عماد مات".

"وقتَها قد ما خبطت أمي على فخاذها صاروا زرق" تصفُ بسمةُ حالةَ والدتِها، وتتابع: "دخلت مع أهلي في دوامة، هل مات أم لم يمت؟ هل الخبر صحيح أم كذب؟"

ويتمكنُ أهلُ بسمةَ من الوصولِ إلى الشابِّ الذي نقلَ لهم خبرَ وفاةِ عماد. شاب كان معه في المعتقل، وتحكي بسمةُ على لسانِ الشابِّ معاناةَ عمادَ في السجن، التي أدَّتْ إلى وفاتِه:

"قالَ لنا الشابُ، توفي عماد بعد 11 يوما فقط من اعتقالِه. وقالَ إن عمادَ لمْ يحتملِ الضربَ والإهاناتِ المتكررةِ بشكلٍ يومي. أخبَرَنَا أنهُ وقبلَ الوفاةِ بيومينِ دخلَ عمادُ في هذيانٍ شديدٍ وفي حالةٍ من الهستيريا والخوفِ، والسببُ أنهُ تم وضعُ عمادَ في سقيفةٍ تابعةٍ للسجنِ مملوءةٍ بالصراصيرِ والجثث. فقدَ عمادُ بعدَ ذلكَ كل طاقتِهِ وقوتِه وحِيَلِهِ، حتى لم يكنْ قادراً على الأكلِ أو الشرب(بحسب الشاب). وينزوي عمادُ بعدَها ليموتَ بينَ أيدي رفاقِه السجناء".

"ذهبَتْ والدَتي إلى الشرطةِ العسكريةِ بعد ذلكَ بعد نصيحةٍ من بعضِ الأشخاص، كانَتْ تبحثُ عن بصيصٍ يدحضُ وفاةَ عماد. قالوا لها في الشرطةِ العسكرية، عمادُ ماتَ، أعطوها هاتفَه النقالَ وهويتَه الوطنية، وأخبروهَا أن تذهبَ لمشفى تشرينَ العسكري لتحصلَ على تقريرِ الوفاة، أما سببُ الوفاة كما أخبروها، أزمةٌ قلبية"، وتتابعُ بسمة: "لم تذهب والدتي إلى مشفى تشرين العسكري، لسببين، الأولُ متعلق بها، فوالدتي كانت ترفُضُ التسليمَ بوفاةِ ابنِها، والثاني هو أن مشفى تشرينَ العسكري كان يتعرض لقصف من قبل فصائل المعارضة المسلحة".

على سبب الوفاةِ علقَتْ بسمة: "أنا لا أستبعدُ أن يكونَ سببُ الوفاةِ أزمةً قلبية، ولكن ما سببُ الأزمة القلبية؟ أنهُ الخوفُ والرعب، إنها الإهاناتُ والضربُ والتعذيب".

من الجديرِ بالذكرِ هُنا أنَّ النظامَ السوريَّ عَزَى أغلبَ وفياتِ المعتقلاتِ/ينَ في سجونِه إلى أزمةٍ قلبيةٍ أو جلطة.

من بحثٍ 18 لمنظمةِ العفوِ الدوليةِ تحتَ عنوان " المسلخُ البشري" يقول: " وعندما يقضي المحتجَزونَ نحبَهم جراءَ سياساتِ الإبادةِ التي تَتبعُها السلطاتُ السورية، يتمُ جمعُ جثثِهم من زنزاناتِهم صباحاً، وُتنقلُ في شاحناتٍ وحافلاتِ ركوبٍ صغيرةٍ إلى مشفى تشرينَ العسكري، حيث يتم تسجيلُها في السجلاتِ الطبية، وإصدارِ شهاداتِ وفاةٍ تُظهرُ سببَ الوفاةِ على أنهُ ناجمٌ عن توقفِ القلبِ أو الجهازِ التنفسي. ويتمُ نقلها من هناكَ بالشاحناتِ كي تدفَنَ في قبورٍ جماعية، في أرضٍ تابعةٍ للجيش، تقعُ على مقربةٍ من دمشق".

تؤمِنُ بسمةُ بأهميةِ رفعِ الصوتِ في قضيةِ المعتقلين: "شاركْتُ بحملاتِ مناصرةٍ لقضيةِ المعتقلين، لا أُفوِّتُ مناسبةً دونَ أذكرَ المعتقلين. يجبُ ألا نسكت، يجبُ أن نحكيَ عنهم بصوتٍ عالٍ، الحكيُ أقلُّ حقوقِنَا وأقلُّ ما يمكنُ أنْ نقدمَهُ تجاهَ المعتقلين".

"حلُّ ملفِّ المفقودينَ والمعتقلينَ يكونُ بالضغطِ السياسيِّ على النظام، وهذا الضغطُ يجبُ أن يكونَ من قبلِ القوى الدولية، التي وضعَتْ معاهداتٍ واتفاقياتٍ من أجلِ حقوقِ الإنسان. سوريا دولةٌ من دولِ العالمِ الثالثِ وبلدٌ ضعيف، فإذا ضَغطَتْ هذه القوى على النظامِ للكشفِ عن مصيرِ المعتقلينَ والمفقودين،

لن تقومَ حربٌ عالميةٌ ثالثة. إذن تكثيفُ الضغطِ السياسي، إذا لم ينفعْ فالعقوبات، إذا هي الأخرى لم تعطِ نتيجة، فالمقاطعة... حينَها يخضعُ النظامُ ويحلُّ ملفَّ المعتقلينَ والمفقودينَ في سوريا من خلالِ الكشفِ عن مصائرِهم سواءٌ أكانوا أحياءً أم أمواتاً، وطبعاً لا بد من تقديمِ مرتكبي جرائمِ الاعتقالِ والإخفاءِ القسريِّ لمحاكماتٍ علنية، ومحاسبتِهم على ما اقترفُوه من جرائمَ ضد الإنسانية" تتحدثُ بسمةٌ عن وِجهةِ نظرِها أو طريقةِ الحلِّ التي تراها لملفِّ المعتقلينَ والمفقودين في سوريا.

لدى بسمةُ مخاوفُ إذا ما بقي ملفُّ المفقوداتِ/ ينَ والمعتقلاتِ/ ينَ في سوريا مُعلَّقاً دون حل: "لديَّ مأخذٌ كبيرٌ على أجهزةِ الأممِ المتحدةِ والآلياتِ التي تقدمُها في مجالِ ملفِّ وقضيةِ المعتقلينَ في سوريا، كلُّ يومٍ آليةٌ ومقرراتٌ وتفرعاتٌ للقراراتِ واجتماعاتٌ وأموالٌ تصرف... وحتى اللحظةَ لم نسمعْ أو نشاهدْ معتقلاً واحداً خرجَ من سجونِ النظام أو كُشِفَ عن مصيرِه وِفقَ هذهِ الآلياتِ والقرارات. من وجهةِ نظري 99 % من الشعبِ السوري فاقدٌ الأملَ والثقةَ بكلِّ ما تقومُ بهِ الأممُ المتحدةُ في ملفِّ المعتقلينَ السوريين. أخاف، نعم أخافُ أنْ يأتيَ يومٌ لا يبقى فيه معتقلٌ على قيدِ الحياةِ في سجونِ النظام، وتصبحُ كلُّ الملفاتِ والتوثيقاتِ التي عملْنَا عليها طوالَ فترةِ هذهِ السنواتِ بلا فائدةٍ أو قيمة. ونستذْكِرَ فقطْ أرقام، كأنَ نقولَ كان في سجونِ النظامِ /500/ خمسُمئةِ ألفِ معتقل. أتمنى ألا يَحصُلَ هذا،

ولكن إذا بقيَ التعامُلُ الدوليُّ مع ملفِّ المعتقلينَ والمخفيينَ قسرياً بهذا الشكلِ فمنَ الواردِ جداً أن تتحققَ مخاوفي".

في النهايةِ أريدُ أن أذكرَ كيفَ حكَتْ بسمةُ عن أخيها ، فقصةُ عمادٍ الشابُّ يمكنُ إسقاطُها على آلافَ الشاباتِ والشبانِ السوريين، اللواتي والذينَ سَلَبَ الاعتقالُ منهُم أحلامَهم وحياتَهم وطموحاتَهم: "كان عمادُ شاباً مهذباً وخلوقاً وطموحاً، يَحلُمُ بأن يعملَ في مجالِ الصحافة، وضَعَ خططاً لتعلمِ اللغةِ الإنكليزيةِ كيْ يتمكنَ من كتابةِ مقالاتٍ بها، كان يحلُم بإتمامِ دراستِه في أوروبا. رفضَ عمادُ الذهابَ إلى الخدمةِ العسكريةِ ليس خوفاً بل لأنهُ كانَ يرفُضُ فكرةَ حملِ السلاحِ بوجهِ أبناءِ بلده".

صورة لمشفى تشرين العسكري

عبد القادر جيك

عبدُ القادرِ جيك يروي قصةَ اعتقالِ أخيه

لمْ يَحتملِ الأبُ خبرَ اعتقالِ ابنه، فمرِضَ وتُوفِّي بعدَ اعتقالِه: "طبعاً كثير تأثرنا، يعني أبي مرض، وبعدها تقريباً سنةُ مرضٍ، وتوفيَ بعدَ سنتينِ تقريباً من الاعتقال" يقولُ عبدُ القادر.

أعلنَتِ الشبكةُ السوريةُ لحقوقُ الإنسانِ أن معظمَ حالاتِ التغييبِ والاعتقالِ حدثَتْ في الأربعِ سنواتٍ الأولى للثورة.

يروي عبدُ القادر جيك، من محافظةِ اللاذقيةِ قرية "البدروسية" التابعةِ لناحيةِ قسطل معاف، قصةَ أخيهِ الذي اعتُقِل بتاريخ 23 تشرين الأول 2012، قبلَ عيدِ الأضحى بيومين، حوالي الساعةِ الثالثة فجراً.

يشرحُ عبدُ القادرِ جيك تفاصيلَ ليلةِ الاعتقالِ قائلاً: "تمَّ مداهمةُ القريةِ مِن قِبلِ مجموعةٍ من الشبيحةِ منَ القرى المجاورة، كانوا عِدةَ سياراتٍ من الملثمين. حسبَ يعني ما أخبرونا أنه مع الملثمين كان فيه عناصر من الأمن العسكري من مفرزة رأس البسيط". قامَتْ هذهِ المجموعةُ بمداهمَةِ عدةِ بيوتٍ في القريةِ وقامَتْ باعتقالِ أكثرَ من خمسَةِ عشَرَة شخصاً في تلك الليلة، كما قاموا بمصادرةِ سيارةِ المعتقلِ وسَرِقةِ مبلغٍ من المال: "تم مصادرة أو سرقة السيارة

التي يملكها أخي نوع بيك آب، وكان في مبلغ يعني بالضبط معه ما عم نعرف قديش كان. في مبلغ بالبيت بهديك الأيام طبعا حسب ما قالوا لنا من 100 -200 ألف ليرة سورية كمان سرقوهم."

يُبينُ عبدُ القادرِ أن المعتقلَ من مواليدِ 1958، ويعملُ في الزراعة، متزوجٌ ولديهِ أربعةُ أولاد، أكبرُ أبنائِه من مواليدِ 1982، وأصغرُهم من مواليد 1988.

بعد الاعتقالِ تشتَّتَتِ الأسرة. لجأَتْ زوجةُ المعتقلِ وأحدُ أبنائِه إلى تركيا، وهما يعيشانِ حالياً في مدينةِ مرسين، أما بقيةُ الأبناءِ بقوا في سوريا. ثلاثةٌ من أبنائِه متزوجونَ حالياً وأصبحَ لديهم أولاد.

أما عنِ الجهةِ التي قامَتْ بالاعتقال، فيُحمِّلُ عبدُ القادرِ جيك المسؤوليةَ لمجموعةٍ منَ الشبيحةِ في المنطقةِ جاؤوا مِنَ القرى المجاورةِ في رأسِ البسيط: "الجهة المسؤولة عن الاعتقال أو الإخفاء أو الخطف خلينا نقول هني مجموعة من الشبيحة الملثمين. نحن يعني عم نتوقع إنه هن من المنطقة، قرى رأس البسيط بيت بدور، دفلة، بيت قدار، يعني هي القرى الموجودة. وكان رئيس الشبيحة بهديك المنطقة شخص اسمه سمير بدور ملقب بأبو بلطة، هن قاموا بالاعتقال، هيك التوقعات".

"الشبيحة"[19] هي جماعاتٌ وأفرادُ ميليشيا مسلحةٌ داعمةٌ للنظام،

وتَتهمُها منظماتُ حقوقِ الإنسانِ السوريةُّ بأنها أداةٌ بيدِ النظامِ تعملُ كمرتزقةٍ لملاحقةِ المعارضين.

وفي تقريرٍ أُرسل إلى رويترز، نشرَتْ لَجنةُ العدالةِ والمساءلةِ الدوليةِ سبعَ وثائقَ قالَ محققوها:" إنها أظهرت أن أعلى مستوياتِ الحكومةِ السوريةِ خططتْ ونظمتْ وحرضتْ ونشرتِ الشبيحةَ منذُ بدايةِ الحربِ في عامِ 2011".

وخلصَ محققو الأممِ المتحدةِ في عام 2012 إلى وجودِ أسبابٍ معقولةٍ للاعتقادِ بأن ميليشياتِ الشبيحةِ ارتكبَتْ جرائمَ ضدَّ الإنسانية، منها القتلُ والتعذيب، وجرائمُ الحرب مثلَ الاعتقالِ والاحتجازِ التعسُّفيَّينِ والعنفِ الجنسيِّ والنهب" منقولٌ20 عن موقع swissinfo.ch.

عن سببِ الاعتقال، فيشرحُ أنه قد تكونُ أسبابُ الاعتقالِ أوِ اختطافِ أخيهِ لها علاقةٌ بأن بعضَ أقاربِهم كانوا معَ الثوار: "هلأ في ابن أخي كان مع الثوار في جبل التركمان، وفي ولاد عمنا كمان ضمن الثوار يعني عم يقاتلوا ضد النظام." ويشيرُ إلى احتمالِ أن يكونَ السببُ أيضاً إلى كونِ أخيه والأشخاصِ الآخرينَ الذين تم اعتقالهُم في ذلك اليومِ أثناءَ مداهمَة "البدروسية" كانوا من الشخصياتِ المؤثرةِ في المنطقة: "هن الهم كلمتهم بالضيعة ومعروفين.، كانوا يعني فإحنا هيك عم نتوقع. في نفس يوم الاعتقال لمُّو 15 واحد أو أكثر. هُن كلهُم يعني الهُم كلمتهم".

بذلَتْ عائلةُ المعتقلِ في رحلةِ بحثِها الشاقةِ عن مصيرِ ابنِها كلَّ الجهودِ لمعرفةِ أيِّ معلوماتٍ عن مكانِ احتجازه. ففي عام 2013 لجأَتْ إلى مكتبِ محامٍ في دمشقَ: "أنا تواصلت مع المحامي خالد الشامي أو خالد شاملي، هذا مكتبه بالشام أمام سوق الحميدية، وحسب ما حكولنا إنه كان معاون وزير العدل، حتى ما أخذ مبلغ، يعني الزلمة كان عم يحاول يساعدنا"، ثم يتابعُ عبدُ القادرِ أن بعضَ الأقاربِ ذهبوا إلى دمشقَ وبمساعدةِ المحامي توصَّلوا إلى أن مكانَ احتجازِ أخيهِ في سجن صيدنايا، لكنهم بعدَ مُراجعةِ سجن صيدنايا لم يحصُلوا على أيِّ معلوماتٍ عن مصيرِ أخيه: "إي وراح أخي الثاني كان موجود وقتها بسوريا، راح على الشام هو وولاد عمي، وراح المحامي من المكتب، قالولنا إنه بسجن صيدنايا، راحوا على السجن، قالولهم إنو أضابيرهم فعلاً موجودة في السجن بسجن صيدنايا، لكن هُن بالأمانات. لمَّا سألناهْ شو الأمانات يعني؟ قال مابعرف، قال هن مسجلين إنه هن بقسم الأمانات. وبعدها ما عرفنا عنهم شيء يعني". عندما تابَعَتِ العائلةُ أيضاً البحثَ عن مصيرِ المعتقلِ طلبَ منهم مبالغَ مالية، لكنَّ عبدَ القادرِ نوَّه إلى أنهم لم يَخضَعوا للتهديد أو الابتزازِ المالي.. " ما تعرضْنا للضغط أو تهديد، لكن حاولنا يعني نتواصل مع أشخاص تانيين، مع ناس تانيين، يعني قلنا يعني معارف بالشام طلبوا مبالغ معينة مشان إنه البحث عنهم أو هيك يجيبوا أخبار، لكن نحنا ما دفعنا شيء، ما تابعنا مع حدا".

يروي عبدُ القادرِ عن الآثارِ النفسيةِ العميقةِ التي تركَها الاعتقالُ على العائلةِ بشكلٍ عامٍ وعلى أسرةِ المعتقلِ وتحديداً زوجتَه وأبنائَه: "الموضوع كتير مؤلم هو مثل الجرح يعني ينزف بالنسبة للأهالي، يعني شخص متوفى شهيد واحد بقول يا أخي توفى وراح، لكن بالنسبة للمعتقل هذا عذاب يومي". عانَتِ الأسرةُ من الصدمةِ والحزنِ فقد عاشوا ظروفاً نفسيةً صعبةً. فضلاً عنِ الخوفِ منَ الاعتقال، والذي أدَّى إلى لجوءِ زوجةِ المعتقلِ وأحدِ أبنائه إلى تركيا: "كمان زوجته. إي أولاده تمَّو فترة عم يهربوا، يعني خايفين من الاعتقال كمان. واضطرت مرت أخي تطلع من سوريا وتجي على مرسين، يعني خوفًا من الاعتقال ومن أمور ثانية".

وفوقَ ذلكَ كلِّه لم تتوقَّفِ القصةُ عندَ الحزنِ والخوف، بل تجاوزَتْها إلى آثارٍ اقتصاديةٍ على ذوي المعتقل، حيثُ فقدَتِ الأسرةُ موردَ رزقِها نتيجةَ اعتقالِ ربّ الأُسرة. كان لدى المعتقلِ أيضاً رخصةٌ لبيعِ الغازِ قامَ (الشبِّيحة) بمصادرةِ كلِّ جرارِ الغاز.: "طبعاً كتير كمان مادِّياً كتير تأثروا، يعني أخي مثل ما حكينا قبل شوي إنه كان عنده سيارة سرقوها (بِيك آب)، وكان عنده رخصة غاز أخذوا كل قناني الغاز، صادروهم حوالي يمكن 100 قُنينة، 100 جَرة غاز. وسرقوا المبلغ الموجود يلي كان بالبيت".

لم تدَّخرْ عائلةُ المعتقلِ جهداً في البحثِ عن مصيرِه، ولم تتوقفْ عَنِ التواصلِ معَ الجهاتِ المختلفةِ بينَها المعارضةُ مثلُ الائتلافِ

بحثاً عن سبيلٍ لإطلاقِ سراحِه عن طريقِ عملياتِ تبادلِ الأسرى. كما تواصلتْ عائلةُ المعتقلِ معَ الوفودِ التي ذهبَتْ إلى جنيف: "طبعاً كثير حاولنا عن طريق الائتلاف، عن طريق المجالس يعني الأحزاب خلينا نقول مجلس التركماني، عن طريق يعني هلق ما عم بتذكر طبعًا في عدة جهات، يعني بعثنا الأسماء مشان البحث عنهم، وبعتنا للقيادة الجيش الحر بهديك الأيام مشان موضوع تبادل الأسرى بلكي، ما أخذنا نتيجة وحتى بعتنا الأسماء مع أحد المشاركين ضمن الوفد إللي زار جنيف. شو كانت المناسبة هلق ما عم بتذكر، هذا الحكي أكثر من 5-6 سنوات كمان بعتنا الأسماء ما أخذنا نتائج صراحة".

يحكي عبدُ القادرِ عن خيبةِ أملِ ذوي المعتقلينَ، وعن عبثيةِ الجهودِ المبذولةِ من أجلِ المعتقلينَ في سوريا في ظلِّ بقاءِ النظامِ السوري، يقول: "الحقيقة ما عندي أي أمل يعني بإطلاق سراح المعتقلين في ظل هذا النظام الظالم". ويؤكدُ أنْ لا سبيلَ لإطلاقِ سراحَ المعتقلينَ والمغيبينَ إلا بتغييرِ النظام: "الحل الأساسي والجذري هو إسقاط نظام بشار الأسد، يعني هذا الحل الوحيد إذا كان المعتقلون يعني لساتهم أحياء". ونظراً لأن هذا الحلَّ غيرُ متاحٍ وصعبٌ لذلك يُعوِّلُ عبدُ القادرِ وذوي المعتقلين على اتِّباع طرقٍ وأساليبِ التفاوضِ مع النظامِ عبرَ المنظماتِ الدولية، ومنظماتِ الأممِ المتحدة: "الطريقة الوحيدة هو التفاوض عن طريق المنظمات الدولية، لكن للأسف المجتمع الدولي

غير آبه بموضوع المعتقلين». يعتقدُ عبدُ القادرِ بتراجعِ الاهتمامِ الدولِيِّ بقضيةِ المعتقلينَ، ويمكنُ لبعضِ الدولِ فقطْ بحسبِ وجهةِ نظرِهِ أن تُسهمَ في حلِّ قضيةِ المعتقلين، مثل قطر وتركيا والسعودية، ولكنَّ الأخيرةَ بدأَتِ التطبيعَ مع النظام: «كنا عم نقول السعودية، اليوم عم نلاقي السعودية أكثر دولة متحمسة للتطبيع مع النظام للأسف، لكن يعني يمكن حاليا بالساحة ما في غير قطر وتركيا ممكن التعويل لها لدولتين هي مشان إيجاد حل لها لقضايا منها قضية المعتقلين».

بالرغمِ منَ الظروفِ الصعبةِ التي تعيشُها عائلاتُ المعتقلينَ والمخفيينَ قسراً في سوريا، لكنهم لن يتوقفوا عنِ المطالبةِ بالعدالةِ ومعرفةِ الحقيقة. يجيبُ عبدُ القادرِ جيك عن سؤالٍ حول موقفِ عائلتِه وهل ستُواصلُ المُضِيَّ في المطالبةِ بإطلاقِ سراحِ المعتقلينَ بالرغمِ من مرورِ أحدَ عشَرَ سنةً على الاعتقال: «هل نحن مستعدين نضل؟ طبعًا مستعدين نضل ما راح نترك هالقضية أهم قضية بالنسبة لإلنا». ويؤكدُ عبدُ القادرِ أنهم سيتابعونَ -هم أهالي المعتقلين والمغيبين قسراً- بكلِّ الوسائلِ بكلِّ الطرقِ والمجالات، عن طريقِ المؤتمراتِ الدوليةِ التي تُعقدُ على المستوى الدوليِّ في أوروبا وفي والولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ بالتواصلِ معَ المنظماتِ الدوليةِ لحقوقِ الإنسانِ، والتي تعملُ على قضايا الاعتقالِ والإخفاءِ القسري، والتي تملكُ قوةً لدى أصحابِ القرار. وأكَّد أنهم كَذوي المعتقلين أن الحلَّ هو الثباتُ والإصرارُ الاستمرارُ بالمطالبةِ

بإطلاقِ سراحِ المعتقلينَ والسعيُ من أجلِ الحقيقة. ويختمُ كلامَهُ بالقول:" لكن نحن رح نتم مستمرّين لازم نتم مستمّرين بالمطالبة لإنه مثل ما قُلنا هذا الجرح، يعني عم ينزف بداخلنا، سواءٌ بالنسبة للأهالي أو بالنسبة للمعتقلين، إذا كانو أحياء".

اعتقال شبيحة النظام للسوريين

أم عبدو

أَمُّ عبدو، والدةُ المعتقلِ عبدِ الله مازن سعود ناشطٌ بالثورة

لن تجدَ حتى في التراجيديا الإغريقية مثيلاً لما اختبَرَتْه أُمهاتُ المعتقلينَ في سوريا، لقد غدى الموتُ أمنيةً وخلاصاً منَ التعذيبِ في معتقلاتِ النظام، التي وصفَتْها منظمةُ هيومن رايتس بأنها مسلخٌ بشري.

أثناءَ حديثي مع أم عبدو عنِ ابنِها المفقود أخبرتْني: "تمنيت لابني الموت حتى يرتاح من التعذيب، كثير صعب و بيبكي وبيحزن إنك إنتي تتمني لابنك يموت. بدال ما تنتظريه"، وتتابعُ قائلةً قدْ تستغربونَ أنهُ عندما أبلغونِي عام 2019 بوفاةِ ابني في المعتقلِ شعرتُ بالراحة، لأنني عشْتُ سنواتٍ لم أعرفْ فيها طعمَ النومِ وأنا أفكرُ في عذاباتِه في كل لحظة: " أقسمُ بالله إني أنا ما بكيت وقعدت هيك، مؤلم جداً الخبر، لكن كان مفرح إنه أبني ارتاح من بين أيديهم. أنا كنت بسأل الله سبحانه وتعالى الفرج لابني، وكان الفرج إن الله ياخدو لعنده ويريحه من أيديهم".

أم عبدو؛ هيَ أحلامُ السعود سيدةٌ من مدينةِ معرةِ النعمانَ والدةُ المعتقلُ عبدِ الله مازن سعود، وهو طالبٌ في جامعةِ حلبَ من مواليدِ 1989: " المعتقل عبد الله سعود هو من مواليد 1989،

كان سنة ثانية، طالب في كلية الآداب جامعة حلب في قسم علم الاجتماع، عمره كان هداك الأيام شيء 22 سنة، وكان أعزب".

تقع مدينةُ معرةِ النعمانَ في ريفِ إدلبَ الجنوبيِّ وهيَ من أوائلِ المدنِ السوريةِ التي شهدَتِ الاحتجاجاتِ وتعرضَتْ للقصفِ والحصار، لقد شنَّ النظامُ السوريُّ حملةَ اعتقالاتٍ تعسفيةٍ ضدَّ الناشطينَ السلميينَ في بدايةِ الاحتجاجاتِ والتي قَلبَتْ حيواتِ آلافِ الناسِ من ذوي المعتقلين.

تم اعتقالُ الشابِّ عبدِ اللّٰه مازن سعود أثناءَ ذهابِه إلى مدينةِ حلب على مدخَلِ المدينةِ من قبلِ الأمنِ العسكري بتاريخ2011 أوقفَتْهُ الشرطة العسكرية، وقامت باعتقالِه مع أخوه: " تم اعتقالُه من قبل الأمن العسكري وهو داخل إلى مدينة حلب بدخولية مدينة حلب على الاستراد".

كان سببُ اعتقالِ عبدِ اللّٰهِ تقاريرَ من قبلِ مخبرينَ للأمنِ السوري، كونُه ناشطٌ بالثورة، عضوٌ في التنسيقياتِ التي أسسَتْ لتنظيمِ المظاهراتِ والاحتجاجاتِ ضد النظام، كما كانَ حاضراً في مختلفِ نشاطاتِ الثورةِ السلميةِ في حينها، شاهدُ عيانٍ يوثقُ المظاهراتِ وممارساتِ النظامِ ضدَّ المحتجينَ كما ظهرَ على قنواتٍ تلفزيونيةٍ عديدةٍ من بينها قناةَ الجزيرة.

وناشطٌ إعلاميٌّ يَظهرُ على القنواتِ التلفزيونيةِ للحديثِ عن أخبارِ المظاهراتِ والاحتجاجات: "كان ناشط في الثورة السورية، وكان في تنسيقيات الثورة السورية، وكان ناشط إعلامي. كان يصور المظاهرات في نقل بث مباشر، وكان يطلع على القنوات الفضائية كشاهد عيان على ممارسات النظام واعتقاله وضرب المظاهرات بالرصاص الحي، كان بيطلع بأسامي مستعارة على قناة الجزيرة، على قناة أورينت، على قناة بهداك الأيام كان اسمها بردى".

في البدايةِ أنكرَ النظامُ وجودَه كعادَتِه، لكن بعد بحثٍ عنهُ من قِبلِ عائلَتِه توصَّلوا إلى وجودِه بمعتقلاتِ الأمن العسكري، بحسبِ رواياتِ معتقلينَ أُفرجَ عنهم آنذاك، وبعدَ خروجِ أخيهِ الذي اعتُقِلَ معَهُ أيضا.

"أول ما تم اعتقاله ما تركنا حدا ما سألناه عليه، طبعا النظام ينفي تماما إنه هو عندن أو بيعرفوه، لكن من خلال معتقلين خرجوا من السجن، عرفنا يعني إنه هو معتقل بالأمن العسكري بحلب. بعدين أخوه إللي كان معه معتقل عبد الرحمن ضل معتقل ثلاث شهور وثلاثة أيام تقريبا، ودرينا من بعض المعتقلين إنه هو مرجعينو من الشام إلى حلب، فلما سعينا فيه بواسطات ودفع مصاري وتم الإفراج عنه الحمد لله من السجن المركزي، بأول شيء كان هو بالأمن العسكري بواسطات كبيرة ومصاري، تم تحويل ملفو من القضاء العسكري إلى القضاء المدني" دفعَتْ عائلةُ عبد الله مبالغَ ماليةً طائلةً للوسطاءِ والسماسرةِ بهدفِ البحثِ عن مكانِ احتجازِه بغيةَ إطلاقِ سراحِه،

دونَ أيِّ نتيجة أو فائدة".

"حاولنا كثير يعني إنه نبحث عن عبد الله دوما يعني بالمراكز الأمن وهيك ما كان في تعاون معنا أبداً أبداً، لكن من خلال واسطات وسماسرة تم النصب علينا واستغلالنا أكثر من مرة، دفعنا مبالغ كبيرة كتير انصب علينا، وما حسنا نوصله أو نفرج عنه، إحدى المرات دفعنا ما يقارب 10,000 دولار، ومرة ثانيه 23,000 دولار، والمرة الثالثة تحاول ينتصب علينا بس يعني ما دفعنا كان مطلوب منا 75,000 دولار، إنه حتى يساعدونا بالإفراج عنه إنه بيطالعو وهيك قصص".

كانَ الأثرُ النفسيُّ الأعمقُ بعدَ أَثَرِ الاعتقالِ هو خيبةُ الأملِ و التعرضُ للابتزازِ المالي، لقد كانَتِ العائلةُ فوقَ مُصابِها ضحيةَ المحتاليـنَ والسماسرة، اضطرتَ العائلةُ لاستدانةِ الأموالِ اللازمةِ لإطلاقِ سراحِه على أملِ أن يفرحوا في العيدِ بخروجه: "طبعاً الابتزاز المالي اللي تعرضنا له والنصب، يعني له آثار نفسية أكثر من هي الموضوع المادي يعني، طبعاً يعني نحنا اتدينا وحطينا اللي فوقنا وتحتنا، بس يعني كان عنا أمل إنه نشوف ابننا، يعني لما إنتي بتدفعي مصاري وبتديني وبتزبطي أمورك، يعني المرة الأولى بالابتزاز إللي دفعنا فيها 10,000 دولار. كانت الفكرة إنه العيد إن شاء الله بيطلع. فاستنينا خلص عيد الصغير، إجا العيد الكبير، صدقيني طبخ ما طبخنا ونقول عجية عبد الله إن شاء الله بنعمل أكل طيب نستنا نطلعو أخواته، يعني كلياتنا كنا هيك مترقبين حتى العيد ".

لكن الشخصَ (الواسطة) يونسَ عمار منَ القصرِ الجمهوري كان يقدمُ الوعودَ لعائلةِ عبد الله ويلفِّقُ القصصَ عنِ اقترابِ لحظةِ الإفراجِ عنه.

"ندق لهذا النصاب إللي هو كان اسمه يونس عمار من القصر الجمهوري، هو بالشام فكنا ندقله تليفونات يكون خارج التغطية. معه ويقوله يلا يومين ثلاثة، يبعتلنا أوراق تم إحالته من المحكمة الإرهاب إلى محكمة المصالحة الوطنية، كون يديه لم تتلطخ بالدماء، مرة ثانيه يبعتلنا عشر أسامي ومن بيناتهن اسم ابني إنه تم إحالته للسجن المركزي ورح يفرج عنه خلال فترة. بعدين انقطع الاتصال فينا نحاول نحاول. تم النصب علينا يعني، وفقدنا الأمل بعد شيء 4 -5 أشهر من الانتظار المؤلم جدا جدا".

كما دفعَتِ العائلةُ لسماسرةٍ آخرينَ ادعوا المقدرةَ على الوصولِ لمكانِ المعتقل، لكنَّ جميعَ هذه المحاولاتِ المتكررةِ كانتْ باباً لابتزازِ العائلةِ المتلهفةِ لنجاةِ ابنِها من جحيمِ الاعتقال.

بعدَ تجربَتِها المُرةِ في رحلةِ بحثِها عنِ ابنِها المعتقلِ تحذرُ أمُّ عبدو عائلاتِ المعتقلينَ من الاستماعِ لوعودِ السماسرة، لأنها كما تقولُ عملياتُ نصبٍ مُنظَّمةٍ تستنزفُ العائلاتِ بدون أي طائل.

"مبلغ 23,000 دولار كمان دفعناهم لوسيط من الفصائل، قال إنه بيعرف شخصية إنه هو خرج يطالعلنا ابننا، وقالو لنا إنه ابنكم طيب وراح نطالعو هاليومين وراح يساعدوه،

ومرة وعدونا إنه يجيبولنا مقطع فيديو له بالسجن، طبعا كلياتها من أبواب النصب والاحتيال. أنا هلق كثير بحذر الأهالي والناس إللي بيشوفن على صفحات الفيسبوك أسامي المعتقلين أو معتقل خرج، وإنه بيعرف يطالعلكم أخوه ابنكم مثل ما طلع هو دفع للمحامي دفع لكذا، كله كذب ونصب على الناس".

بعدَ اثني عشَرَ عاماً مضَتْ على فقدانِ ابنِها في سجونِ النظامِ تروي أمُّ عبدو عن وجعِ الانتظارِ إذ لم تستطيعِ النومَ لسنواتٍ وهي في حالةِ ترقب، تخشى أن تموتَ بقصفِ الطيرانِ وأن يخرجَ عبدُ اللّٰهِ دونَ أن يجدَ عائلَتَه: "هلق يعني الآثار النفسية بسبب الفقد يعني أنا كأُم بقيت يمكن أكثر من لل2019، إذا بقلك ما بنام الليل وأنا هيك يعني قلقانة وبتسطح بالفرشة ما بحسن نام توتر، طول الوقت هيك يعني عندي انتظار يعني هيك حالة ترقب، كل ما إجى حدا كل ما انقصفنا بالطيران، كل ما انقصفنا بالراجمات، وأنا خوفانة إنه موت ويجي ابني ما يلاقينا".

ألمُ الفقدِ والخذلانِ هو ما بقَي في قلبِ أم عبدو تقول: "من يعوض عذاب السنوات الطويلة لأُسر المعتقلين، وتتساءلُ بحزن، ما الجدوى بعد تغييبٍ تجاوز الاثني عشَرَ عاماً هل مازالوا أحياء؟".

"هلأ إذا إله حل، أو ما لو حل، حتى لو إله حل، مين برجع آلاف المعتقلين إللي ماتو تحت إيدين النظام تحت التعذيب، مين إللي بيرجعلنا 12 سنة من العزاب سواء للمعتقل

تحت أيديهم أو لأهاليهم وأولادهم وعائلاتهم بالخارج، النظام يعني ما عذب بس 100,000 معتقل أو 200,000 معتقل أو 1,000,000 معتقل، هو عزب مقابلن آلاف العائلات إللي هن أهالي لهالمعتقلين" عن الحل لملف المعتقلين تحكي أم عبدو.

تأمَلُ وتحلُمُ أم عبدو أن يأتيَ الحلُّ لقضيةِ المعتقلينَ وهو غيرُ ممكنٍ برأيِها إلا بذهابِ نظامِ بشارَ الأسد ومحاسبتِه عن طريقِ ضغطٍ دوليٍّ قوي، وتسألُ ألم يحِنِ الوقتُ لوقفِ سيلِ عذاباتِ الأهالي ومحاسبةِ المجرمين؟! لكنَّها ترى أن العالمَ متواطئٌ وأن تطبيعَ الدولِ العربيةِ معَ النظامِ الآنَ ينكأُ جراحَ أهالي المعتقلين.

"نرجو إنه يكون في حل، ما في حل إلا بمحاكمة بشار الأسد. والضغط دولي قوي لإخراج جميع المعتقلين، وهذا شبه حلم يعني نحلم فيه هيك بعتقد يعني. لأنه تواطئ العالم كله مع بشار الأسد، وأخيرا تسويقه وإرجاعه إلى الجامعة العربية، وإرجاع بعض العلاقات الدبلوماسية مع ها النظام، بدل على إنه العالم داير ظهره للشعب السوري وللمعتقلين".

تؤكدُ أم عبدو على أن ذوي المعتقلينَ والمنظماتِ ذاتِ الصلةِ كحركةِ (عائلاتٌ من أجلِ الحريةِ) ماضونَ في حملةِ المطالبةِ بالحقيقةِ والعدالةِ ومعرفةِ كلِّ التفاصيلِ عن حيواتِ أحبائِهم.

"أنا وكل أهالي المعتقلين رح نضل مستمرين، أخواتنا مؤسسات حركة عائلات من أجل الحرية، هن بأوروبا وبأمريكا عم يشتغلوا، ونحنا هون بالداخل عم نعمل وقفات منتضامن معهن. الكشف عن الشباب المعتقلين ومصيرهم، بدنا جثث وجثامين شهدائنا المعتقلين، وبدنا نعرف كيف ماتوا، شو قالوا، وكيف كانت آخر لحظاتهم. كيف عانوا إللي عانوه، بدنا نعرف كل شيء عنهم، ونعرف مصيرهم، هل هنّ أحياء الآن أم أموات؟ ويجب الإفراج عنهم وبأسرع وقت، هي قضيتنا لنموت، ما رح نتركها إن شاء الله".

تؤكدُ أنهُ سيظلُّ أهالي المعتقلينَ صوتَهم إلى العالم، والمدافعَ عن قضيتِهم حتى إطلاقِ سراحِهم ومعرفةِ مصيرِهم ومحاسبةِ نظامِ بشارَ الأسد.

"هن بالسجون صوتهن ما عم يطلع، نحنا صوتن نحن صداهن إللي لازم يسمعو كل العالم ورح نضل ورا هذا المجرم بشار الأسد حتى الإفراج عن جميع المعتقلين، تبييض السجون وإنزال أقصى العقوبة بالمجرم بشار الأسد ومن كان تحت إيديه من ضباط تحقيق وتعذيب في السجون، وكل الانتهاكات إللي كانت في حق المعتقلين يجب مقاضاتهم أمام قضاء عادل".

لا تُخْفِ أم عبدو شعورَ الإحباطِ والخيبةِ منَ المجتمع ِالدوليِّ ومنظماتِ حقوقِ الإنسان، تقولُ انَّ ما يرفعونَه من شعاراتٍ ويدَّعونَه من مواقفَ إنسانيةٍ كذبٌ، مادام هناكَ مغيبينَ ومعتقلينَ في سوريا.

"أنا هلق بس بناشد كل حر كل شريف، كل منظمة تدعي حقوق الإنسان، يعني رح نعمل خلال تعاملنا مع المنظمات ومعا الدول وهيك. كلهم كانوا يتشدقون بي بحقوق الإنسان، حقوق الطفل، حقوق المرأة، كلهم كانوا كذابين، يعني على المحك ما حدا وقف لا مع الطفل ولا مع المرأة ولا مع المعتقل، ولا وقف ضد الظلم، الإنسانية شعار كاذب ترفعه الدول والمنظمات. أنا هذا رأيي، وطول ما في مظلومين في سجون الأسد وسجون أي مجرم أو ديكتاتور، يعني برأيي إنه الإنسانية هي شعارات كذابة، عم ترفع إذا لم يتم نشر العدالة ومقاضاة المجرمين".

أم إبراهيم

اعتُقلَ زوجُ أمِّ إبراهيم -سيدةٌ من مدينةِ إدلب- كغيرِهِ منَ العشراتِ بلِ المئاتِ ضمنَ الاعتقالاتِ العشوائيةِ التي قامَ بيها النظامُ السوريُّ على الحواجزِ العسكرية، مُستهدفاً أبناءَ المحافظاتِ التي تمرَّدَت ضدَّه.

المعتقلُ من مواليدِ 1969 كانَ بعمرِ/45/ عاماً لحظةَ اعتقالِه، يعملُ في مِهنَة البلاط. اعتُقِل بتاريخِ 9/حزيران/2013 لديهِ أربعةُ اولاد، ثلاثةُ صبيانٍ وفتاةٌ وأعمارُهُم على التوالي (18- 14-15-8) عاماً.
"زوجي كان بيشتغل مبلط، كان يعني إنه شغلو الحمد لله ماشي، طبعاً قبل الأحداث. بالأحداث كل الخلق ما بقى تقدر تشتغل. عمره عند إللي أخذوه كان عمره 45 سنة مواليده 69. هلق صارله معتقل بال 2013 شهر السادس، تسعة بالشهر".

لا تعلمُ أُمُّ إبراهيمَ سبباً لاعتقالِ زوجِها وتُضيفُ أنه ليسَ هناكَ مبررٌ ليقومَ النظامُ باعتقالِه، قد تكونُ المصادفةُ وبحَسبَ مزاجِ القائمينَ على عملياتِ الاعتقال.

"طبعاً سببُ الاعتقالِ من دونِ أيِّ سبب. كانوا يعتقلوا مين من شافوه بطريقن، وبدن يعتقلوا أو كانوا مزعوجين من شيء، أو يعتقلوا من دون أي سبب كبير صغير ما يفرق معهم".

حولَ الظروفِ والملابساتِ المحيطةِ بقصةِ اعتقالِ زوجِها كما تروي أم إبراهيم: أنه سافرَ لزيارةِ ابنِه في بيروت، وفي طريقِ عودَتِهِ إلى مدينةِ إدلبَ تمَّ اعتقالُهُ على حاجزِ القطيفة 21 الشهيرِ الذي يعرِفُهُ السوريون. وقد عَلِمَتْ عائِلَتُهُ عن نبأِ الاعتقالِ من قِبَلِ سائِقِ باصِ الكرنكِ الذي كانَ قادماً مَعَه.

"سبب الاعتقال، راح على لبنان برك شهر بس. ما حدا قله شيء يعني عند إللي راح ولا أبدا. بس عند إللي هو جاي حاجز القطيفي، هذا هون حاجز القطيفي يعني أخذ كثير كثير ناس من عليه خصوصيي يعني أهالي إدلب. كان في عميد اسمه العميد نوفل، على ما أظن، يعني يحكوا الخلق أنا ما بعرف. إنه كل شخص يعدي ومن أهالي إدلب كثير يعني عينه محمرة كانت من أهالي إدلب، وإي وأخذوه. أنا ما بعرف يعني إنه كيف بس شوفير الكرنك إللي كان طبعا جوزي نازل فيه إجى وقتها وقلنا ".

لقد وثَّقَتْ منظماتٌ حقوقيةٌ عديدةٌ قيامَ النظامِ السوريِّ بالاعتقالاتِ التعسفيةِ ضدَّ أهالي المحافظاتِ السوريةِّ ومن بينِها محافظةُ إدلب.

تُؤكدُ أمُّ إبراهيمَ أنَّ الجهةَ المسؤولةَ عن اعتقالِ زوجِها هيَ النظامُ السوري، وتقولُ لا يكادُ يخلو بيتٌ في محافظةِ إدلبَ من معتقلٍ أو شهيدٍ أو مفقود.

"طبعاً الجهة المسؤولة عن الاعتقال النظام. النظام ما ترك حدا إلا، يعني ما في بيت هون عنا في إدلب إلا فيه معتقل إلا فيه شهيد وشهيدين، إلا فيه مفقود، ما في حدا هون عنا بإدلب، إلا هيك صار فيه".

لا تعلمُ أمُّ إبراهيمَ أيَّ شيءٍ عنْ مكانِ احتجازِ زوجِها، اخبرتنا أنها تعرضت للابتزاز المادي أثناء سعيها للبحث عن زوجها، من أجل الحصول على أي معلومة عنه، لقد دفعت أموال أكثر من مرة هي وأخو زوجها مقابل ذلك دون جدوى.

«إنه إذا جيت بدي أسأل يطلبو مصاري يطلبوا، وكذا مرة يعني دفعنا مصاري. أنا هون وابن حماي أخو زوجي، يعني مين ما يقلنا إنه مثلا إنه حاضر بيعرف هذا نتواصل معه، يطلب مصاري نبعت مصاري. وبالأخير يقولوا ما موجود، ما لو اسم لا بين الأموات ولا بين الأحياء، ولا موجود اسمه طاول طاول طاول».

تَعتقدُ أم إبراهيمَ أنَّ قضيةَ المعتقلينَ قضيةٌ كبيرةٌ جداً، وأكبرُ من قُدرةِ الأفرادِ، معبرةً عن شعورِها بالخيبة والعجز.

"هلق الطريقة لإخراج المعتقلين المفقودين، الله يكون بعون الخلق، بالنسبة أنا إلي يعني الشغلة يعني أكبر مني بكثير، وربي يفرج عليهم بجاه لا إله إلا الله".

شاركَتْ أمُّ إبراهيمَ في الحملاتِ المطالبةِ بالمعتقلينَ ومعرفةِ مصيرِهم، من أجلِ إطلاقِ سراحِهم كما لجأَتْ إلى سؤالِ بعضِ المعتقلينَ الذينَ خرجوا من مُعتقلاتِ النظامِ للسؤالِ عن زوجِهَا لكنْ لم تصلْ للحقيقة، لقدْ فُقِدَ أَثَرُ زوجِها وباتَ غيرَ معروفٍ بينَ الأحياءِ أوِ الأمواتِ منذُ قرابةِ العشْرِ سنوات.

"هلق أي اشتركت كثير يعني بحملات، ومين ما سمعت إنه مثلاً حدا طلع نبعت نسأل مثلا إذا بعتوا رقم ع الواتس، نبعت يعني أبعت بيانات أبعت الاسم واستفسر واسأل، وكثير يعني طلعت وما في أي نتيجة، طبعا لا بين الأحياء ولا بين الأموات".

تُشيرُ أم إبراهيمَ إلى خشيتِها من السؤالِ عن زوجِها في بدايةِ اعتقالِهِ خوفاً على أولادِها من بطشِ النظام، لكن بعدَ خروجِ محافظةِ إدلبَ في عام 2015 عن سيطرةِ النظامِ السوريِّ تَغَيَّرَ الظرفُ وباتَ بإمكانَها التصريحُ عن اعتقالِ زوجِها والمطالَبةِ بمعرفةِ مصيره.

. "هون طبعا هذا الحكي يعني ما أستجري قول أنو معتقل على زمان النظام قبل ما تحررت إدلب. والمفقود والما بعرف وينو، إي ما يعني ما أقدر، ما نسترجي نحكي أنا من خوفي طبعا على أولادي على حالي، هون ما ولادي بدهم يروحوا ويجوا على المدارس، ما أقدر أحكي".

كان لتداعياتِ الاعتقالِ آثارٌ قاسيةٌ على عائلةِ المعتقلِ طالَتْ أولادَهُ خاصةً ابنَه الأكبرَ الذي سافرَ الى لبنانَ في بدايةِ الاحتجاجاتِ ليتجنبِ التجنيدِ الإجباريِّ في قواتِ النظام، وبعدَ سماعِ نبأِ اعتقالِ والدِه عاشَ صراعاً وضغوطاً نفسيةً وإحساساً بعقدةِ ذنبٍ أنهُ كان سبباً في اعتقالِ والدِه -كما أخبرَهُ أقرانُه من أبناءِ مدينَتِه - ومن جهةٍ أخرى واجَهَ تهمةَ أن والدَه مع الإرهابيين، لذا أرادَ العودةَ للمشاركةِ بالقتالِ ضدَّ النظامِ الذي غَيَّبَ والدَه لذلكَ وبعدَ أن تمكنَ منَ العودةِ إلى إدلبَ انضمَّ إلى الفصائلِ المقاتلةِ ثمَّ قُتِلَ في إحدى عملياتِ القتالِ الدائرةِ في إدلبَ ضدَّ النظامِ تاركاً زوجَتَه الحاملَ ليتضاعفَ العبءُ على العائلة.

"طالعته على لبنان كان أبوه موجود. مشان سن عسكرية حتى ما يطلع على العسكرية. سبحان الله تم هو شهرين ثلاثة. طلع أبوه لعندو بده يستفقدو وبدو يشوف وضعه، كان عمره 18 سنة يعني كان ابني لسه صغير أش 18 سنة. طلع استفقده وبرك عنده شهر ونزل. عند إللي نزل هون أخذوه على الحاجز وكل ساعة والثانية يقلي يا أمي بدي أنزل، بدي أنزل تهريب. هون طبعا الشباب كلياتهم قاموا بالثورة. وصار يسمع هيك ويسمع هيك، وأبوه معتقل وأخذوا أبوك بسببك. وكثير هونيك صاروا يحكوا وأبوك عم يشتغل كان مع ال. صاروا يقولوله إنه أبوك مع الإرهابيين وأبوك هيك وأبوك، صار معه مثل الحالة النفسية الله يتقبله. تم هيك وعاني معه ".

كما عانَتْ زوجةُ المعتقلِ من حالةٍ نفسيةٍ وماديةٍ بفقدانِها المفاجئَ لزوجِها المعيلِ لأُسرتها لاسيما أنَّ أطفالَها صغارٌ وفي المدارس.

"هلق بالنسبة للحالة النفسية، طبعاً الوحدة بدها زوجها أبو أولادها، يعني كان هو المسؤول عنها وعن أولادها، وظروف كانت كثير كثير صعبة. إنه كان الصغير عمره ثمان سنين. عند إللي أخذو أبوه، والأكبر كان صف ثامن، والبنت كانت تاسع بدها تقدم تاسع حر. كانت عم بعملها دورات، والكبير الله يتقبله كان في لبنان. إيه كثير إجباري الوحدة حالة نفسية، والوضع صعب".

عاشَتْ أمُّ إبراهيمَ عقبَ اعتقالِ زوجِها ظرفاً اقتصادياً صعباً، لاسيما أن عائلَتها وعائلةَ زوجِها ليسَ لديهِما القدرةُ على مدِّ يدِ العونِ وتُوضِحُ أنَّ والدَيْ زوجِها تُوُفِّيا أَما والدُهَا فكبيرٌ بالسنِّ كما تَضرَّرَ تعليمُ أبنائِها إذ لم تتمكنِ ابنتُها أن تكملَ تعليمَها بعد الصفِّ التاسع، وتركَ ابنُها الثاني تعليمَهُ أيضاً.

"والحالة الاقتصادي طبعاً من الوحدة، برجع بقولك وحدة ضيعت زوجها. يعني لمين الوحدة بدها تلجأ طبعا للأهل، للأهل الزوج أهل الزوج ما لن موجودين ميتين، ما في عندي غير أولاد أحمى. وشقد الوحدة يعني ولاد حماها سألوا، مو متل زوجها، و أبوي كان كمان عندي أخواتي مع الشباب. يعني بده إياني إلا بده أخواتك ورجال كبير، الله يكون بالعون أولادي يعني بنتي ما قدرت تقدم التاسع حر بعد ما عملتلها دورات و تحررت إدلب الحمد لله رب العالمين".

انخرطَ ولَدَا أُمِّ إبراهيمَ في القتالِ مع الفصائل،

حيثُ شاركَ ابنُها الثاني مع أخيهِ العائدِ من لبنانَ في المعاركِ ضدَّ النظام، لكنْ بعدَ مقتلِ ابنِها الأكبرَ رفضَتْ أم إبراهيم بإصرارٍ أن يستمرَّ الثاني في القتال.

"هون عند إللي جابولي ابني شهيد الله يتقبله. ما بقى أبعته لأخوه الأصغر منه. قلتله حاجة أخوك يعني مين تملي، وقفت بطريقه عملت المستحيل ما بقى. والله بيعلم أش دقت بها الفترة، يعني حالة نفسية وضغوط يعني والحالة المادية الله بعين".

تروي أُمُّ إبراهيمَ عنِ الحزنِ والألمِ النفسيِّ المزمنِ لذوي المعتقلينَ، تَصفُهُ بأنهُ أشدُ وأقسى من ألمِ ذوي الشهداءِ وتضيفُ أن ابنها قتل وآمنت أنه شهيدٌ لكنَّ قضيةَ المعتقلينَ هي جرحٌ ينزفُ في انتظارِ الكشفِ عن مصيرِهم.

"هلق الاهتمام بملف المعتقلين. إنه يطلعو عليهن، هلق أنا ابني شهيد أمنت خلاص برد قلبي شوي. الله يتقبلو ويجمعنا فيه بالجنة. بس هالمعتقلين في أمهات كثير يلي عندها واحد وإللي عندها إثنين. في ناس كثير يعني ما بيعرفوا مصير ولادهم مصير أزواجهم مثلي أمثال. إنه الواحد يعرفه أهون بتم يعني أهون من هالعذاب يلي نحنا عايشين فيه برا وهن جوا. الله أعلم فيهم" .

تطالبُ أُم إبراهيمَ بدعمِ ذوي المعتقلينَ خاصةً أبناءَ المعتقلينَ بمساعداتٍ ماديةٍ أو فُرَصِ عملٍ في ظلِّ الأوضاعِ الاقتصاديةِ التي تزدادُ صعوبةً في محافظةِ إدلب.

"هالمنظمات إللي بتعرف مثلا إنه ها المعتقل عنده عيلة، عنده زوجة، عنده أولاد، عنده طيب هالأولاد مثلا، ما بدنا شي منهم، لا يعني يدبرولن فرصة عمل".

إن عائلاتِ المعتقلينَ في أمسِّ الحاجةِ للدعمِ والمساندةِ في الكشفِ عن مصيرِ أحِبَّائِهم، من أجلِ راحةِ قلوبهم.

"لكل حدا يعني بيساهم بها الشيء ويساعد أهل هالمفقودين، هالمعتقلين ببرد قلبي وقلب كل هالناس إللي عندهم هيك يعني ناس مفقودين ومعتقلين".

عبد القادر جميل

"المعتقلُ هو أخي أحمدُ جميل، من جبلِ الزاويةِ في ريفِ إدلب، من مواليدِ 1978، متزوجٌ ولديهِ ثلاثةُ أولاد".

اعتُقِلَ أحمدُ في شهر كانون الأول لعام 2011، وبحسبِ أخيه فإن أحمدَ ليسَ له علاقةٌ بأيِّ عملٍ أو نشاطٍ ثوري.

" إنمسك أخوي على حاجز القطيفة. طبعا هو ما طلع بالأحداث ولا بالثورة ولا إله علاقة بأي شي يعني بالثورة، وانمسك على حاجز القطيفة هو وولاد عمي الثلاثة. الجهة المسؤولة عنا، راح الوالد الله يرحمه يسأل عنه ما يدلونا، يعني هي حاجز القطيفة الشبيحة إللي أخذته. سبب الاعتقال بتهمة يعني صاروا يتهموه إنه بعد ما راح الوالد -الله يرحمه ويرحم أمواتنا وأمواتكم وأموات السامعين- صاروا يتهموه إنه تمويل المظاهرات وما بعرف إيش ومن هالحكي هذا، اعتقل بالشهر 12 بال 2011".

وكان يُعتبرُ حاجزُ القطيفةِ قبلَ إزالتِه بتاريخ 11 أذار 2020 من أشهرِ الحواجزِ الأمنية في سورية، التي قامتْ بالاعتقالِ التعسفي.

كتبَ عمرُ سليمان يوسف، صحفيٌ سوريٌ، **مقالاً 22** عن حاجزِ القطيفةِ في موقع "حكاية ما نحكت"

تحت عنوان " حاجزُ القطيفة، كابوسُ السوريين". وقال في مقدمةِ المقال: " يُعرف هذا الحاجز بعدّة أسماء، منها: حاجزُ الرعب، حاجزُ الموت، حاجزُ الخوف... فهو يختلفُ عن بقيةِ حواجزِ سوريا بأنّ القائمينَ عليه لا يمكنُ رشوتهم، ويقومونَ بالتفتيش الدقيقِ على أسماءِ المطلوبين، علماً أنّ المطلوبَ على هذا الحاجزِ قد لا يكونُ مطلوباً على حواجزَ أخرى، فأسماءُ المطلوبينَ لمختلفَ الأسباب (المعارضة، الإرهاب، حمل السلاح، التخلّف عن الخدمة الإلزامية، وهن نفسية الأمة، التخابر مع جهات خارجية) وغيرِها، كلُّها حاضرةٌ في القوائمِ الموجودةِ على هذا الحاجز، الأمرُ الذي يجعلُ خوفَ السوريينَ من هذا الحاجزِ وحكاياتِهم معهُ مرآةً عاكسةً لحياةِ السوريينَ في الظل العالي للخوف" .

وككلِّ أهالي المعتقلات/ين تبدأُ رحلةُ البحثِ عنهن/م وأيضاً ككلِّ رحلاتِ البحثِ تكونُ بلا جدوى.

" الوالد الله يرحمه راح سأل عليه مرتين ثلاثة بالشام ما يعطوه أي نتيجة، يروح من مكان لمكان، طبعاً في عنا قرايبين هونيك يروح من مكان لمكان يسأل عليه مرة على الشرطة العسكرية مرة على فرع الأمن الجنائي مرة على السياسية ومرة بعتوه على صيدنايا، ما وصلنا يقدر يعني يوصل لهونيك. ما عرف عنه أي شيء".

اليأس من معرفة مصير المعتقلات/ين في سوريا

هو أغلب شعور الأهالي، هذا الشعور الذي تفاقم خاصة بعد انفتاح الدول العربية على إعادة العلاقات مع النظام السوري.

" ملفُّ المعتقلين والمفقودين، يعني منسي خالص. في جهات الله يجزيها الخير، إنه مثلاً قاعدين يسعوا فيها كذا، ولكن ما في استجابة لهذا الشيء، يعني المنظمات الدولية ما في يعني ما حدا عم يطلع بشي. كل الأنظمة ضدنا ما حدا معنا، الأنظمة العربية ضدنا نحن الشعب السوري".

" نحنا الدعم إللي بيحتاجوه أهالي المعتقلين، يعني من المنظمات أو من المجتمع الدولي إنه ما بدون أي شيء إنه إخراج المعتقلين ودعم يعني وضع أهالي المعتقلين صعب، صعب جداً" يختمُ هكذا عبدُ القادرِ عن الدعمِ الذي يريدُه من المنظماتِ أو المجتمعِ الدوليِ فيما يخصُّ قضيةَ المعتقلات/ين في سوريا.

حواجز النظام السوري

أمُّ المعتقل

أمُّ المعتقل

المعتقلُ هو ابني الوحيد.

فضلَتْ سيدةٌ من مدينةِ دمشقَ - حي الزاهرة - عدمَ التصريح عن اسمها أو اسم ابنِها المختفي قسراً، وطلَبَتْ أن نُسميَها بأُمِّ المعتَقل. وهذا ليسَ غريباً في ضوءِ الظروفِ الأمنيةِ التي يعيشُها السوريون/ات، فأهالي المعتقلينَ يخشونَ منَ المطالبةِ بحقوق أبنائِهم خوفاً من التعرضِ للانتهاكاتِ أو الاعتقال من قِبَل أجهزةِ أمن النظام، حيثُ تشملُ الانتهاكاتُ عائلاتِ وأقاربَ المعتقلينَ في سوريا.

حتى اليومَ لا يزالُ مصيرُ المفقودينَ والمغيبينَ في سوريا يُشكِّلُ علامةَ استفهامٍ كبيرةً.

لقد مضى أكثرَ من أحدَ عشَرَ عاماً على اختفاءِ هذا الشابِّ وفقدان أيِّ أثرٍ له. انقطعَتْ أخبارُه واختفَى في عام 2013 كما أخبرتْنَا والدتُه: "كانَ تاريخُ اختفائِه في مخيمِ اليرموكِ 28-1-2013 م".

وتَشملُ حالاتُ التغييبِ القسريِّ في سوريا **ثلاثةَ أركانٍ** كما تُبيِّنُها حالاتُ وشهاداتُ ذوي المفقودين:

- الركنُ الأولُ: ثَمَّة أشخاصٌ مُحتجزون في مكانٍ مَجْهول.
- والركنُ الثاني، المصيرُ المجهولُ فلا يَعلمُ أهالِي المفقودينَ إن كان المحتجزون أحْياءً أم أمواتاً.

. والركنُ الثالث، عدمُ معرفةِ الجهةِ المغَيِّبَةِ من قِبَلِ الأهالي، أو إنكارِ هذه الجهةِ قيامَها بعمليةِ الاعتقالِ والتغيب .

لا تعرفُ أمُّ المعتقلِ أيةَ معلوماتٍ عن اختفاءِ ابنِها، وحولَ مَا إذَا كان لا يزالُ حياً أم قُتِلَ، وأينَ تم ذلك وكيف: "طبعاً أنا حاولت أبحث عن وجوده، عن مين اللي أخذه؟ وين هو؟ كثير حاولت، بقيت سنتين حاول. لكن دون جدوى".

المفقودَ شابٌّ عمرُه /22/ عاماً يعملُ في مجالِ التغليفِ والتجليد، إنسانٌ تصفهُ والدَتُه بأنه محبٌ للخير، وكان مقبلاً على الارتباط: "كان يشتغل بالتجليد والتغليف، كان عمره 22 سنة. كنت عم بخطبلو، كان إنسان كتير منيح، محبّ، بحب الخير لكل الناس. حنون على أخواته وعليّ، كان دائماً إيده للخير".

كانَ مسؤولاً عن إحضارِ الموادِ الأوليةِ اللازمةِ للعمل، وهذه الموادُ يتمُّ إحضارُها من محافظةِ ريفِ دمشق، وكانَ الممرُّ الوحيدُ عبر مخيمِ اليرموك. وفي يوم 28 كانون الثاني عام 2013 خرجَ لجلبِ الموادِ من ريف دمشق، وفقدَتِ العائلةُ الاتصالَ به نهائياً: "الحقيقة هو كان بجيب أغراض من ريف دمشق لمدينة دمشق. هو أغراض عمله تبع التجليد والتغليف. وكان ممرو الوحيد هو من مخيم اليرموك. فهون نحن الساعة 7:00 راح ولازم الساعة 10:00 يجي.

هون قطعنا الاتصال فيه، وما عدنا عرفنا وينه. ولم نعرف سبب اعتقاله أبداً. لِوينُ أخذوه؟ ما عرفنا".

مخيمُ اليرموكِ هو منطقةٌ في مدينةِ دمشقَ وأكبرُ تجمعٍ للاجئينَ الفلسطينيين. في عام 2013 تعرضَ للقصفِ والحصارِ من قِبَلِ النظامِ السوري، وكانَ صلةَ الوصلِ ومَمراً لبعضِ بلداتِ ريفِ دمشقَ مثلَ يلدا وببيلا.

أمَّا عنِ الجهةِ المسؤولةِ عنِ الاعتقالِ كما أخبرَتْنَا والدةُ الشاب، فهي ما يُعرفُ بقواتِ الدفاعِ الوطنيِّ المسؤولةِ عن هذا الاعتقال: « بعدَها اكتشفْنَا أنه اعتقلوه بسبب أخذته جهة أول ما أخذوه، أخذوه جهة تَدَّعِي نفسها الدفاعَ المدني، هؤلاء هم يَدَّعُون نفسَهُم أنَّهُم الدفاعُ المدني همُ الذين أخذوه.» مع ملاحظةِ أنَّ هناكَ التباساً بتسميةِ الدفاعِ المدنيِّ لدى والدة الشاب.

عن سببِ الاعتقال، لا يَعرفُ أغلبُ أهالي المفقودينَ سببَ اختفاءِ أبنائِهم وأحبَّائِهم، وحالتُنَا هذه ليستْ استثناءً. ويلجأُ الأهالي إلى التخمينِ لمعرفةِ سببِ الاعتقال. بَيَّنَتْ والدةُ الشابِّ المفقودِ أنَّه قد يكونُ سببُ اعتقالِه تعرُّضُه للإبلاغِ من قِبَل شريكِهِ بالعمل.: "بس شو السبب ما عرفناه بداية. هنن كانوا سبب أخذِهِ، لكن كان السبب الرئيسي إللي اكتشفتُه بعد فترة أنَّ شريكَهُ إللي كان هو أعز صديق إلِه، هو اللي فاسد عليه، وبهذا السبب اعتقل".

بدأَتْ والدةُ المعتقلِ البحثَ عنِ ابنِهَا في عمليةٍ طويلةٍ وشاقةٍ عرفَهَا واختبرَهَا ذوو المعتقلينَ في سوريا، لكن مساعيهَا لم تُكلَّل بالنجاح.

لمْ يقتصرِ الأمرُ على إنكارِ وجودِ ابنِهَا في أيِّ مكانٍ تابعٍ للأجهزةِ الأمنية، بل تم تهديدُهَا من قِبَل الجهاتِ الأمنيةِ باعتقالِهَا إذا استمرَّت في البحثِ عنِهُ: "للأسف وقت إللي كنت أسأل عنو الأفرع الأمنية، يهددوني يقولولي إذا بدك إياه فوتي لجوا يعني دوري عليه إنتي بالأفرع. كثير تعرضت لأنه كنت أنا رح أُعتقل كمان. لكن بالآخر، قلت وابتعدت قليلاً، حتى إنه ع القليلة أكون بعيدة، وأقدر ظل أبحث عنه".

لقد تركَ اختفاءُ ابنِهَا الوحيدِ جرحاً نفسيّاً عميقاً. شعرَتْ باليأسِ من الحياة: "حسيت إنه الدنيا ما عاد فيها أي خير، ما عاد إلها أي طعم. كان إللي هو فرحتي كنت منتظره إنه الدنيا كلها تفرح معي لفرحتي فيه. للأسف، كان فقدانُهُ إلِه آثار سلبية كثيرة عليّ".

بالرغمِ من كلِّ الضغوطِ النفسيةِ والحزنِ والخسارةِ التي يعيشُهَا ذوو المعتقلينِ والمغيبينَ، فإن سرديَّة النظامِ السوريِّ تربطُ الاعتقالَ بتهمةِ الإرهابِ في إنكارٍ واضحٍ لحقوقِ الضحايا. لذلك كثيرٌ منَ الأهالي تعرَّضوا لوصمةِ الإرهاب: "بالنسبة للمجتمع، بالنسبة للنظام، كان هو أنا بنظرِهِم إنِّي أنا أم إرهابي. هادا بالمجتمع كان يعني أسهل كثير، كثير،

إنَّه دائماً العالم توجِّهُ لِكِ تهمة أنَّك إنتِ أم إنسان إرهابي. أما بالنسبة للجيران فكان بالعكس كان تماماً إنَّه هو كان إنسان محترم، وكان كثير جيد".

يُضافُ الى ذلكَ الآثارُ الاقتصاديةُ على الأمِّ بفقدانِ معيلِهَا: "كان مسؤولاً عني مادياً ومعنوياً ونفسياً. "كثير خسرت بأي شيء بسبب عدم وجوده جنبي. الحياة كثير صعبة، وقت بيكون الإنسان هو عم يصرف عليكي وهو عم يعطيكي الحنان وعم يعطيكي أي شيء بتتمنّيه. عم يكون إلك الصديق والولد فجأة تفقديه. كثير عانيت بالحالة المادية، كثير عانيت، صح بناتي جنبي، لكن كان هو وجودُهُ الداعم الإقتصادي".

تَرى والدةُ المعتقل أنَّ إيجادَ حلٍ لقضيةِ المعتقلينَ يتمثلُ في الاستمرارِ بالمطالبةِ من قِبَل ذوي المعتقلينَ والجهاتِ الداعمةِ وعدمِ السكوت. وأكدَتْ أهميةَ وضرورةَ توفيرِ الدعمِ النفسيِّ والدعمِ الماديِّ لعائلاتِ المعتقلينَ وأنَّ ملفَّ المختفينِ والمعتقلينَ يحتاجُ إلى تضافُرِ جُهُودِ جميعِ الجهاتِ والمنظمات، وألا يقتصِرَ على جهةٍ واحدة.

عانى ذوو المعتقلينَ من الابتزازِ الماديِّ للحصولِ على أيةٍّ معلومةٍ عن مصيرِ أحبائِهِم-هل ما زالوا أحياءً- وفي السعيِ لإطلاقِ سراحِهِم: "الحقيقة بالنسبة للابتزاز المادي، ناس حاولت إنّه نحن منجيبلك إياه، نحن منسمعك صوته، نحن منوصلك إله، بس بدنا مبالغ.

لكن أنا كنت عاقلة، وما اتجهت لهذا الطريق، لإنّه بعرف الطريق فاشل وطريق كاذب، وهو بس عبارة عن ابتزاز أموال مو أكثر".

ولقد كشفَ تقريرٌ 24 صادرٌ عن رابطةِ معتقلي سجنِ صيدنايا أن النظامَ يتاجرُ في ملفِّ المعتقلينَ ويحققُ ملايينَ الدولارات.

بالرغمِ من الصعوباتِ والتحديات، لم تتوقفْ أُمُّ المعتقلِ عنِ السعيِ والبحثِ عنِ ابنِهَا الوحيد المفقودِ للوصولِ لأية معلومة. وفي سبيلِ ذلك شاركَتْ في حملاتٍ عديدةٍ للمناصرةِ من أجلِ المعتقلينَ وللمطالبةِ بالكشفِ عن مصيرِهِم: "وأنا بالنسبة إلي كثير حاولت مثل كثير أمهات وزوجات المشاركة بحملات".

ولقد وجَّهَت شُكْرَهَا إلى مركزِ أملَ للمناصرةِ والتعافي للدعمِ والمساندةِ الذي قدَّمَهُ لذوي المعتقلين: "مركز المفقودين مركز امل للمناصرة والتعافي، هو كان يدعمُنَا نفسِيا دائماً، وكُنَّا نشارك معَهُ في حملات لإخراج المفقودين، والبحث عنهم، سواء أبناء أو أزواج أو أقارب".

كما طالبَتْ بضرورةِ وجودِ دورٍ للمنظماتِ الحقوقيةِ المعنيةِ بالمغيبينَ في سوريا، وأن يكونَ هناك جُهُودٌ مُنَظَّمَةٌ لمعرفةِ الحقيقةِ والكشفِ عن مصيرِهِم، ومعرفةِ ملابَساتِ اختفائِهِم، وأيضاً من أجلِ المحاسبةِ والحصولِ على العدالةِ، لإراحةِ ذوي المعتقلينَ أنفسِهِم بمحاسبةِ

مرتكبي هذه الانتهاكات: "لكن بالإضافة لذلك، لازم نحن يكون في منظمات تدعمُنَا لتساعدَنَا لإخراجِهِم والبحث عنِهِم، البحث عن الميتين، البحث عن المشاركة من المنظمات الدولية لعقاب هؤلاء الذين كانوا سبباً في اختفائِهِم سواءٌ بالتعذيب أو بالموت، أو إنَّهُم لسَّه موجودين. لازم نحن أي منظمة دولية تساعدنَا لنوصل لنحاسب كل من كان في سبب بتعذيبِهِم وفقدانِهِم".

أبو النور الشالة

يعيشُ أبو النورِ في تركيا، ويحكي لنا قِصةَ اعتقالِ أخِ زوجتِه:

سنستخدمُ اسماً مستعاراً للمعتقلِ وليكن " حسن"، وذلكَ لتسهيلِ الأمرِ على الكاتبةِ والقارئة/ئ.

وحسنُ كما عَرَّفَ عنه أبو النور، من مدينةِ حمص، مواليد 1988، كان يعملُ مُربيَ أغنام، متزوجٌ ولديْهِ ولدٌ وبِنْت.

بحسب أبو النور فإن حسن لم يكن لديه أي نشاط ثوري، وتم اعتقاله فقط لأنه من سكان حارة كرم الزيتون: " اعتقل حسن جنوب حمص، على طريق الدمينة الشرقية، حيث اعتقله حاجز "طيار"، تاريخ الاعتقال تقريبا في الشهر السادس بتاريخ 2011".

بحسبِ تقريرٍ للشبكةِ السوريةِ لحقوقِ الإنسانِ صادرٍ بتاريخ 24 تشرين الأول 2013، فإنَّ الحواجزَ المؤقتةَ (الطيارة)[25] مارسَتْ انتهاكاتٍ بحقِّ المدنياتِ/ين واعتقالاتٍ تعسفية.

تَعرَّضَ أهالي المعتقلاتِ/ين في سوريا لعملياتِ نصبٍ واحتيالٍ كبيرة، وقدْ أطلقَتْ "رابطةُ معتقلي ومفقوديْ سجنِ صيدنايا" دليلِ حماية[26] من عملياتِ الاحتيالِ

والابتـزازِ الماليِّ لأهالـي المعتقليـنَ والمخفييـنَ قسـراً وهـو كُتيـبٌ يتضمـن عرضـاً لأبـرزِ الطـرقِ والوسـائلِ التـي تَتبعهـا عصابـاتُ الاحتيـالِ والابتـزازِ ورجـالِ الأمـنِ وبعـضِ المحامييـنَ والوسـطاءِ فـي ابتـزازِ أهالـي المعتقليـنَ والمخفييـنَ قسـراً ماليـاً مقابـلَ تقديـمِ أو تزويـرِ معلومـاتٍ ووثائـقَ عـن أبنائِهم وأحبتِهمُ المعتقليـنَ أو المخفييـن قسـراً، كمـا يحتـوي الدليـلُ علـى بعـضِ الأفـكارِ والنّصائِـحِ التـي مـنَ الممكنِ أن تساعدَ العائلاتِ والعامليـنَ على قضيـةِ الاعتقالِ والإخفاءِ القسـريِّ فـي كشـفِ عمليـاتِ الاحتيـالِ والتزويـرِ والانتبـاهِ لهـا. وسـببُ هـذا الدليـل كمـا قـال [ديـاب سـرية27](#)، المؤسِّـسُ المشـاركُ فـي الرابطـة: "تنجـحُ عمليـاتُ الاحتيـال، لأنهـا تبـدو مثـلَ الشـيءِ الحقيقـي تمامـاً، وتأتـي بشـكلٍ مفاجـئ، وفـي أوقـاتَ لا تتوقّعُهـا العائلـة، وبعـد فِقـدانِ الأمـلِ مـنَ الوصـولِ إلـى معلومـةٍ أو خبـرٍ عـن المعتقـلِ أو المفقـود. وهـي فـي الغالـبِ تَشـملُ عرضـاً مغريـاً جـداً؛ كإخـلاءِ سـبيلِ المعتقـل، أو نَقلِـه إلـى سـجنٍ مدنـي، أو تأميـنِ زيـاراتٍ لـه فـي مـكانِ احتجـازه، أو إعـادةِ محاكمتِـه. نحـاول مـن خـلالِ هـذا الدليـلِ مسـاعدةَ العائلاتِ والعامليـنَ علـى ملـفِ الاعتقـالِ والاختفـاءِ القسـري فـي سـوريا بتجنـبِّ الوقـوعِ كضحايـا عمليـاتِ الاحتيـال والابتـزاز المالـي".

ويحكـي أبـو النـور بأنهـمْ دفعـوا مبالـغَ طائلـةً وتعرضـوا للابتـزازِ فـي بحثِهـم عـن حسـن: " بحثْنـا عـن حسـنَ طويـلا، ودفعْنَـا مبالـغَ طائلـة. وكلـه كان كذبًـا ونصبـاً،

فهذا يقولُ لنا أمنوا مليونَ ليرةٍ سوريةٍ وأنا أُحضِرُ لكم خبراً عنه، وآخُر يساوِمُنا على أكثرَ ويقولُ أنا أُخرجهُ منَ المعتقل" ويضيف: " تعرَّضْنا أيضاً لابتزازٍ بمبلغِ مليوني ليرة إذ كانت الليرةُ السوريةُ وقتَها تساوي ستينَ ليرةً لكل دولارٍ واحد، مقابلَ إخراجِ حسنَ من فرعِ 215 العسكري".

ماتَتْ والدةُ حسنَ حسرةً على ابنها، وخَسِرْنا الكثيرَ منَ الأموالِ التي نَملكُها حتى أصبحْنا على الصفر" هكذا عبَّر أبو النورِ عن الآثار التي ترتبَتْ على اعتقالِ حسن.

ويتابع: " أولادُ حسنَ وزوجتُهُ بلا معيلٍ حالياً، وهم بحاجةٍ إلى دخلٍ شهريٍّ ومصاريفَ للإيجار ِولدراسةِ الأولاد".

المنظمةُ الوحيدةُ التي قدّمتْ له المساعدةَ في قضيةِ حسنَ كما يروي أبو النور: " شاركْنا مركزَ أملَ للمناصرةِ والتعافي بمعلوماتٍ وصورٍ عن حسن، وفقط هذهِ هي المنظمةُ الوحيدةُ التي شاركْنَا معلوماتِ المعتقلِ فيها".

ويُبدي أبو النورِ في الختامِ استعدادَهُ واستعدادَ كُلِّ عائلَتِه لمناصرةِ قضيةِ المعتقلين. وهم وحتى اليومَ لديْهِم بصيصُ أملٍ في تحقيقِ العدالةِ والكشفِ عن مصيرِ المعتقلات/ين في سجونِ النظام:

" نحنُ مستعدونَ للمشاركةِ في مناصرةِ ملفِ المعتقلين، ونحنُ نرحبُ بالمشاركة، ومعكم لآخر رمق".

أم رفيق

والدةُ المعتقلِ رفيقُ زيوان

سرديةُ المعتقلينَ والمُغيبينَ في سوريا بالنسبةِ لعائلاتِهم عذابٌ دائمٌ وجرحٌ نازف، تَستذكِرُ أمُّ رفيقَ ابنَها في كلِّ لحظةٍ من تفاصيلِ حياتِها اليومية، عندما تطبخُ الطعامَ الذي يحبه رفيقُ تشعرُ بالغصةِ وعندما تخرجُ للنزهةِ تفكرُ أنه محرومٌ من ضوء الشمس .

"إنه ابني أنا شو عم ياكل جوا؟ شو عم يشرب؟ لسا إذا بدو الواحد يطلع برة يشم الهوا يشوف الجو الحلو، ينسى إنه ابنه جوا بغيابات السجون، هذا مانو ما عم يشوف لا شمس، ولا ضو ولا شيء. بالبرد كيف بده ينسى ابنه بالشوب، كيف بده ينسى ابنه حتى لو طلع طلعة حلوة، كيف بدو ينسى ابنه. حياة الأهالي المفقودين كلياتها عذاب بعذاب. نحنا على مدار الساعة عم نتعذب".

إنَّ تذكُّرَ المعتقلينَ وحمايَةَ قصصِهم من النسيانِ تعني استمرارَ قضيتهم .

" المعتقل داخل السجون يعني بيكفيه إنه أهله لسه يذكروه بيكفيه. أو الناس بتذكره أو بتحكي فيه، حتى لو حكينا ما بجيب نتيجة".

إنَّ فعلَ التذكُّرِ في قضيةِ المعتقلينَ هي مقاومةٌ في وجهِ سُلطةِ الاستبدادِ التي أنكرتْهم وتريدُ طمسَ كلِّ ملامحِ وجودِهم.

اندلعَتِ الاحتجاجاتُ السلميةُ في مختلفِ أنحاءِ سوريا عام 2011 واشتدَّتْ حملاتُ النظامِ لقمعِ المتظاهرين، لذا تحولَتِ الاحتجاجاتُ إلى المقاومةِ المسلحة. في عام 2012 شنَّ النظامُ حملةً عسكريةً على مدينةِ حمص، استخدمَ فيها الدباباتِ والقذائفِ المدفعيةِ وتمكنَ المدافعونَ عنها والمحتجونَ على النظامِ صدَّ الهجماتِ والسيطرةَ على بعضِ أحياءِ حمص، وتعرَّضَتْ حمصُ للحصارِ بعدَ فشلِ النظامِ في قمعِ الاحتجاجات، ويُعدُّ حصارُ حمصَ من أقسى الحصاراتِ التي تَعرضَتْ لها معظمُ المناطقِ الثائرةِ ضد النظامِ السوري.

تحتَ عنوان "Living under Siege - The Syrian Arab Republic" أصدرَ مكتبُ الأممِ المتحدةِ لحقوقِ الإنسانِ في شباط 2014 ورقةً تفصيليةً[28] حولَ التأثيرِ المدمِّر للحصارِ في سوريا. كانَ من ضمنها تأثيرُ حصارِ القواتِ الحكوميةِ على مدينةِ حمصَ القديمة، التي عانَتْ من نقصٍ في الغذاءِ والدواءِ وشروطاً إنسانيةً صعبة، إضافةً إلى عملياتِ قصفٍ مستمرةٍ من قِبلِ القوات السورية.

تروي أمُّ رفيقَ تفاصيلَ اعتقالِ ابنها، والتي تعكسُ تطورَ أحداثِ الثورةِ السوريةِ وكيفَ غيرتْ مصائِرَ الناسِ خاصةً الشباب.

المعتقلُ رفيقُ زيوان من مدينةِ حمصَ شابٌ بعمرِ/23/ عاماً، طالبٌ جامعي - اختصاصُ كيمياءَ ،سنةٌ ثالثة- قررَ أن يلتحقِ بالخدمةِ العسكرية المفروضةِ على السوريين، لكنَّ اندلاعَ المظاهراتِ غيرتْ حياتَه بلا رجعة .

"طبعا، كان أعزب. كان هو عم يدرس جامعة، ثلاث سنين جامعة، جامعة كيمياء، بعدين قال بدي أوقف الدراسة، بدي أروح أخدم جيش بعدين برجع، لأني حاسس حالي تعبان ما بدي كفي هلأ دراسة، سبحان الله مشي عسكري بشهر 12 سنة 2010 قامت الثورة في شهر آذار بال 2011 يعني بعد أربع شهور من التحاقه بالقطعة".

تشرحُ أمُّ رفيقَ كيفَ فرضَ النظامُ التعتيمَ على الأحداثِ في صفوفِ الجيشِ وعَزَلَ الجنودَ عن حقيقةِ ما يجري بالقولِ أن سوريا تتعرضُ لمؤامرةٍ خارجية، و أطلقَ الجيشَ لقمعِ المظاهراتِ السلميةِ وقتلَ المحتجينَ على أنهم عملاء .

"وقت بلشت الأحداث وبلشت الثورة. طبعاً هن قطعوهم نهائياً عن الأخبار وعن التواصل مع أهلهم. وحتى كانت الجوالات ممنوعة، ممنوع أي شيء حتى يتسمعوا عالأخبار. كانوا ياخذوهم لمكافحة المظاهرات ببدايتها بالشام، أول ما طلعت المظاهرات كانت بالشام. وكانوا يعني بدهم إياهم يعني يقوصوا على المتظاهرين يطلقوا عليهم النار".

لكن رفيقَ عرفَ حقيقةَ الاحتجاجاتِ في أولِّ زيارةٍ لأهلِه بعدَ الأحداث، فقررَ أنهُ لن يشاركَ في قتلِ أحد".

"فابننا يعني حط بباله إنه أنا خلاص أنا بدي أترك الجيش كرمال إنه ما بدي أقتل حدا، يعني أنا ما بدي أقتل حدا من الناس".

وفعلاً نَفَّذَ قرارَه وانشقَّ عنِ الجيشِ والتحقَ بالثوارِ و المحتجينَ المعارضين، للدفاعِ عن ذويهِ ومدينَتِهِ التي تعرضَتْ لحملاتٍ شرسةٍ من النظام في حينها.

"ترك الجيش هو قال أنا ما بدي أرجع، أنا بفضل إني أموت ولا إني أقتل حدا. وانضم للثوار يعني بس ما مشان بده يقتل حدا، انضم للثوار مشان بس يزيح الأذى عننا، لأن نحنا كنا بحمص كثير عم نتعرض لهجمات شرسة من النظام. وبعدين تحاصروا هو ورفقاته بحمص القديمة، كان **بيناتهم الساروت29**، وكان بيناتهن كثيرين شباب، من شباب الثورة".

أثناءَ حصارِ حمصَ عانى رفيقُ من الجوعِ والحرمان، وشعرَ بالظلمِ والتمييزِ من قِبَلِ بعضِ قادةِ المجموعاتِ المسلحةِ الذين استأثروا بالغِذاءِ على حسابِ حرمانِ بقيةِ الثوارِ منه.

"العاملين حالهم قيادات عندن.

يعني شكلوا مجموعات يعني على النـاس مسؤولـة، عامليـن حالهـم مسـؤوليـن هـنّ أكلن الأكل الكويس، حتى صارت تفوت لعندن اللحم، بفوت لعندهم اللحم بيفوت شي بياكلوهم هنّ المسؤولين، هـدول متل ابني مثل رفقاتـه مثل هدول، لا لا هدول صار المـوت والجـوع عـم حاكيكن جد. يعني صرتي تلمسي الخيانة منن".

اليأسُ دفعَ الشابَّ مع مجموعةٍ من رفاقِه -أغلبُهم طلبةٌ جامعونَ التحقوا بالقتالِ ضدَّ النظام- لمحاولةِ الخروجِ من الحصارِ عبر الأنفاقِ فوقعوا في كمينٍ للنظام، وتعتقدُ أمُّ رفيقَ أنهم تعرضوا لوِشايةٍ من أحدِ رفاقِهم.

"وقت إللي شافوا هيك في مجموعة منن طلعت، بدها تطلع من الحصار، طلعت من الحصار نفدت أول يوم. بعدين حكالي إنه أمي أنا بدي أطلع من الحصار بكرا، كنت خايفة إنه يطلع، قلتله لا تطلع، قام قلي لا بدي أطلع".

"كلهم طلاب جامعات، وكلهم متعلمين ومثقفين، كانوا 12 واحد حاولوا الهروب ولا عملولن كمين، يعني طبعاً مين فاسد عليهم في إخبارية طلعت منن نفسهم من رفقاتن فسدوا عليهم وراحوا، أخذهم النظام بهداك اليوم".

كان عددُ من وقعوا بكمينِ النظامِ /12/ شاباً،

قامَ النظامُ بعدَ إلقاءِ القبضِ عليهم بعرضِهم على قناةِ الدنيا، وهي قناةٌ مواليةٌ للنظامِ السوري على أنهم إرهابيون. وبذلكَ علِمَتِ العائلةُ بنبأِ الاعتقال.

"يعني وقت اللي حاولو رفقاته وهو، رفقاته كانوا 12 واحد إنه بدهم يطلعوا من النفق، كانو عاملين لن كمين قوات النظام. وأخذوهم لأنو هن ورفقاتهم جابوهم على قناة الدنيا وقتها. جابوا على القناة إنه كمشنا مجموعة من الإرهابيين تم القبض عليهم و جابوا معهم اللقاء، جابوا صورة، عملوا لقاء مع سبعة، هن رفقاته لابني، عنا من أولاد الحارة. ابني ما عملوا معه لقاء. بس وقت إجت الأخبار، يعني إللي كانوا جوا بحمص ولساتهم محاصرين، يعني اتصلوا مع الناس برا قالولن إنه يعني الفلان وفلان طلع وكمشون من بيناتهم ابني، اي قال هدول انكمشوا، بس ما إجانا أي خبر".

بعدَ ثلاثةِ أشهرٍ عرفَتْ عائلةُ المعتقل أن مكانَ احتجازِه في المخابراتِ الجويةِ عن طريقِ أحدِ الموقوفينَ في نفسِ المكان.

"لبعد ثلاث شهور، بعد ثلاثة شهور بالمخابرات الجوية في حمص، في كان واحد موقوف. وبعدين حولوه على السجن المركزي. انذكر اسمه بالسجن، فالواحد بيقوله إنت شو بيقربك رفيق زيوان؟ قله أنا هذا ابن عمي. قله وأنا وقت كنت بالمخابرات الجوية. سمعت إنه نادو بإسمه،

نادولو وقت أخذوه على التحقيق، يعني عرفنا إنه ابننا كان بالمخابرات الجوية".

كان وقْعُ خبرِ الاعتقالِ على أمِّ رفيقَ كما رَوَتْ أصعبَ من خبرِ الوفاة، لأن السوريين يعلمون ماذا يعني الوقوعُ في قبضةِ الأمنِ والنظام، ويعلمون أساليبَ التعذيبِ في السجونِ والمعتقلات.

"طبعا وقت إللي إجاني خبر الاعتقال، يعني كان لو إنه خبر موت أو خبر يعني إنه استشهاد بمعركة أو بمواجهة أو هيك كان أهون بمليون مرة من إنه أبني يوقع بين إيدين هدول المجرمين، يعني كلياتنا منعرف مدى العذاب اللي بيعذبوه للمعتقل، كلياتنا منعرف". في رحلةِ البحثِ عنِ ابنِها تعرضَتِ العائلةُ للابتزاز، لكنَّ والدَ المعتقلِ رفضَ وقالَ هذه عملية نصبٍ وكذب.

"من بداية ما أخذو ابني، بيتصل فينا واحد من المخابرات من الأمن السياسي قال أنا بطلع لكم إياه يعني بلقاء مقابل 300.000 ليرة، فأبوه قال لأ، يعني هذول نصابين".

فيما بعدُ لجأَتِ العائلةُ لمحامٍ للبحثِ والاستقصاءِ عنِ ابنهم، الذيَ بلغَهم نبأَ وفاة ابنِهم عام 2017، كما نوهَ إلى ان أغلبَ المعتقلين ماتوا من التعذيب والجوع.

"قَلنا إنه ابنكم متوفي بال 2017. يعني قَلنا إنه عرف من مصادره. وقال يعني إنه غالبية المعتقلين، أغلب المعتقلين ميتين، يعني ناس ماتوا بالآلاف، يعني كثير ناس ماتت، النسبة الأكبر ماتت من التعذيب، من الجوع، من الإهمال ماتو".

بالرغمِ من أنَّ العائلةَ بحثَتْ في مدينتَي دمشقَ وحمصَ وقدَّمَتْ بياناً لمعرفةِ مصيرِ ابنها لكنَّها لم تحصلْ على شهادةِ وفاةٍ أو تستلمَ جثةَ المعتقل.

" أغلب المتوفين بالمعتقلات، ما أصدروا أسمائهم، مشان ما يصير إنه في أعداد كبيرة متوفين عنهم، ويصير في بلبلة، أو يصير في حكي من جهات خارجية يعني".

رغمَ مضيِّ اثني عشَرَ عاماً على اعتقالِ ابنِها مازالتْ أمُّ رفيقَ تعاني منَ الآثارِ النفسيةِ لحادثةِ الاعتقال.

"أنا لحد الآن لحد الآن لساتني بعاني من أمراض نفسية، يعني وقت بدي أنام بخاف من النوم ليش بشوفو كوابيس، بقعد بالنهار بلاقي واقع مرير. يعني بقول يا رب يكون هذا إنه كابوس وينتهي، يعني الشيء بعيد عن الواقع، بالليل كوابيس وبالنهار واقع مرير".

الأمرُ الذي أجبرَها هي وزجَها رغمَ التقدمِ في السن على العملِ لإعالةِ الأسرة. كما تعاني أمُّ رفيقَ من الأثارِ الماديةِ لاعتقالِ ابنِها البِكر،

" طبعاً عم نعاني من آثار مادية كمان. يعني إنه مثلاً أنا كبيرة بالعمر وزوجي كمان كبير بالعمر".

اشتركت أم رفيقَ في حملاتٍ من أجلِ المعتقلينَ مع مركزِ أملَ للمناصرةِ والتعافي.

"اشتركنا بمجموعة الحقيقة والعدالة، الكشف عن مصير المفقودين والمعتقلين مع الأستاذة أمل النعسان".

تعيشُ أمُّ رفيقَ كغيرِها من ذوي المعتقلينَ شعورَ الخذلانِ والخيبةِ منَ المنظماتِ والمجتمعِ الدوليِ لإهمالِ آلافِ المعتقلين، وتعتقدُ أنَّ المجتمعَ الدوليَّ قادرٌ أنْ يضعَ حداً للنظامِ السوري، لكنهُ لا يرغبُ بذلك.

"برجع بكرر المنظمات هاي الدولية كلياتها منظمات سورية، كلياتها حكي فاضي. كلياتهم بيعرفوا، ما دامها هي المنظمات، مين حاططها؟ مين متوكل عنا؟ اللوبي الصهيوني وأمريكا ، وكل شيء عم بيصير هو بأمر منن. يعني وقت بدو يكون في أمر حقيقي جاد بالإفراج عن المعتقلين أو حتى يا أخي حتى لو بإنهاء بشار الأسد،

فالأمور رح تنتهي خلال ساعات. متل ما قضوا على صدام حسين، ومتل ما قضوا على القذافي، وقت إللي هنّ كان بدهم يريدو يقضوا على الشخص بيقضوا عليه. ولكن هن بدهن هذا الشخص وهن بدهن الشعب السوري يتم يتعذب، والمعتقلين ما يطلعوا ".

لكنَّ أمَّ رفيقَ تؤكدُ استمرارَها في المطالبةِ بحقوقِ ابنِها وبقيةِ المعتقليـنَ حتى النهاية.

" ولكن الإنسان ما بييأس منحاول، ورح نبقى نحاول لآخر يوم بعمرنا إن شاء الله إنه يا رب هيك الله يعطينا النتيجة".

إن طريقةَ حلِ وإنهاءِ ملفِّ المعتقليـنَ يكونُ من قِبَلِ جهاتٍ قويةٍ وقادرةٍ على إرغامِ النظامِ على ذلك.

"**ما في غير طريقة وحدة بس مالها ثاني، إنه يكون الطرف إللي عم يطالب بالمعتقلين يكون أقوى من النظام فقط لا غير، يعني هذا النظام ما بيجي إلا بالقوة، يعني بيجيه أمر بالإفراج عن المعتقلين بيفرج عن المعتقلين**"

لكنها بحسبِ وجهةِ نظرِها ترى أنَّ النظامَ مدعومٌ من الولاياتِ المتحدةِ وإسرائيل، وهذا يُعَطِّلُ وضعَ حدٍّ لمعاناةِ آلافِ المعتقلين.

"داعمين له مين أمريكا، إسرائيل، أمريكا هي إللي بتطالب وهي عاملة حالها شرطة عالعالم، هي طايبلا هالشيء هذا، وهي بدها الشيء هذا يصير".

إن السماحَ للنظامِ السوري بالإفلاتِ من العقابِ وإبقاءَ قضيةِ آلافِ حيواتِ السوريينَ المغيبينَ بلا حلٍّ يقوضُ جهودَ العدالةِ الإنسانيةِ في سوريا، وفي كلِّ مكانٍ يشهدُ جرائمَ مماثلةً من أنظمةِ الحكمِ الاستبدادية .

أبو محمد

القصةُ التاليةُ سمعناها من رجلٍ سبعينيّ، أسميناهُ " أبو محمد"، وحقيقةُ رفضِ أبي محمدَ في البدايةِ مشاركةَ قصّتِه، لأنَّه لايزالُ يعيشُ في مناطقِ النظام. ولذلكَ وكَكُلّ أهالي المعتقلاتِ/ينَ القاطنينَ في مناطقِ سيطرةِ النظام، خافَ أبو محمد منَ الكشفِ عنِ اسمه وعنِ اسمِ ابنه المعتقَل.

قبلَ أكثرَ من عشرِ سنواتٍ في بداياتِ عامِ 2012، قصفَ النظامُ السوريُّ منطقةَ أبو محمد، مما أدى إلى مقتلِ اثنينِ من أبنائِهِ الشباب: " قضى اثنينِ من أبنائي في قصفٍ للنظامِ على المنطقة، وتركَ كلاً منهما عائلةً وأطفالاً صغاراً باتوا مسؤوليتي ، وأنا رجلٌ كهلٌ لا أقوى على إعالتهم".

" لا تنتهي المأساةُ هنا" يضيفُ أبو محمد، ويتابع: " الموتُ قدرٌ وحق، ولكنْ ما يكسِرُ ظهري الآنَ هو ابني الأصغرُ الذي اعتُقِلَ في عام 2013، ولا أعرفُ أيَّ خبرٍ عنهُ حتى اللحظة". ويجلسُ أبو محمدَ منذُ تاريخِ اعتقالِ ابنهِ على حجرٍ أمامَ منزلِهِ كلَّ يوم، ويَأملُ عودةَ ابنهِ المعتقلِ في أيِّ لحظة: " لديَّ بصيصُ أملٍ صغيرٍ بأنني سأرى ابني قبلَ أن أموت، أجلسُ كلَّ يومٍ على هذا الحجرِ أمامَ منزلي وأنتظرُه".

حدَّثنا أبو محمدَ عن سببِ الاعتقال:

" اعتُقِل ابني بسببِ شُكوكٍ حولَ احتمالِ انشقاقِه. آنذاكَ قررَ ابني الانشقاقَ عن قطعتِهِ العسكريةِ بعد تجاوُزاتٍ كبيرةٍ لها بحقِّ المدنيين. وقد صرَّحَ عن فِكرَتِه بالانشقاقِ أمامَ مجموعةٍ من أصدقائِه في القطعةِ ورتبَ معهم لمغادرتها ، ولكنَّ المفاجأةَ كانت بعد مغادَرَتِه القطعة، إذ تمَّ اعتقالُهُ بوقتٍ أسرَعَ مما يَتخيلُ البعضُ ضمنِ كمينٍ قد أُحكمَ له، لا نعلمُ مَن أَخبرَ عنهُ وعن مخططه، ولكن تلكَ التفاصيلَ وردتْنَا عن طريقِ أحدِ أصدقائِه المقربين".

" الغريقُ يتعلقُ بقشة" عبارةٌ كرَّرها أبو محمدَ أكثرَ من مرةٍ خلالَ المقابلة، كلَّما حَدَّثَنَا عن بحثِهِ عن أيِّ خبرٍ عنِ ابنه وعن عمليةِ البحثِ قالَ أبو محمد: " بعدَ مُضيِّ / 3 أو 4 / سنوات على اعتقالِ ابني، وصلَني خبرٌ بأن ابني استُشهدَ في المعتقل، لم أصدقِ الخبرَ أنا وزوجتي، وبقيَ لديْنا أملٌ بأنَّ ابني لايزالٌ حياً. بعد سبعِ سنواتٍ من الاعتقالِ نصحني أحدُ الأصدقاءِ بالذهابِ إلى شابٍ من منطقتِنَا وهوُ عنصرٌ في فرعِ الـ /247/ ربما أسأَلُه عن ابني أو ربما يُساعِدُني في معرفةِ إنْ كانَ حياً أو ميْتاً. كما قلتُ لكِ سابقاً الغريقُ يتعلقُ بقشة، ذهبت مع زوجتي لمنزلِ الشاب، طلبْنا منْه خبراً حقيقياً عن آخرِ ما تبقى لي في هذهِ الدنيا من أمل.. وبعدَ حديثٍ طويلٍ وعَدَنَا ذلكَ الشابُ بأنهَ وعن طريقِ اتصالاتِه سيُحضِر لَنا خبراً عن ابني".

" وبعدَ أُسبوعٍ أخبرَنا الشاب، بأن ابني لا يزالُ على قيدِ الحياةِ في أحدِ معتقلاتِ النظام وأكَّدَ لَنَا -وبعدَ تلك السنين- أنَّه بإمكانِنا مساعدةُ ابني بالخروجِ منَ المعتقلِ بعد دفعِ مبلغٍ ماليٍّ يقاربُ سبعينَ مليونَ ليرةٍ سورية" يُتابعُ أبو محمد.

ماذا فَكَّرتَ بَعدَ طلبِ هذا المبلغِ الكبير؟،سألْتُ أبا محمدَ فأجاب: " لم أُفكِّر بأيِّ شيءٍ سوى أنني أريدُ مشاهدةَ ابني أمامَ عينَيّ، لم يَكُن لديَّ المال، فاضْطُرِرْتُ للطلبِ منِ ابنتي المتزوجة أن تبيع قطعةَ أرضٍ كانت قد اشترتها لبناءِ بيتٍ لها، من أجل تأمينِ المبلغِ للشابِ بأسرعِ وقتٍ ممكن".

ولكنَّ ما حدث: " بعدَ فترةٍ تجاوزَتِ الشهرينِ لمْ يَصِلْنا أيُّ خَبرٍ منَ الشاب، وخلالَ تلكَ الفترةِ بدأَتْ تسري إشاعاتٌ عنْ حالاتِ نصبٍ واحتيالٍ قامَ بها ذلكَ الشاب، وعنْ مبالغَ أَخذَهَا من أهالي معتقلينَ وَصَلَتْ قيمَتُها إلى مليارِ ليرةٍ سورية، وأصعبُ تلكَ الإشاعاتِ كانَ إشاعةً عن سفرِه المفاجئِ إلى تركيا".

" لم نصدِّق أنا وزوجتي في البدايةِ تلكَ الإشاعاتَ وأنكرناها، كنا ضِمنيّاً نَرفُضها ولكنها ومعَ الأسفِ كانتْ حقيقة، حيثُ اختَفى الشابُّ فجأةً وعلِمْنا بأنه فِعلاً سافر إلى تركيا" يحكي أبو محمد.

يقولُ أبو محمد بحزنٍ: " لقد دمَّر ذلكَ الشابُّ آمالَ عشراتٍ منَ الأمهاتِ والآباءِ والنساءِ والأطفالِ اللذينَ ينتظرونَ خبراً عن ذويهم"، ويضيف: " ليس هذا وحسب بل دخلْتُ أنا في مشكلةِ محاولةِ استعادةِ ثمنِ الأرضِ بعدَ خسارةِ ابنتي لها، والتي دخلَتْ هيَ الأخرى في مشاكِلَ مع زوجِها بسببِ فقدانِ الأرض".

يختِمُ أبو محمد قصته: " فقدْتُ اثنينِ من أبنائي في القصفِ وفقدْتُ الثّالثَ في المعتقل، وأعيشُ أنا وزوجَتي وحيدَيْن، كلَّ ما نفعلُه هو استحضارٌ ذكرياتٍ عن أبنائِنَا نُواسِي بها أنفُسَنَا في أيامٍ وليالٍ طويلةٍ جداً".

ياسر الصوفي

يروي ياسرُ قصةَ اعتقالِ ابنِ عمِّهِ محمد إبراهيم الصوفي، وهو معتقلٌ من مدينةِ سراقبَ التابعةِ لمحافظةِ إدلب.

محمدُ إبراهيم الصوفي، ابنُ مدينةِ سراقبَ من مواليد 1961، عاملُ حدائقٍ مؤقتٌ في بَلديَّةِ سراقب، إنسانٌ بسيطٌ لم يكنْ له أيُّ نشاطٍ سياسيٍ أو صلةٍ بالاحتجاجاتِ التي اندلعَتْ آنذاكَ ضدَّ النظام، لكنَّ ذلكَ لم يحمِهِ من بطشِ النظامِ الذي قامَ باعتقاله.

" المعتقل محمد إبراهيم الصوفي كان يعمل موظفاً بصفة عامل حدائق مؤقت في بلدية سراقب، متزوج وله خمسَةُ أولاد، ثلاثةُ إناثٍ واثنانِ ذكور، وهو من مواليد 1961/9/10 كان شخصاً بسيطاً لا علاقةَ له بالسياسة أوِ الأحداثِ التي كانتْ تجري حين اعتقاله".

في عام 2016 كانتْ مدينةُ سراقبَ خارجَ سيطرةِ النظام، وعندما ذهبَ محمد ليقبضَ راتبَه من مركزِ إدلب في محافظةِ حماة تم اعتقالُه على حاجزِ المطار، ثم حُوِّلَ فيما بعدُ إلى سجنِ صيدنايا.

"تم اعتقالُه على أحدِ حواجزِ مدينةِ حماةَ التابعةِ للنظامِ **(حاجز المطار)** في 2016/5/16 وذلك حينَ ذهابِه إلى محافظةِ حماةِ بهدفِ استلامِ راتبِه من مركزِ محافظةِ إدلبَ في حماة،

مكانُ الاعتقالِ الأولِ مطارُ حماةَ وحُوِّل بعد ذلك إلى الأفرعِ الأمنيةِ ليُحول بعدَها إلى سجن صيدنايا "القسم الأحمر".

سجن صيدنايا هو سجنٌ عسكريٌّ يتألفُ من قسمين، القسمُ الأحمرُ هو القسمُ الأكثرُ دموية، مخصصٌ للمعتقلينَ السياسيينَ ومَن يَتهمهم النظامُ بالإرهاب، والقسمُ الأبيض مخصصٌ للعسكريينَ الذين يخالفونَ الأوامرَ العسكرية، **ولقد صدرَ تقريرٌ حولَ سجن صيدنايا من منظمةِ العفوِ الدوليةِ كَشَفَ عن قيامِ النظامِ بإعداماتٍ جماعيةٍ فيه، كما أشارتْ وزارةُ الخارجيةِ الأمريكيةِ إلى قيامِ النظامِ بإحداثِ محرَقةٍ لإحراقِ الجثثِ وطمسِ أثرها. ونشرَت صحيفةُ التلغرافِ الأمريكيةُ مقالاً تحتَ عنوان30 "Syrian regime burned 'thousands' of bodies at crematorium to hide scale of slaughter, US diplomat reveals" (دبلوماسيٌّ أمريكي يكشفُ عن قيامِ النظامِ السوري بإحراقِ "آلاف" الجثثِ في محرقةٍ لإخفاءِ حجمِ المذابح).**

مدينة سراقب31 إحدى بلداتِ محافظةِ إدلب التي برزَ اسمُها في الاحتجاجاتِ وعُرِفت بجدرانها التي ذاعَ صيتُها وكانت منبراً لرسائلِ الثورةِ السياسيةِ والفنية.

يروي ياسرُ وهو ابنُ عمِّ المعتقلِ قصةَ اعتقالِ محمدَ ويقولُ أن الجهةَ المسؤولةَ عن اعتقالِ قريبِه هي الأمنُ العسكري.

ويضيفُ أن سببَ الاعتقالِ غيرُ معروفٍ نظراً لأنَّ المعتقلَ محمدُ إبراهيم الصوفي لم يكن له أيُّ نشاطٍ سياسي، لكن حسبَ معلوماتٍ وردَتْ للعائلةِ فإن السببَ يعودُ لوجودِ تقريرٍ بحقهِ من أحدِ عملاءِ الأمنِ لفرعِ الأمنِ العسكري.

«السببُ غيرُ معروفٍ وليسَ له أيُّ نشاطٍ سياسيٍّ وما وردَنَا من معلوماتَ أنه اعتُقل بناءً على تقريرٍ مقدَّمٍ بحقِّه للفرعِ المذكور».

لاحظْنا مسألةً تكرَّرت في شهاداتِ ذوي المعتقلينَ هي عدم معرفتِهم بأسبابِ اعتقالِ أبنائِهم ومكانِ احتجازِهم، لقد مارسَ النظامُ منذُ بداياتِ الاحتجاجِ عمليةَ التغييبِ واخفاءِ المعتقلينَ وابتزازِ أهاليهم وترهيبِهم إذا أرادوا الكشفَ عن مصيرِهم من خلالِ جهازِ الأمنِ الذي تحولَ لماكينةٍ للاعتقالِ والتغييب القسري.

بحثَتِ العائلةُ عنِ المعتقلِ وتمكنَتْ من زيارتِه في سجن صيدنايا عن طريقِ أحدِ السماسرة منَ الذين لديهم صلاتٌ بالنظام مقابلَ دفعِ مبلغٍ منَ المال، وكانت هذهِ المرةَ الوحيدةَ والأخيرةَ ولم تعُد العائلةُ تعلمُ أيَّ شيءٍ عن مصيره.

«نعم، عن طريقِ دفعِ المال لأحدِ السماسرةِ المتعاملينَ مع النظام، وتمتْ زيارتُه في سجنِ صيدنايا بعدَ عدةِ أشهرٍ من اعتقالِه وكانتِ الزيارةَ الأولى والأخيرة، ولم نعلمْ بعدَ ذلك عنه أيَّ شيء».

كغيرِها من عائلاتِ المعتقلينَ والمغيبينَ تعرضَتْ عائلةُ محمدَ للتهديدِ والابتزازِ الماديِّ كما يروي ياسرُ حيثُ اضطروا الى دفعِ مبلغٍ كبير 5000 دولار.

" نعم تعرضْنا للابتزازِ المادي بِنِيَّة محاولةِ الإفراجِ عنه، حيثُ جمعتِ العائلةُ مبلغاً مادياً يعادل خمسةَ آلافِ دولارٍ دَفعَتْه للسماسرةِ ولم تُعُوَّضْ منه يشيء ".

كان لاعتقالِ محمدَ آثارٌ كارثيةٌ على عائلتِه فهو المعيلُ لأسرتِه المكوَّنةِ من خمسِ أطفالٍ ثلاثُ بناتٍ وصبيان.

"آثارُ الاعتقالِ كانت سيئةً للغايةِ وكانتَ أشبهَ بعمليةِ دمارٍ لأسرتِه ولنا، حيثُ أصبحْنَا المسؤولينَ المباشرينَ عن عائلته، وخلَّفَت عواقبَ اقتصاديةً على أقاربِ المعتقلِ الذينَ باتوا مسؤولينَ عن إعالةِ أسرةِ المعتقلِ ورعايةِ أبنائِه، فهو بالإضافةِ إلى كونه موظفاً، كان يعملُ سائقَ تكسي أجرة، واعتقالُه أضافَ أتعاباً ماديةً علينا كونُ أولادِه كانوا قُصَّراً في تلك المرحلة".

اشتركتْ عائلةُ المعتقلِ في حملاتٍ ومبادراتٍ من أجلِ الإفراجِ عن المعتقلين، وكَشْفِ مصيرِ المفقودين لكن ياسرَ يعتقدُ أنهُ لا يمكنُ إيجادُ حلٍّ فعليٍّ لملفِّ المعتقلينَ والمغيبينَ قسراً،

إلا بحملاتِ ضغطٍ دوليةٍ على النظامِ وصدورِ قرارٍ دوليٍّ ملزمٍ لإجبارهِ على إطلاقِ سراحِهم.

"ملف المفقودينَ كغيره من الملفاتِ الكثيرةِ في القضيةِ السورية، لا يُحَلُّ إلا بإجبارِ النظامِ على ذلك من خلال قرارٍ دولي مُلزِم، وجَعْلِ هذا المطلبِ على رأسِ المطالبِ التي تتبناها قِوى المعارضةِ السورية، كما يمكن أن يكونَ دِورُ السوريينَ في الخارجِ مُفيداً من خلالِ تحريكِ الرأيِ العامِ في الدول المؤثرة".

إنَّ قضيةَ المعتقلينَ هي قضيةٌ إنسانيةٌ بالدرجةِ الأولى -يقولُ ياسر- حيثُ تهدرُ حيواتُ آلافِ المعتقلينَ ظلماً، بينما يمارسُ النظامُ عليهم مختلفَ صُنُوفِ التعذيبِ وتُحرَمُ عائلاتُهم من رؤيتِهم أو معرفةِ أحوالِهم ومصيرِهم.

"لأن قضيتَهم إنسانيةٌ بالدرجةِ الأولى، وهم منَ الفئةِ التي وقَعَ عليها الظلمُ بشكلٍ حتمي فجميعُ التهمِ الموجهةُ إليهم باطلةٌ، وهم يُضيعونَ سنيَّ عمرِهم بعيداً عن عائلاتِهم ويقبعونَ في سجونِ النظامِ الذي يمارسُ بحقِّهم كلَّ أشكالِ التنكيلِ والتعذيب ".

في الوقتِ الذي يخشى ذوي المفقودينَ من تَرَاجعِ الاهتمامِ الدولي، فإن ملفَّ المعتقلينَ في سوريا هو امتحانٌ لمدى صدقِ وفاعِليةِ المنظماتِ الحقوقية.

"أود القولَ أنّ قضيةَ المعتقلينَ في سوريا هي امتحانٌ حقيقيٌ لمصداقيةِ كافةِ المنظماتِ الإنسانيةِ والمجتمعاتِ المدنيةِ ومناضلي حقوقِ الإنسان".

يُخبرُنا ياسرُ أنَّ عائلاتِ المعتقلينَ تحتاجُ كلَّ أشكالِ الدعمِ الماديِّ والمعنوي.

قائلاً: "يحتاجونَ كلَّ أنواع الدعم المادي منها والمعنوي ".

لذا من المهمِّ تقديمُ المساعداتِ لذوي المعتقلين، مساعداتٌ قد تشملُ المساعداتِ الغذائيةَ والرعايةَ الصحيةَ والتعليمَ والدعمَّ النفسيَّ والعلاجَ والإرشادَ للضحايا، ونشرَ الوعيِ حولَ قضيةِ المعتقلينَ وآثارِها على أهاليهِم ونشرَ المعلوماتِ التي تَصِفُ حجمَ المأساةِ الإنسانيةِ وطريقةَ التضامنِ معَهم.

صورة تعبيرية عن التعذيب في المعتقلات

رسمية (أم عبدو)

والدةٌ لمعتقلَيْنِ شابينِ من محافظةِ إدلب

أمُّ عبدو ناجيةٌ من زلزالِ انطاكيا الذي ضربَ تركيا في 6 شباط، لكنَّ ابنيْها الشابَّين فُقِدا وتم تغييبُهما في زلزالِ سوريا الكبير، ونقصدُ بزلزال سوريا الكبير، ما حدث في سوريا بعد عام 2011.

منذُ أكثرَ من عشْرِ سنواتٍ بعدَ اندلاعِ الاحتجاجاتِ في سوريا لجأَ النظامُ السوري للبطشِ والعنفِ والاعتقالاتِ العشوائية، والتي طالَت أبناءَ محافظةِ إدلبَ التي تمردَت ضد النظام. لقد كان مجردُ الانتماءِ لمحافظةِ إدلبَ تهمةً على حواجزِ النظام التي زرعها في المدنِ والطرقاتِ الواصلةِ بينَ المدنِ السورية، وأطلقَ يدَ عناصرِ الأمنِ و"الشبيحة" لاعتقالِ الناسِ حتى أولئك الذين لم يكونوا مشاركينَ فعلياً بالاحتجاجات .

وجدْنا صعوبةً في سماعِ صوتِ أمِّ عبدو عندما تحدثْنا معها: "ما عندي نت، ورحت عم عبي وحدات والله ما عنا لا كهربا ولا نت وباركين بالخيم".

تخبرُنا أم عبدو بحرقةٍ وألمٍ من داخلِ خيمتِها في انطاكيا بعد الزلزال، أنها ربَّت ابنيْها محمدَ بعمرِ /26/ عاماً

وأحمدَ بعمر /25/ عاماً منذُ الطفولةِ على السلوكِ الحسنِ والابتعادِ عن أيِّ مشاكل: " الاثنين، ما بخلين يعلقوا مع حدا ولا إذا في قتالة بوقفن على الشباك يتفرجوا ما بخلين يطلعوا".

لكنَّ خوفَها وحرصَها لم ينجِهما من بطشِ آلةِ الاعتقالِ الجهنميةِ التي غيبَتْ آلافَ السوريين: "شباب يا خيت شباب راحوا، هلق بقول يا ربي وين راحو، ربيتن ما خليتن علقوا مع حدا ولا حدا يقلي ولادك شالولي ولا أدني شي لصارو كبار واختفوا ".

المؤلمُ في قصةِ أمٍّ عبدو أن خمسةَ أشهرٍ فقط تفصلُ بين اختفاءِ الأول واعتقال الثاني، حيثُ اختفى أحمدُ -عمره 25 عاماً- في عام 2012 وذلك بعدَ سفرِه إلى لبنانَ ليحضرَ نقودَه من الفرنِ الذي كان يعملُ فيهِ من أجلِ إتمامِ مراسمِ زواجه .

"واللّٰه يا خيت واحد خطبتله من إدلب، راح على لبنان يجيب مصرياتو من الفرن عم يشتغلوا بالفرن. قاموا أخدولي إياه، وين راح؟ ما بعرف راح ما رجع".

وفي تفاصيلِ اختفاءِ ابنِها أحمدَ لا تعلمُ أم عبدو على وجهِ الدقةِ كيفَ حدثَ ذلك: " بيقولولي طلع بالباص وراح على الشام. واللّٰه ما بعرف عنه شيء ما معه هوية".

أما ابنُها الثاني فقدِ اعتُقل عندما ذهبَ ليشتري خُبزاً، فبعدَ خمسَةِ أشهرٍ اعتُقل محمدُ في عام 2013 من أمامِ الفرنِ الآلي في دمشق. محمدُ بعمرِ 26 سنةً متزوجٌ ولديهِ طفلٌ بعمر 6سنوات: "واللّه بدون شي هيك بكون عم يجيب خبز ربط البسكليت بالخشبة وفات يجيب خبز من الفرن. طلبته مرته ما لقيته، دقت لمرت محمد ما رجع؟ وين راح، قالتلا راح يجيب الخبزات ما رجع قدام الفرن الآلي بالشام ".

تُخمنُ أم عبدو سببَ الاعتقالِ أنَ لحيَتَه طويلةٌ فضلاً أنهُ من محافظةِ إدلب: "أخدولي إياه، عم يجيب خبز ليش؟ لإنه لحيته طويلة عينيه زرق ووجهه أشقر كله ما ييين، أخذوه ليه هيك لانو ذقنه طويلة، وبجوز لأنه هويتو من إدلب".

لقد شكَّلَتِ الأفرانُ في سرديةِ السوريين سِمَةً تراجيدية، لقد قُتِل العشراتُ من السوريينَ أمامَ الافرانِ نتيجةَ استهدافِها بالقصفِ من قِبلِ النظامِ السوري، حيثُ كانوا يتزاحمونَ لتأمينِ الخبزِ لعائلاتِهم في تلك الأيامِ العصيبة، بعد أن توقفَ العديدُ منَ الأفرانِ عنِ العملِ وبات تأمينُ ربطةِ خُبزً مَهمةً صعبةً وشاقة، كما تعرَّضَ الكثيرون منهم للاعتقالِ و جرى تغييبُهم .

تقولُ الشبكةُ السوريةُ لحقوقِ الإنسان: " إنَّ عملياتِ الاعتقالِ التي يقومُ فيها النظامُ السوريُّ هي أقربُ لعملياتِ الاختطاف، حيث تقومُ أجهزةُ الأمنِ التابعةُ لفروعِ المخابراتِ

والمليشياتُ التابعةُ لها باعتقالِ الناسِ ومن ثَمَّ يُنكرُ النظامُ قيامَهُ بعملياتِ الاعتقالِ هذه فيتحولُ المعتقلون إلى مغيبينَ قسراً".

ظلتْ عائلةُ المعتقلَيْنِ محمدَ وأحمدَ في إدلبَ بانتظارِ عودتِهما لأكثرَ من أربعِ سنوات، لكنَّ القصفَ العنيفَ والمستمرَ الذي طالَ محافظة إدلبَ اضطرَّ العائلةَ للهربِ و اللجوءِ إلى تركيا:" واللّٰه تميت بالضيعة تحت الضرب وتحت الكل، تميت أربع سنين وأنا استنى هالشهر بيجي وهالشهر بيجي بيقولولنا، إجى أول الشهر نسأل هونيك نسأل."

بحثَتْ عائلةُ الشابيَّنِ عنهما مطوَّلاً واليومَ يكونُ قد مضى أكثرُ من عشْرَةِ أعوامٍ ولايزالُ مصيرُهمَا غير واضح: "في عندنا واحد بالشام كمان نبعته يسأل قال يا أخي ما له أثر".

كما بحثَتْ زوجةُ محمدَ عنه دونَ جدوى، محاولةً البحثَ والتقصيَ عن مكانِه ومصيرِه بمساعدةِ أخيها في دمشقَ لكنها لم تصلْ لأيةِ معلومةٍ حولَ مكانِ اعتقالِه ومصيرِه: " واللّٰه مرتو بالشام بتدور عليه ، قالتلي مرت عمي واللّٰه ما خليت محل إلا ودورت عليه ، هي شامية ،قالتلي أنا وأمي وأخي ندور عليه".

تعيشُ أم عبدو بحسرةٍ وألمٍ الخسارةَ والفقدانَ حيث بقيَتْ محرومةً منَ الأبناءِ تحدثُنا أن ما يميزُ كلاً من ابنيها: " محمد لون عينيه أزرق، أما أحمد فلون عينيه أسود"،

ربما في محاولةٍ يائسةٍ لتقاوِمَ النسيانَ وكي تظل ملامحُهما حيةً في ذاكرتِها. أّما عن الحزنِ والألمِ النفسي فقد ترافقَ بأمراضٍ جسدية: « مرض السكر والكلى والله اثنين، والله صرت عملت أربع عمليات، مرة دقوا لي قالولي تعي بدنا نعمل مقابلة قلتلن ما بقدر ، عملولي عملية والله ، ما حسنت عملولي فرط بحصة ، وردو عملولي بالكلية ، كمان بحص وعملية كمان صار معي كيس مي».

الآثارُ النفسيةُ والمعاناةُ لدى أم عبدو لم تتوقَفْ عندَ فقدانِ محمدَ وأحمدَ بل تفاقَمت معاناتُها، حيثُ أن حفيدَها يعيشُ بعيداً عنها- بعد أن سافرت زوجة ابنها -و يتعرضُ لإساءةِ معاملةٍ من زوجِ والدته: «بيعذبه كان جوز أمه».

لأن زوجةَ ابنِها محمدَ وبعدَ أن تقطعَتْ بها السبُل نتيجةَ وفاةِ والدتِها وأخيها بقيَتْ بمفردِها و اضطرَّتْ للزواجِ وهي شابةٌ صغيرٌة في العشرينِ من عمرها: « أخوها مات. يعني تمت الحرمة مقطوعة بالشارع بتم لحالها .....بعدين اتجوزت وراحت».

أخبرَتْنا أن مركزَ أملَ للمناصرةِ والتعافي الذي يَهتمُّ ويُعنَى بالمعتقلين وذويهم وتوثيقِ حالاتِ الاعتقالِ تواصلَ معها، لذا سجلتْ أم عبدو معلوماتِ ابنَيْها علَّها تسمعُ خبراً عنهما : «أي لكا، وصورتلو صورة وعطيته إياها أحمد و محمد»

حكتْ أم عبدو عن إهمالِ ذوي المعتقلينَ من قِبلِ بعضِ الجهاتِ التي قصدَتْها طلباً للمساعدة، وكيفَ اتُّهمتْ بالكذبِ من أجلِ الحصولِ على مساعدات: "ما حدا عم يصدق أنو هيك ،بتجي بتقليلن بقولوليك كذب ما صح ما في شي، يعني بقلن ولادي مفقودين ما بعرف عنن شي يمكن ميتين بعيد الشر، وهاد الصبي ما بدو مصروف يعني".

لذلك تطالبُ أم عبدو بتقديمِ الدعمِ لأبناءِ المعتقلين، كما أخبرَتْنا عن حاجَتِها للحصولِ على مساعدةٍ لتتمكنَ من إرسالِ مبالغَ ماليةٍ لحفيدِها.

لا تعلمُ أم عبدو سببَ الاعتقالِ وتتهمُ ام عبدو جيشَ النظامِ باعتقالِ ابنْها محمد: "والله ما ذنب ولا شيء ولا شيء يعني و جيش بشار أخذوه الله لا يوفقن".

إن أزمةَ أهالي المعتقلينَ /اتِ الذين يبحثونَ عن مصيرِ أحبائِهم وأماكنِ احتجازِهم، هي الغموضُ والإنكارُ من قِبلِ النظامِ وعدمُ إفصاحِه عن أماكنِ المعتقلات/ين.

أملُ السلامات

أمل، زوجةُ الصحفيِّ المعتقلِ جهادَ أسعد محمد

جهادُ أسعد محمد ;المثقَّفُ العضوي الذي ارتبطَ بالناسِ واختار أن يكونَ معهم، حالماً بسوريا جديدةٍ ديمقراطيةٍ عادلةٍ لجميعِ أبنائِها، والذي انخرطَ بشكلٍ مكثَّفٍ في الاحتجاجاتِ السلّميةِ والمظاهراتِ فكان الثمنُ الذي دفَعَه من أجلِ الحرية كبيراً.

في 10 آب 2013 اعتقَلَتْ قواتُ الأمنِ السوريةُ جهادَ قربَ شارعَ الثورةِ وسطَ دمشقَ، وأصدرَت منظمةِ العفوِ الدوليةِ في شهرِ تشرينَ الأول من عام 2013 **وثيقة32** تنبه الى خطَر اختِفائِه وتطالبُ بالإفصاح عن مصيره.

تروي أملُ السلاماتُ زوجةُ المعتقلِ تفاصيلَ القصة: "جهادُ أسعد محمد من مواليد 1968 من قرية عكوبر التابعةِ لبلدةِ صيدنايا، عملَ كرئيسِ تحريرٍ في جريدةِ قاسيونَ التابعةِ **لحزبِ33** الإرادةِ الشعبية (الحزب الشيوعي السوري – جناح قدري جميل).

"أنا اليوم بدي أحكي عن زوجي المعتقل، وهو والصحفي جهاد أسعد محمد. جهاد هو من منطقة القلمون، من قرية اسمها عكوبر تابعة لصيدنايا، كان المعتقل جهاد بيعمل كصحفي،

رئيس تحرير جريدة قاسيون التابعة لحزب الإرادة الشعبية، كان عمره تقريباً /45/ سنةً لما تم اعتقاله".

تخبرُنَا أملُ أنها بالرغمِ من كونِها المُشرفَةُ على مشروعِ توثيقِ شهاداتِ ذوي المعتقلينَ، لكنها تريدُ انْ تنتقلَ إلى ضفةِ أهالي المعتقلينَ لتقدمَ شهادَتَها كزوجةِ معتقل، وتحكي عنِ العذاباتِ المريرةِ التي عاشتْها و رحلةِ بحثِها الشاقةِّ عن زوجِها لمعرفةِ مصيره، و لتؤكِّدَ على أهميةِ تذكيرِ العالمِ بقصصِ الاعتقالِ التعسُّفيِّ في سوريا حتى يظلَّ صوتُ المغيبينَ حاضراً وقضيتُهم حيةً.

"هالمرّة ما بدي كون أنا إللي عم آخد من أهالي المفقودين والمعتقلين المعاناة أو الأسئلة، لأ هالمرة أنا إللي بدي أحكي عن المعاناة أو عن الصعوبات إللي واجهتها، خلال رحلة بحثي على جهاد، هالرحلة الطويلة يلي كانت محفوفة بأشياء كثيرة وكانت محفوفة بآلام وأوجاع، لإنه أنا أشعر كأهالي مفقودين إنه نحنا دائماً بحاجة لحتى نحكي عن آلامنا وأوجاعنا ولحتى نرفع صوتنا، ولحتى نذكر العالم إنه هاي القضية ما انتهت، وإنه هي حاضرة، وما رح تموت، ونحنا كأهالي مفقودين ومعتقلين ما زال لدينا ذلك الأمل".

ناصرَ الصحفيُّ جهادُ محمد دعواتِ المحتجينَ للتغييرِ في سوريا، وانخرط بشكلٍ مكثفٍ في الحراكِ فشاركَ بالمظاهراتِ السلمية،

كما كتبَ مقالاتٍ34 بهدفِ كشفِ الحقيقةِ عما يجري في سوريا على أنَّه حراكٌ شعبيٌّ وانتقدَ قمعَ النظامِ للمتظاهرينَ السلميين.

"بعد اندلاع الأحداث بعام 2011، جهاد التحق مباشرةً بصفوف المتظاهرين السلميين. جهاد اعتبر إنه هاي ثورة وحراك شعبي وإله مطالب محقة، فبالتالي جهاد بلش يطلع بالمظاهرات السلمية وبشكل علني وبشكل صريح، وجهاد كونه صحفي فاعتبر إنه مهمته بعد الأحداث إظهار الحقيقة، هذا الأمر بحد ذاته أزعج النظام".

أعلنَ جهادُ وقوفَهُ صراحةً مع المتظاهرينَ السلميينَ لذا تعرَّضَ لملاحقاتٍ ومضايقاتٍ من قبلِ أجهزةِ الأمنِ السوريةِّ خاصةً أنه صحفيٌّ ورئيسُ تحريرٍ وينتمي لحزبٍ شيوعي.

"هو أعلن بشكل صريح وواضح، وقوفه مع المتظاهرين السلميين. على أثر هذا الموقف، طبعا انطلب جهاد لعدد من الأفرع الأمنية، منها فرع المخابرات الجوية وطبعاً كان بسبب أنو جهاد كان في منصب أو مستلم منصب حساس، وإنه كان في حزب شيوعي".

روَّجَ النظامُ السوريُّ لنظريةِ المؤامرةِ واتهمَ المتظاهراتِ/ينَ بأنهم إسلاميون متطرفون وإرهابيون، لذا كانَ موقفُ الصحفيِّ اليساريِّ جهادَ محمد هو فضحُ أكاذيبِ النظامِ السوريِّ وتَقْويضِ سرديَّتِه عن طبيعةِ الاحتجاجاتِ وكشفُ ألاعيبِ النظام

الذي شيطنَ الحراكَ السلميَّ في البداياتِ ليبررَ قمعَهُ الشديد.

"**زعج النظام وقوف جهاد الشيوعي واليساري مع المحتجين السلميين، لأنه النظام صار يطلق إشاعات عليهم إنهم اسلاميين طائفيين ومتطرفين، فحاول جهاد إنه يحكي لأ، إنه هذا حراك شعبي سوري وبضم جميع أطياف وفئات الشعب السوري، جميع توجهات الشعب السوري، جميع الأيديولوجيات المعارضة لنظام الحكم في سوريا**".

في عام 2012 تخلى جهادُ عن عملِهِ كرئيسِ تحريرٍ في جريدةِ قاسيون، كما انفصلَ عن حزبِ الإرادةِ الشعبيةِ (الحزب الشيوعي السوري)، بسببِ موقفِ الحزبِ المهادنِ للنظام، لذا اتُّخِذَ القرارُ باعتقالِهِ من قبلِ النظامِ وجرى تعميمُ اسمِهِ على الحواجزِ التابعةِ للنظام.

"بعد تقريباً حوالي سنة من الثورة تقريبا بعام 2012، ترك جهاد حزب الإرادة الشعبية، وترك رئاسة تحرير جريدة قاسيون، بسبب الموقف إللي ما كان مع الشارع، موقف حزبه ما كان مع الشارع، فبالتالي جهاد ترك الحزب ووقف مع صفوف المتظاهرين، وأعلن بشكل واضح إن هو مع المتظاهرين. بعام 2012 بسبب رفض جهاد الحوار مع النظام ورفضه لسياسة الرصاص وسياسة اعتقال الناس، تم نشر اسم جهاد على الحواجز".

"لقد أصبحَ هدفاً للاعتقالِ عرفنا ذلك من أصدقاء جهاد ومن الفيس بوك" تخبرُنا زوجةُ المعتقل

"عرفنا هذا الأمر عن طريق الفيسبوك، وعن طريق أصدقاء جهاد، إنه أصبح جهاد غير قادر على عبور حواجز دمشق إللي انتشرت جداً، فهون خلص جهاد يعني أصبح هدف للاعتقال بأي لحظة وأصبح ملاحق من أجهزة ومخابرات النظام الأمنية".

لقد باتتْ مسألةُ اعتقالِه قضيةَ وقتٍ، لكنَّ جهادَ لم يتوقَّفْ عن دعمِ الثورةِ وتابعَ في مجالِ الإغاثةِ ونقْلِ موادٍ طبيةٍ ومعداتٍ صحيةٍ لدعمِ منطقةِ الغوطةِ المحاصرةِ التي تتعرضُ لقصفِ النظام، وهذا ما حدثَ فعلاً يوم العاشرِ من آب حيثُ وقع في كمينٍ كان النظامُ قد نصبهُ له بناءً على إخباريةٍ أو وشايةٍ من أحدِ الشبابِ الذين اعتقلَتْهم أجهزةُ الأمنِ فأبلغَهم عنِ موعِدِ اللقاءِ مع جهاد.

"كان سبب اعتقال جهاد كما ذكرت سابقا لإنه جهاد هو لم يكن حقيقة عم يخفي رأيه السياسي، فهو معتقل رأي، بل جاهر بهذا الرأي. أذكر إنه جهاد، كان في عنده موعد بشارع الثورة، بعد هذا الموعد اختفى جهاد تماماً، أنا المعلومات إللي وصلتني عن اعتقال جهاد إنه هو كان في كمين بشارع الثورة بحيث تم اعتقاله بهذا التاريخ. الكمين هو بسبب اعتقال أحد الأشخاص إللي كان عم يشتغل معهم جهاد.

لشغل إللي كان هو بيشتغله جهاد، هو عمل إغاثي، إنه كان العمل الإغاثي إللي كانوا يشتغلوا هو إدخال أدوية، إدخال أدوات صحية، طبية، للمناطق إللي كانت تُستهدف بالقصف وخاصةً الغوطة الشرقية، فتم اعتقال أحد الشباب إللي كانوا عم يشتغلوا مع جهاد، وهاد الشب بالتالي عمل إفسادية أو إخبارية على جهاد، يلي كان وقتها بدمشق وتم اعتقاله من شارع الثورة بهذا التاريخ إللي ذكرته عن طريق كمين".

وصلَتْ معلوماتٌ لزوجةِ المعتقلِ وذويهِ عن مكانِ احتجازِهِ في فرعِ الأمنِ العسكري 215، كما أنَّ التهَم الملفقةَ لجهادَ كشخصٍ يساريٍّ معروفٍ من قبلِ النظامِ كانت بأنه إسلاميٌّ، فقط لوقوفه مع الحراك الشعبي.

"**وصلتني أخبار عن طريق أشخاص، الحقيقية بتحفظ على ذكر هدول الأشخاص، إنه جهاد اعتقل بفرع الأمن العسكري بدمشق بال 215. وسبب اعتقال جهاد هو عشرات التهم إللي اتهم فيها جهاد. من التهم الغريبة لجهاد أنه طائفي وإرهابي وبمول الإسلاميين، وهاي تهمة غريبة ومضحكة حقيقة، لأنه جهاد من هو وعمره** 13 **سنة كان توجهو شيوعي وماركسي وما غيَّر هذا الاتجاه أبداً**".

لقد كانَتْ عواقبُ الاعتقالِ النفسيةُ على زوجةِ المعتقلِ وذويهِ مؤلمةً ومديدةً مستمرة إلى الآن.

كانَ لنبأِ الاعتقالِ وما تلاهُ من خبرِ احتمالِ قتلِهِ في المعتقلِ وقْعُ الصدمةِ النفسيةِ الصّاعقِ على زوجتِه، التي انهارتْ واحتاجَتْ لتلقي مساعدةِ طبيبٍ نفسيٍّ بمعونةِ الأصدقاء، أمَّا والدتُه فقد عاشَتْ معاناةً قاسية، حيث اضطرَّتْ لدخولِ المشفى بشكلٍ متكررٍ، بسببِ انهياراتٍ نفسيةٍ وعصبيةٍ فضلاً عن معاناةِ بقيةِ أفرادِ العائلةِ من اضطراباتٍ نفسيةٍ.

"الحقيقة الآثار النفسية كبيرة، أنا أذكر إنه لما طلع الشب إللي سلم جهاد من المعتقل وخبرني إنه جهاد ممكن يكون مات تحت التعذيب، أنا بذكر بهذا اليوم أصدقاء جهاد كانوا حولي، جابولي طبيب نفسي وضليتني أنا غير قادرة على النوم لمدة ثلاثة أيام، ثلاثة أيام متواصلة أنا لم أستطع النوم، بالإضافة إلى إنه أنا أصابني تشنج بكتفي الأيسر إللي لحد الآن متشنج وما له أي علاج غير المسكنات و الكريمات المهدئة. أما والدة جهاد لحد اليوم بحالة إرهاق نفسي شديد، ودخلت المشفى أكثر من مرة بحالة انهيارات نفسية وعصبية بسبب الاعتقال. أخواته الشباب والبنات، إللي هن أيضاً عانوا من حالات نفسية ومن اضطرابات، من اضطرابات بالنوم، اضطرابات بكل شي".

في الواقعِ كان لتداعياتِ الاعتقالِ أيضاً آثارٌ اقتصاديةٌ على زوجةِ المعتقل، فضلاً عنِ الآثارِ الاجتماعيةِ والقانونيةِ، والتي تكشفُ عن جانبٍ مُهمٍ من آثارِ الاعتقالِ على ذوي المعتقلينَ والمغيبينَ قسراً،

تخبرُنَا أملُ أنها لا تعلمُ يقينَاً عن مصيرِ زوجِها هل هو حيٌّ أم متوفى، وبالتالي وضعُها الاجتماعيُّ ملتبسٌ، فهي لا تعرفُ إن كانَتْ أرملةً أم عازبة.

" من الآثار إللي أنا بعاني منها حاليا، أنه أنا لما دخلت على تركيا. وبدي أسجل الوضع الاجتماعي، أنا ما عرفت شو وضعي الاجتماعي، لأنه أنا ما بعرف زوجي عايش ولا ميت ولا هو وين مكانه، فأنا لست مطلقة، لست عازبة، لست أرملة، لست متزوجة، وهذا كثير وضع مربك مثلاً، هي من الآثار إللي ممكن أحكي عليها من الآثار الاجتماعية إللي أنا أصابتني بسبب الفقد ".

يلجأُ النظامُ السوريُّ إلى تضليل ذوي المعتقلينَ وطمسِ حقيقةِ مصيرِهم، لذا يعيشُ الأهالي في دوامةٍ وحلقةٍ مُفرَغَةٍ، تروي أملُ أن أخا المعتقلِ بعدَ مراجعتِهِ لأحدِ مقراتِ الشرطةِ العسكريةِ لمعرفةِ مصيرِ أخيهِ المعتقل، أعطوهُ ورقةً تعلمُهُ بوفاتِه، لكنَّ شاباً خرجَ منَ الاعتقالِ نفى هذا الخبر، حيثُ تَصادَفَ وجودُهُ في مكان احتجازِ جهادَ في تلكَ الفترةِ الزمنية.

"ذهب ابن حماي على مقر الشرطة العسكرية، وأعطوه ورقة مكتوبة بخط اليد إنه جهاد ميت. طبعا هي بخط اليد كانت، والورقة كانت بتقول إن هو مات بعد سبع أيام من دخول المعتقل، ولكن لما طلع الشاب إللي كان مع جهاد وإللي سلمه،

قال إنه كان بعد أربعة شهور، وقال إنه جهاد ما زال على قيد الحياة، بالتالي هذا بيدل على إنه النظام عم يخربط أهالي المفقودين".

تروي أملُ أنها بدأَتْ بحثَها وتقصِّيَها عنهُ من أولِ يومٍ لخبرِ اعتقالِه، فناشدَتْ جميعَ القريبينَ منه، كقيادةِ حزبِهِ الذي كان حينئذٍ مُمَثَّلاً في حكومةِ النظام، جهاتٍ إعلاميةٍ ومحامينَ وكلَّ من اعتُقِدَ أن له وصولاً أو مقدرةً على مساعَدتِها في السعي لإطلاقِ سراحه لكن دون جدوى. وكشفَتْ عن تَعرُّضِها للتهديدِ في حالِ استمرتْ بالسؤالِ عن المعتقل، الأمرُ الذي منعَها من إقامةِ حملاتِ مناصرةٍ لدى جهاتٍ إعلاميةٍ وقنواتٍ تلفزيونيةٍ خوفاً من تعرضِ جهادَ لمزيدٍ من التعذيب.

"رحلة بحث شاقة جداً، تواصلت أنا مع حزب جهاد، وقتها كان مسؤول الحزب قدري جميل إللي استلم أحد المناصب بالحكومة الجديدة، إللي شكلها النظام على أساس إنه هي حكومة إصلاح، بس ما لاقيت أي استجابة من حزبه. تواصلت مع أشخاص نافذين وأنا راح أذكر حادثة إنه أحد الأشخاص النافذين هددني أنا نفسي بالاعتقال إذا ما توقفت عن البحث عن جهاد، فهي كانت الحادثة إللي أنا ماني كثير حابه أحكي عنها، بس إنه أنا شخصيا طلب مني هدول أحد الأشخاص النافذين إنه أتوقف عن البحث عن المدعو جهاد أسعد محمد أو كما سماه الصحفي جهاد أسعد محمد، أنه هذا الصحفي عليه إشارة حمراء وكثير صعب إنه يطلع من المعتقلات. تواصلت مع جهات إعلامية، بالبدايات أنا كنت عم بتواصل

مع جهات إعلامية وقنوات تلفزيونية مو محلية، كنت حابه اعمل حملات مناصرة، ولكن لاحقا تراجعت، خفت إنه هالحملات ما تكون بمصلحة جهاد، فممكن تزيد عليه التعذيب وتزيد تعنت النظام".

نوهَتْ أملُ سلامات أنها لم تكنْ بمفردِها في البحثِ عن جهاد محمد، بل شاركَها رفاقُه وأصدقاؤه فقد كان شخصيةً معروفةً.

"ما كنت أنا لحالي عم أبحث، كان جهاد وأصدقاؤه والكثير من معارف جهاد، جهاد شخصية معروفة ومشهورة، هو مو صحفي بس، فمثلا جهاد كتب مسلسلات مثل مسلسل 35 طريق النحل، ظهر على قناة روسيا اليوم 36 أكثر من مرة وقت الأحداث بسوريا".

كشفَتْ أملُ سلامات عن وقوعِها ضحيَّةً للابتزازِ الماديِّ وعملياتِ النصبِ من قبلِ شبكاتِ وسطاءَ وسماسرةٍ شكَّلَها النظامُ وأجهزتُه الأمنيةُ بهدفِ الاستيلاءِ على مدخراتِ وأموالِ ذوي المعتقلين، لقد اضطُرَّتْ لدفعِ مبلغِ /1.500/ دولارٍ مقابلَ وعودٍ وهميةٍ بإطلاقِ سراحِ زوجها.

"رح أحكي بحادثة، أنا دفعت لأحد الأشخاص المعروفين، هو فنان معروف ومشهور بسوريا، وعلى أساس هو معارض كان بيدعي، وأنا دفعتله 1.500 دولار على أساس إن هو راح يطالع جهاد، ولكن أنا أيضا كنت فريسة الاحتيال.

أنا تسرعت كنت بحالة صعبة، كان فيني أعمل أي شي بس ليطلع جهاد. طبعا وقعت فريسة الاحتيال وكذب علي هاد الفنان المشهور وأخذ مني 1.500 دولار على وعود وهمية".

كما تُبينُ زوجةُ المعتقلِ المبالغَ الكبيرةَ جداً التي طُلبتْ منها، فيما بعدُ لقاءَ وعدٍ بإطلاقِ سراحِه، لكنها علِمَتْ من تجربةِ ذوي المعتقلينَ أن هذهِ الوعودَ بمثابةِ فخٍ لابتزازِها فلم تعدْ تصدقُ ذلك.

"في أشخاص طلبوا مني مبالغ وصلت للخمسين مليون ليرة سورية، على أساس بيقدروا يطالعوا جهاد، طبعا أنا لم أصدق هذا الشيء، وهون يعني لإنه أنا كنت مرهقة من رحلة البحث وسمعت كتير عن أهالي المعتقلين أو المفقودين، وقعوا بهذا الفخ إللي هو الفخ المادي، بس المبالغ إللي طلبت لإطلاق صراح جهاد، هي كانت مبالغ مرعبة، يعني بعام 2014 وبعام 2015 طلبت مني مبالغ خيالية".

لم تتوقَفْ أملُ بعدَ خروجِها من سوريا ولجوئِها إلى تركيا عنِ البحثِ عن زوجِها، لكنَّ بحثها أخذَ منحىً آخرَ تواصلَتْ فيهِ معَ المنظماتِ الحقوقيةِ وعملَتْ على توثيقِ اعتقالِ زوجِها.

"غادرت سوريا، بلشت عملية بحث جديدة عن جهاد، أخذت عملية البحث طور أو مستوى أعلى، إللي هو التواصل مع المنظمات الحقوقية، التواصل مع المنظمات المسؤولة عن المعتقلين. قمت بتوثيق جهاد،

قمت بتوثيق اسم جهاد بهذه المنظمات. إللي بدي قوله إنه أنا هون ماعدت خايفة بتركيا، وصار عندي كل القناعة إنه لازم يتم توثيق كل أسماء المفقودين والمعتقلين بسوريا".

وبعد مضيِّ عشْرِ سنواتٍ على تغييبِ جهادَ محمد تحكي أملُ عن شعورِ الخيبةِ بالمنظماتِ الحقوقيةِ الأمميةِ والدولية، التي عجزَتْ حتى الآنَ عن إطلاقِ سراحِ المعتقلينَ والكشفِ عن مصيرهم.

"بدي قول إنه أنا تواصلت مع منظمات أممية، وهاي المنظمات الأممية، الحقيقة خاطبت النظام السوري للسؤال عن مكان جهاد، ولكن حتى هي نفسها لم تصل إلى نتيجة، بعتتلي رسائل قالتلي حرفياً هي المنظمات إنه نحن نعتذر، لم نتمكن أو لم نقدر على الحصول على أي إجابة من النظام السوري، فتخيلوا، فتخيلوا إنه هذه المنظمات الأممية والدولية تخاطب النظام السوري ولم تحصل على نتيجة إطلاقاً".

تؤكدُ أملُ سلاماتُ أن قضيةَ جهادَ ليسَت وحدَها ما يشغَلُها بل قضيةُ كلِّ المعتقلينَ والمغيبيَن في سوريا صارَتْ قضيتَها لأنها قضيةُ سوريةَ الرئيسيةُ، ومن أجلِ آلافِ المعتقلينَ وأسرِهم الذين يعيشونَ على قيدِ الانتظارِ في ظلِّ ظروفٍ صعبةٍ تهددُ مستقبلَ العائلةِ وأطفالَ المعتقلين.

"ما عاد قضيتي هي فقط جهاد، أنا قضيتي أصبحت كل المعتقلين والمعتقلات والمفقودين والمفقودات بسوريا،

هاي القضية هي أصبحت قضيتي الشخصية وأنا أزعم إنه أنا أعمل لهذه القضية ولو تطوعياً. هناك عائلات بأكملها عم تنتظر، زوجات وأطفال عم ينتظروا المفقودين والمعتقلين، بالإضافة هؤلاء الزوجات عم يعانوا آثار قانونية، آثار اقتصادية، آثار اجتماعية خطيرة ومرعبة، وأحيانا هادمة للأسرة".

كما شاركَتْ أملُ في حملاتٍ عديدةٍ للمناصرةِ ومختلفِ أشكالِ العملِ من أجلِ قضيةِ المعتقلينَ عندَ النظامِ وعندَ كلِّ أطرافِ النزاعِ في سوريا.

"شاركت بحملات مناصرة، شاركت بكتابة المقالات، شاركت بفيديوهات، شاركت بتوثيقات. ولا أترك أي مناسبة إلا وأقوم بالمشاركة ومناصرة قضية المعتقلات والمعتقلين في السجون السورية، بالإضافة إلى المفقودين والمفقودات والمخفيين والمخفيات قسرياً في سوريا، أنا أطالب الإفراج عن جميع المعتقلات والمعتقلين، وجميعهم في سجون النظام، وفي سجون كل أطراف النزاع والصراع في سوريا".

إن الطريقةَ لإخراجِ المعتقلينَ برأيِ أملَ تستلزمُ دعماً دولياً، وتُعبِّرُ عن حُزنِها لفقدانِ السوريينَ الفاعليةَ والقدرةَ على التأثيرِ والضغطِ من أجلِ قضاياهم، نظراً للتدخلِ الدوليِّ الكثيفِ بالشأنِ السوريِّ ونظراً لتشتُّتِ السورياتِ/ينَ في بقاعٍ جغرافيةٍ متباعدة.

"إنه الطريقة لإخراج المفقودين والمعتقلين بسوريا هي الضغط الدولي، الحقيقة أنا يؤسفني إنه رح قول الضغط من المجتمع الدولي، أنا كثير أشعر بالأسف إنه نحنا السوريين والسوريات الآن نطلب، نطلب من المجتمع الدولي الضغط، أأسف لإنه نحنا كسوريين وسوريات ما قدرنا إنه نحن فقط نحن السوريين قادرين إنه نشكل قوة ضاغطة. يعني التدخلات الدولية، تدخلات الدول الأخرى في القضية السورية أو في الملف السوري، التشرذم، اللجوء والنزوح والتهجير، هذا كله لعب دور بأنه نحن للأسف كسوريات وسوريين ما نكون نحنا قوة ضاغطة".

في ظلِّ الظروفِ الدوليةِ الحاليةِ ومبادرةِ التطبيعِ العربيِّ معَ النظامِ تَرى زَوجةُ المعتقلِ أن واجبَ الدولِ العربيةِ التي طبَّعَتْ معَ النظامِ السوريِ السَّعيَ للكشفِ عن مصيرِ المعتقلين.

"الدول يلي عم بتطبع مع النظام السوري ممكن تساهم بأنه تضغط على هاي الدول ونطلب منها حل ملف المعتقلين، إخراج المعتقلين من السجون، بالأحرى ما تبقى من المعتقلين في السجون. طبعاً ما بعرف قديش نحنا ممكن نوصل للمحاسبة، ما بعرف إنه إحنا قديش رح نقدر نحاسب بما إنه النظام السوري على رأس الحكم ما زال، ولكن على الأقل حاليا الكشف عن مصير المفقودين والمعتقلين خطوة كثير منيحة".

لكنها تشيرُ إلى قضيةٍ هامةٍ وهيَ أن تقومَ منظماتٌ وجهاتٌ محايدةٌ

بمهمةِ معرفةِ الحقيقةِ والكشفِ عن مصيرِ آلافِ المعتقلينَ والمخفيينَ قسراً، لأنها تعلمُ أساليبَ التحايُلِ والتضليلِ الذي يمارسُهُ النظامُ في قضيةِ المعتقلين.

لكنها تتمنى وترغبُ بمزيد من الجهود الدولية خاصةً منَ الآليةِ الدوليةِ المستقلةِ للمعتقلين والتي أُعلن عنها مؤخراً أن تعملَ على إشراكِ ذوي الضحايا فيها للكشفِ عن آلافِ الأشخاصِ الذين اختفوا قسراً واعتُقلوا تعسفياً في سوريا.

"أتمنى بالآلية الجديدة إللي أطلقت هلق حاليا، إنه يتم إشراك أهالي المفقودين والمعتقلين بكل خطوة، من أجل الكشف عن مصير المفقودين والمعتقلين، أنا ما زال لدي ذلك الأمل. أنا ما زال لدي ذلك النفس، حتى أشارك في ملف المفقودين والمعتقلين في سوريا، كثير مهم برسالتي الأخيرة إنه يجب إشراك أهالي المفقودين والمعتقلين بأي خطوة في حل ملف المفقودين والمعتقلين في سوريا".

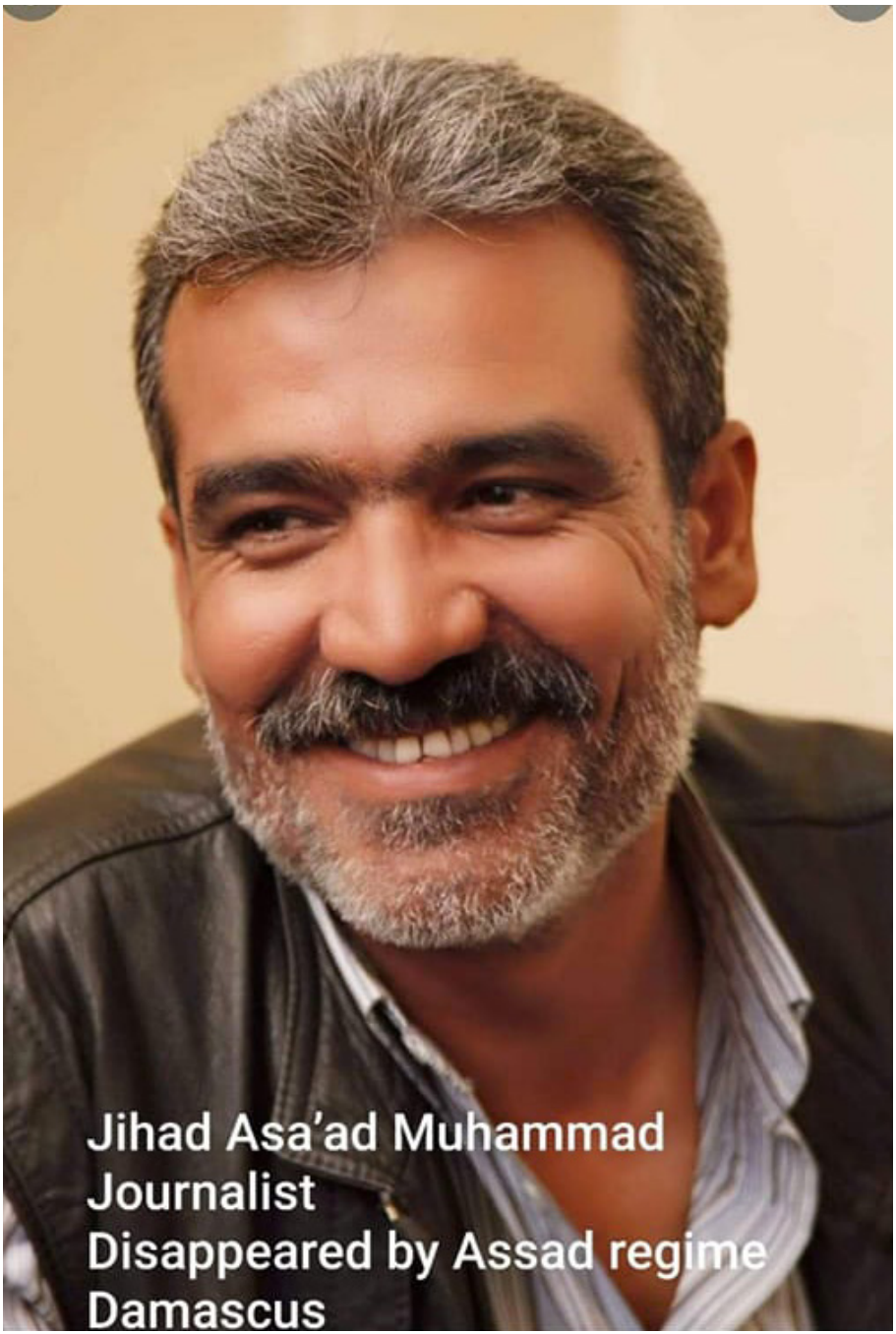
Jihad Asa'ad Muhammad
Journalist
Disappeared by Assad regime
Damascus

أم صلاح

أمُّ صلاحَ من مدينةِ حلب، والدةُ معتقل.

كان شاباً في العقدِ الثالثِ من عمرِه لحظةَ اعتقالِه. متزوّجٌ ولديهِ ثلاثة أطفال ، يعملُ في بيعِ الملابسِ الداخلية، تحكي أمُّ صلاحَ بحرقةٍ عنه وتقول: "كان بياع داخليات في سد اللوز، هلئ صار عمره 40 سنة. طيوب، مرح، يحب أولاده وبحب شغله".

اعتُقلَ في عامِ 2012 من منطقةِ البسيطِ التابعةِ لمحافظةِ اللاذقيةِ من قِبَلِ الشبيحة، وسُلِّمَ للضابطِ وسيمَ بحسبِ ما أخبرتْنَا أم صلا ح .

"اعتقلوه الشبيحة في البسيط، وسلموه إلى الملازم وسيم عام 2012".

أما عن سببِ الاعتقال، فلا ترى أمُّ صلاحَ سبباً له، وبرأيِها أن السببَ هو وشايةٌ من أحدِ الأقارب.

"لا يوجد سبب اتهامات كاذبة من قبل أحد الأقارب".

تُظهِرُ شهاداتُ العديدِ من المعتقلاتِ والمعتقلينَ إقدامَ النظامِ السوريِّ على اعتقالِ الأشخاص، بسببِ الوشاياتِ والتقاريرِ الكيديةِ، والتي زادَتْ وانتشرَتْ أثناءَ الحراكِ الشعبيِّ لترهيبِ السوریاتِ/ينَ وسحقِ إرادتهم.

بحثَتْ أم صلاحَ عن ابنِها منذُ البدايةِ في اللاذقيةِ نظراً لاعتقالِه في منطقةِ البسيطِ التابعةِ لها، وذهبَتْ أيضاً إلى دمشقَ العاصمةِ لمتابعةِ السؤالِ عنه.

"وقت اختفاء ابني دورت عليه في اللاذقية. كمان رحت على الشام دورت ما في فايدة، أروح أبكي وأرجع أبكي".

حدثَّتْنَا أم صلاحَ عنِ الحزنِ والاكتئابِ الذي عاشَتْه بعدَ اعتقالِ ابنِها ظُلماً بدونِ مبرر.

" اكتئاب، ضغوطات من قبل أهل مرته لأبني، شو طالع أنا بأيدي، دورت ما في خبر، كل شهر كنت روح وأسأل عن ابني ما خليت وسيلة".

كانَ منَ المؤلمِ أن مأساةَ أمِّ صلاحَ لم تتوقَفْ عندَ اعتقالِ ابنِها، فقد تلا ذلك مقتلُ زوجتِه جراءَ القصفِ عندما ألقَتْ طائراتٌ تابعةٌ للنظامِ أربعةَ براميلٍ متفجرةٍ على حيِّ الصاخور.

" ماتت مرت ابني بقصف طيران على حي الصاخور، تقريبا بأول الأحداث، لما صار في جيش حر، طلعت الطيارات، زتت أربع براميل وقصفت، مات وقتها كثير عالم وناس، من بيناتهن مرت ابني".

في تلكَ المرحلةِ من نهايةِ عامِ 2012 كانَتْ مدينةُ حلبَ تعيشُ تحتَ قصفِ النظامِ المستمرِ بالبراميلِ المتفجرةِ والذي امتدَّ حتى نهايةِ 2016 وبحسبِ الشبكةِ السوريةِ لحقوقِ الانسانِ لقد أدى قصفُ البراميلِ إلى مقتلِ آلافِ المدنيينَ بينهم نساءٌ وأطفالٌ، وتدميرُ عددٍ كبيرٍ منَ المباني السكنيةِ وشَمَلَ التدميرُ أيضاً الأسواقَ والمباني التاريخية.

جراءَ تلكَ الأوضاعِ الصعبةِ بمحافظةِ حلبَ خرجَ آلافُ المدنيينَ هرباً منَ الموتِ بالبراميلِ المتفجرةِ واضطُرَتْ أم صلاحَ إلى اللجوءِ إلى تركيا معَ ابنها، كانَت رحلةُ اللجوءِ شاقةً كما رَوَتْ لنا.

"أنا عند شفت ما في فكه يعني، إنه كل مالنا عم نختنق أكثر، عم نختنق أكثر. قمت طلعت أنا وابني هذا الأصغر الشيء. وأبني الكبير هون كمان بتركيا. قمنا خبرناه بعثلي مصاري وطلعت. طلعنا تهريب كمان ضلينا نهارين، ثلاثة أيام لبينما وصلنا لهون لعنتاب، وصلنا لهون لعنتاب بآخر روح على الله أحسن الشي".

لم يمنعْ لجوءُ أمٍّ صلاحَ إلى تركيا متابعتَها البحثَ عنِ ابنها، ففي عامِ 2018، يصلُ خبرٌ لأمِّ صلاحَ عن احتماليةِ موتِ ابنها في السجن،

فما كان منها إلا أن قَدَّمَتْ طلباً للحكومةِ التركيةِ وذهبَتْ إلى سوريا، وكلتْ محامياً ليساعدَها في الاستفسارِ عن حالةِ ابنها. وإلى الشرطة العسكرية ذهبَت مع المحامي، فكانَ الردُّ من عناصرِ الشرطةِ العسكريةِ قاسياً.

" **نزلت على الشام من تركيا من 5 سنين بعد ما إجاني خبر أنه ابني مات. حطيت محامي كلفني 100 ألف ليرة سورية بوقتها، رحت أنا وإياه على الشرطة العسكرية لنسأل عن ابني. قالولي روحي انقلعي ابنك إرهابي، روحي أحسن ماندكك محل ابنك، ابنك كلب وفطس. على الله أحسن شي**".

تخمنُ أمُّ صلاحَ بأن ابنَها اعترفَ بأنه إرهابي، لأنه خافَ من التعذيبِ والتعرضِ للضرب.

" أكيد ابني خاف يضربوه، لهيك اعترف أنه ارهابي، وهيك صار صعب نطلعه".

استخدمَ النظامُ السوريُّ أساليباً وحشيةً في التعذيب لإجبارِي لينا نهارين، ثلاثة أيام لبين يان المعتقلينَ على الاعترافِ بتُهمٍ ملفقةٍ كالمشاركةِ بالمظاهراتِ أوِ الانتماءِ لجماعاتٍ مسلحةٍ وهناكَ العديدُ من الشهاداتِ والتقاريرِ التي توثقُ انتهاكاتِ حقوقِ الإنسانِ في السجونِ السورية.

لم تصلْ محاولاتُ عائلةِ المعتقلِ للاستقصاءِ عنه الى نتيجةٍ واضحة، أُبلِغَتِ العائلةُ بوفاةِ المعتقلِ لكنَّ أمَّ صلاحَ تؤكدُ أنها لم تحصلْ على أيِّ دليلٍ أو شهادةِ وفاة.

" قالوا لنا ابني مات، بس ما أعطونا ولا دليل، لا شهادة وفاة ولا هوية".

في تركيا ربَّتْ أمُّ صلاحَ أولادَ ابنِها المعتقلِ وحدَها، وهم بنتٌ وصبيان، عانَتْ كثيراً وهي تحاولُ تأمينَ حياةٍ كريمةٍ لهم. وكانَت أمُّ صلاحَ قد دعتْنَا لحضورِ حفلةِ زفافِ بنتِ ابنها المعتقلِ خلالَ عملِنَا على هذا المشروع، ابنتُه أصبحُ عمرُها /17/ عاماً، قلتُ حينها لأمِّ صلاحَ أليستْ صغيرةً على الزواج، فردَّتْ عليَّ: " واللّٰه اتعبت يا خيت، برتاح من مصروفها، ما عاد فيني أقدر أأمن مصاريف الأولاد، أنا لحالي اللّٰه وكيلك. زوجتها هيك بعدين بس تصير عمرها 18 بنسجلها بالحكومة التركية".

حاولَتْ أمُّ صلاحَ تأمينَ مصاريفِ أولادِ ابنها المعتقلِ من خلالِ اللجوءِ للجمعياتِ والمنظمات، ولكنَّ هذه المساعداتَ لم تدمْ طويلاً.

"الحمد لله، اللّٰه فرجها، سجلت بجمعيات، سجلت بالأمم المتحدة، ما خليت مكان إلا ما سجلت مشان أساعد هل الأولاد. الحمد لله أول ما أجيت يعني في مساعدة كويسة،

بس هلق ما ضل مساعدات، زادوا السوريين، المنظمات طنشت، والعالم فقرت، وما بعرف أحسن شي".

تطالبُ أمُّ صلاحَ بضرورةِ الدعمِ الماديِّ والدعمِ المعنويِّ للمعتقلين، وبشكلٍ خاصٍّ أنشطةً لأطفالِ المعتقلينَ الذين يعيشونَ ظروفاً صعبةً سواءٌ من الناحيةِ النفسيةِ أو المعيشيةِ لاسيما بعدَ الزلزالِ الذي ضربَ جنوبَ تركيا في 6 شباط وفاقم معاناتهم.

" الدعم لازم يكون مو بس مادياً ومعنوياً أيضاً، لازم الجمعيات تعمل نشاطات لأطفال المعتقلين مشان يفرحو. بعد الزلزال صار الأولاد بلا بيوت، حرام صارت حالتهم أبشع".

تحتاجُ عائلاتُ المعتقلينَ وخاصةً الأطفالُ الى مساعداتٍ إنسانيةٍ تَشمَلُ الغذاءَ والمأوى، وضمانَ حَقهمْ في التعليمِ والصحة، وهذا يتطلبُ تضافرَ الجهودِ من جانبِ المجتمعِ الدوليِ ومنظماتِ المجتمعِ المدني، والجهاتِ المانحةِ إذ لا يجوزُ تناسي مأساةِ هؤلاءِ الأطفال.

الفصلُ الثالثُ: منظماتُ المجتمعِ المدنيِّ العاملةِ على قضيةِ المعتقلات/ين

هل استطاعتِ التحدياتُ والصعوباتُ التي تواجِهُها المنظماتُ السوريةُ العاملةُ على ملفِ المعتقلات/ين، أنْ تنجحَ في مناصرَتِها لقضيةِ الاعتقالِ في سوريا، وهلْ قَدمَتِ الدعمَ الكافيَ لأسرِ الضحايا والمعتقلين؟

مقابلةٌ مع مديرةِ مركزِ أملَ للمناصرةِ والتعافي،المحاميةُ أملُ النعسان

صورة من أنشطة مركز أمل للمناصرة والتعافي

أملُ النعسان، محاميةٌ وناشطةٌ في مجالِ حقوقِ الإنسانِ ودعمِ الضحايا، ولاسيما النساءُ والفتياتُ وعائلاتُ المعتقلينَ والمخفيينَ قسراً والمفقودينَ في سوريا.

لماذا قضيةُ المعتقلات/ين في سوريا، وما الدورُ الذي يلعبُهُ مركزُ أملَ في دعمِ الناجياتِ/ين منَ الاعتقالِ وأهالي المعتقلات/ين؟

عددٌ من مؤسّساتِ/مؤسسي مركزِ أملَ هن/م من الناجياتِ/ينَ منَ الاعتقال، كما أن غالبيةَ أعضاءِ الهيئةِ العامةِ للمركزِ من عائلاتِ المعتقلاتِ/ينَ والمفقودات/ين والناجيات، وبالتالي كانت أولى اهتماماتِنَا هي ملفُّ المعتقلات/ين والمخفيات/ين قسراً.

البدايةُ كانت في عام 2014، حيث كنتُ أعملُ مع عددٍ منَ الأطباءِ لإجراءِ مقابلاتٍ مع ناجيات/ين منَ الاعتقال، خلالَ هذهِ المقابلاتِ لمسْتُ كم تحتاجُ الناجياتُ والناجينَ من دعمٍ ولاسيما الدعمُ القانونيُّ والطبيُّ والنفسيُّ الاجتماعيّ. وبدأْتُ بتقديمِ جلساتِ دعمٍ اجتماعيٍّ لمجموعةٍ منَ النساءِ السوریاتِ اللاجئاتِ في هاتاي،واللواتي كان من بينِهن نساءٌ ناجياتٌ منَ الاعتقال. هدفُ الجلساتِ كان تأهيلُ هؤلاء النسوةِ للاندماجِ في المجتمعِ التركي، تطويرُ قدُراتِهن ليصبحْنَ قادراتٍ على المشاركةِ في الحياةِ العامة، بالإضافةِ لسماعِ مشاكِلِهن والصعوباتِ التي تواجهُهن.

أملُ النعسان، محاميةٌ وناشطةٌ في مجالِ حقوقِ الإنسانِ ودعمِ الضحايا، ولاسيما النساءُ والفتياتُ وعائلاتُ المعتقلينَ والمخفيينَ قسراً والمفقودينَ في سوريا.

لماذا قضيةُ المعتقلات/ين في سوريا، وما الدورُ الذي يلعبُهُ مركزُ أملَ في دعمِ الناجياتِ/ين منَ الاعتقالِ وأهالي المعتقلات/ين؟

عددٌ من مؤسِّساتِ/مؤسسي مركزِ أملَ هن/م من الناجياتِ/ينَ منَ الاعتقال، كما أن غالبيةَ أعضاءِ الهيئةِ العامةِ للمركزِ من عائلاتِ المعتقلاتِ/ينَ والمفقودات/ين والناجيات، وبالتالي كانت أولى اهتماماتِنَا هي ملفُّ المعتقلات/ين والمخفيات/ين قسراً.

البدايةُ كانت في عام 2014، حيث كنتُ أعملُ مع عددٍ منَ الأطباءِ لإجراءِ مقابلاتٍ مع ناجيات/ين منَ الاعتقال، خلالَ هذهِ المقابلاتِ لمسْتُ كم تحتاجُ الناجياتُ والناجينَ من دعمٍ ولاسيما الدعمُ القانونيُّ والطبيُّ والنفسيُّ الاجتماعيّ. وبدأْتُ بتقديمِ جلساتِ دعمٍ اجتماعيٍّ لمجموعةٍ منَ النساءِ السوریاتِ اللاجئاتِ في هاتاي،واللواتي كان من بينِهن نساءٌ ناجياتٌ منَ الاعتقال. هدفُ الجلساتِ كان تأهيلُ هؤلاء النسوةِ للاندماجِ في المجتمعِ التركي، تطويرُ قدُراتِهن ليصبحْنَ قادراتٍ على المشاركةِ في الحياةِ العامة، بالإضافةِ لسماعِ مشاكِلِهن والصعوباتِ التي تواجهُهن.

حصلْنَا على تمويلٍ من مؤسسةِ "الأورو المتوسطية" للمدافعينَ عن حقوقِ الإنسان، عندها قمنَا بتقديمِ الخدماتِ ومنها: الدعمُ القانونيُّ من خلالِ الاستشاراتِ القانونيةِ عبرَ الخطِّ الساخنِ، والمحاضراتُ والورشاتُ القانونية، وأيضاً الدعمُ النفسيُّ الاجتماعيُّ وبناءُ القدراتِ والتمكينِ الاقتصاديِّ والمعرِفِيِّ للنساءِ وأطفالهن.

في عام 2015، أنشأْنَا العيادةَ النسائيةَ بالتعاونِ بينَ رابطةِ المرأةِ العربيةِ النمساويةِ (مشروعُ بلسم)، وقدمَتْ هذه العيادةُ خدماتٍ للنساءِ الناجياتِ من الاعتقال، والمتواجداتُ في سبعِ قرىً تابعةً لهاتاي. وكان من الخدماتِ الدواءُ المجانيُّ، والعنايةُ الطبيةُ النسائية.

واستمرَّ دعمُنَا الطبيُّ حتى عامِ 2016، ليشملَ أكثرَ النساءِ تهميشاً في مناطقِ هاتاي الفقيرة، لم تشملِ الخدمةُ النساءَ فقطْ بل وأطفالَهن أيضاً، حيث كان هناكَ عيادةٌ خاصةٌ للأطفال.

لاحقاً بدأْنَا العملَ على الجانبِ القانوني، أيْ رفعِ وعيِ الناجيات/ين بحقوقِهن/م القانونيةِ وكذلكَ أهالي ضحايا الاعتقال، وكانَ ذلك من خلالِ عقدِ جلساتٍ قانونيةٍ لتعريفِهم بالقانونِ الدولي، قانونُ حقوقِ الإنسان، اتفاقياتُ مناهضةِ التعذيب، وأيضاً عرَّفنَاهم بآلياتِ الأممِ المتحدةِ في حالِ رغبوا برفعِ دعاوى قضائية.

كانَ من نتيجةِ هذه الجلساتِ أن المُستهدَفات/ين منها، بدأوا بالطلبِ من مركزِنَا مساعدَتَهم لتقديمِ بلاغاتٍ للفريقِ العامِّ للإخفاءِ القسريِّ في الأممِ المتحدة. وهنا قدَّمَ مركزُ أملَ بالنيابةِ عن أهالي ضحايا الاعتقالِ والإخفاءِ القسريِّ بلاغاتٍ للفريق.

عن عملياتِ الإبلاغِ التي قامَ بها مركزُ أمل:

عمليةُ إبلاغِ أهالي ضحايا الاعتقالِ عن ذويهِمُ المفقودينَ والمخفيين، هي مثلُ رفعِ قضيةٍ لجهةٍ رسمية. تتم العمليةُ وفق التالي: يخاطِبُ الفريقُ العامُّ للإخفاءِ القسريِّ النظامَ السوريَّ بالسؤالِ عن مكانِ أو حالِ الشخصِ المُبلَّغِ عن اختفائه، ويُنتظرُ الردُّ منه، هذا الردُّ كان يأخذُ فتراتٍ زمنيةٍ طويلةً تصلُ إلى السنةِ تقريباً. حقيقةُ أغلبِ ردودِ النظامِ عنِ البلاغاتِ كانت تتضمنُ إنكارَهُ لوجودِ الشخصِ المبلغِ عنهُ في سجونه، أو قوله بعدمِ معرفةِ مكانه.

حصلَ مرةً واحدةً أن جاءَنا ردٌ منَ الحكومةِ السوريةِ عن بلاغٍ حول شخصٍ معتقلٍ اسمهُ جميلُ النجار، حيثُ ردتِ الحكومةُ السوريةُ بأن جميلَ قيدَ المُحاكمة، ولكننا لم نحصلْ على أيِّ معلوماتٍ تفصيليةٍ أُخرى من قَبيل ما هو جُرمه؟ أين مكانُه؟ ماهي طبيعةُ المحكمةُ التي يخضعُ لها (إرهاب، جنايات، جزائية...)؟

بالرغمِ من معاودةِ مراسلتِنا للفريقِ لتوضيحِ هذه التفاصيل، وحتى اللحظةَ لايزالُ جميلُ مخفياً قسراً لم نعرفْ عنهُ أيَّ شيءٍ سوا أنهُ قيدُ المحاكمة.

قدمَ مركزُ أملَ عدداً من البرامجِ والمشاريعِ والأنشطةِ التي استهدفَتْ أهالي ضحايا الاعتقالِ والناجيات/ين منَ الاعتقال منها:

عددٌ من حملاتِ المناصرةِ مثل، حملة **#اسمعونا37:** تأتي أهميتُها من خلالِ العملِ على تمكين /15/ ناجيةً منَ الاعتقالِ لقيادةِ حملاتٍ للمناصرةٍ من أجلِ قضيةِ الاعتقال. في هذهِ الحملةُ حكَتِ الناجياتُ قصصَهن ومعاناتَهن ومطالبَهن بالعدالة.

حملةُ **#حيٌّ أريدُ أن أراهُ ميْتٌ أريدُ جُثمانه38:** وهيَ حملةٌ قامَ بها أهالي المعتقلات/ين. عبَّروا فيها عن ألمِ الانتظارِ وعن مطالبِهم.
حملة **#من حقنا 39:** وهي حملةٌ عنِ الآثارِ القانونيةِ التي ترتبَتْ على نساءِ المعتقلين.

حملةُ الحقيقةِ والعدالة: شارَكَ فيها أكثرَ من /120/ عائلةٍ من أهالي ضحايا الاعتقال، وقاموا بالتوقيعِ على بيانٍ وُجِّهَ للأممِ المتحدة.

نشرَ مركزُ أملَ حملاتِ مناصرةٍ إعلاميةً، من خلال التعاونِ مع صحفياتٍ غربياتٍ لكتابةِ مقالاتٍ باللغةِ الفرنسيةِ والإنكليزية ، وتصبُّ هذه المقالاتُ في دعمِ قضيةِ المفقودات/ين في سوريا، ونُشرَتْ هذه المقالاتُ في مواقعَ الكترونيةٍ غربية، منها مقالاً للصحفية Liz Cookman باللغةِ الإنكليزية تحت عنوان 40 " الأسد يريدهم أمواتاً بفيروس كورونا" ونُشر على موقع The National ، كما نُشِرَ مقالٌ باللغةِ الفرنسيةِ للصحفيةِ الفرنسيةِ آنيك كوجانAnnick Cojean في صحيفةِ لوموند الفرنسية بعنوان41 فيروسُ الصمت.

وأيضاً تم نشرُ مقالاتٍ باللغةِ العربية، وتم ترجمتُها للغةِ الإنجليزية، ونُشرَت في مواقعَ إعلاميةٍ سورية، كانَ منها مقالٌ للصِّحفيةِ وردةُ الياسين تحت عنوان42" أمهاتُ وزوجاتُ المفقودينَ ألمٌ حتى الثمالة يحدوهُ الأمل" نُشر في موقعِ الشرقِ نيوز.

مكتبُ شعاعِ الأمل، الذي تم تشكيلُهُ من حوالي /65/ من أهالي المعتقلات/ين والمفقودات/ين، يعتبرُ تجربةً فريدةً ونوعيةً، وشُكِّل هذا المكتبُ ليعملَ على وضعِ خططٍ استراتيجيةٍ من شأنِها الكشفُ عنِ الحقيقةِ وتحقيقِ العدالة، ووضعِ خططٍ وبرامجَ وقيادةِ حملاتِ مناصرةٍ للتذكيرِ المستمرِّ بضرورةِ الكشفِ عن مصيرِ المعتقلات/ين في سوريا. انتَخَبَ أهالي المكتب مجلسَ إدارةٍ يتكون من /9/ نساءٍ من أهالي ضحايا الاعتقال،

وهن بدورِهن يعمَلْنَ على تقديمِ اقتراحاتِ مشاريعٍ تهدفُ لدعمِ أهالي الضحايا بناءً على احتياجاتِهم.

هل تعتقدُ أملُ بأنَّ المركزَ خدمَ قضيةَ الاعتقال؟ وهلِ استطاعَ أن يُقدِّمَ الدعمَ المطلوبَ للناجياتِ ولأهالي المفقودات/ين و ا لمعتقلا ت / ين ؟

أولاً لابد من توضيحِ الأمرِ التالي، وهو بأن مسارَ العدالةِ طويلٌ جداً، وفي الحالةِ السوريةِ الأمرُ معقدٌ جداً، فحتى اللحظةَ وبعدَ مرورِ أكثرَ من عقدٍ على اندلاعِ الأحداثِ في سوريا، لم نلمس بارقةَ أملٍ في الحلِّ السياسي. كما أنه وحتى اليومَ لايزالُ ملفُّ الإخفاءِ القسريِّ في سوريا معلقاً.

نحاولُ في مركزِ أملَ بناءَ ثقةٍ مع أهالي ضحايا الاعتقالِ ومع الناجيات/ين، نعملُ على توعيتِهم بأهميةِ ألَّا يستسلموا ولا يتوقفوا عنِ المطالبةِ بالكشفِ عنِ الحقيقة، ولكنْ وكما ذكرْتُ سابقاً بسببِ ركودِ العمليةِ السياسيةِ في سوريا وبقاءِ ملفِ الإخفاءِ القسريِّ دونَ حلولٍ جذريةٍ مدةَ سنواتٍ طويلة، يصبحُ عملُنَا أكثرَ صعوبةً، فمثلاً ماتَ العديدُ من أهالي الضحايا الذين قدموا بلاغاتٍ عن أبنائِهم المخفيين، تزوجتْ نساءُ المعتقلين وبنينَ حيواتٍ جديدة، وهذا ينعكسُ كلُّه على بقاءِ القضيةِ حيةً قائمة.

أُذَكِّرُ بأن شعوباً ودولاً كثيرةً لم تتحقق فيها العدالةُ ومحاسبةُ منتهكي الجرائمِ إلا بعدَ سنواتٍ طويلةٍ، هذهِ الفكرةُ هي التي نحاولُ في مركزِ أملَ تعزيزَها عندَ أهالي الضحايا والناجيات/ين من الاعتقال، إضافةً لذلك فإنَ جلساتِ التوعيةِ القانونيةِ والحقوقيةِ والسياسيةِ التي نقدمُها، ستكونُ لها نتائجُ على المدى الطويل، إذ أن الأهالي باتوا يدركونَ أهميةَ تغييرِ القوانينِ وتعديلِ الدستورِ وإصلاحِ المؤسساتِ الأمنية، وضرورةِ إشراكِ النساءِ في الشأنِ العام، من أجلِ منعِ عملياتِ انتهاكِ حقوقِ الإنسان، ومنعِ تكرارِ جرائمِ الاعتقالِ في سوريا القادمة.

أغلبُ مشاريعِ وبرامجِ المركزِ وخاصةً المتعلقةُ بقضيةِ الإخفاءِ القسريِّ موجهةٌ للنساء، لماذا؟

أكثرُ المتضررينَ من الحربِ في سوريا هن النساء، زادَتِ الحربُ من أعباءِ النساء، ومن جهةٍ ثانيةٍ فإن تجاربَ الشعوبِ الأخرى أثبتَتْ دورَ النساءِ الحاسمَ في الوصولِ إلى السلام. من وجهةِ نظري أثبتَتِ النساءُ السوریاتُ قدرةً كبيرةً على إعالة أسرهن، واستعدادِهن للعملِ في الشأنِ العام، ورغبتِهن في أخذِ دورٍ هامٍ في المحاسبةِ والوصولِ للعدالة. فعلى سبيلِ المثالِ أصدرَتِ الناجياتُ من الاعتقالِ بياناً باللغةِ العربيةِ والإنكليزيةِ عن وضعِهن ومطالبِهن، وكان هذا البيانُ تحتَ إشرافِ مركزِ أمل.

ماهي الصعوباتُ والتحدياتُ التي واجهَتْ مركزَ أملَ كمنظمةٍ سوريةٍ عاملةٍ على قضيةِ الإخفاءِ والاعتقالِ القسريِّ في سوريا؟

قبلَ الحديثِ عنِ الصعوباتِ والتحديات، لابد منَ الإشارةِ من جديدٍ إلى أنَّ طولَ فترةِ النزاعِ وعدمَ وجودِ حلولٍ لإنهائِه في سوريا، وعدمَ وجودِ أيَّةِ خطوةٍ حقيقةٍ وملموسةٍ للكشفِ عن مصيرِ المفقودات/ين في سوريا، هو من أكثرِ الأمورِ التي خلقَتْ صعوباتٍ وتحدياتٍ في وجهِ المنظماتِ السوريةِ العاملةِ على قضيةِ الإخفاءِ القسريِّ في سوريا.

يمكنني تلخيصُ العقباتِ والصعوباتِ كالتالي:

صعوباتٌ تتعلقُ بالتمويل، حتى تستمرَ المنظماتُ في عملِها فإنها بحاجةٍ إلى التمويل، وغالباً يوجدُ صعوباتٌ في الحصولِ على التمويلِ والدعمِ الماديِّ لتنفيذِ مشاريعَ هدفُها دعمُ قضيةِ الإخفاءِ القسريِّ في سوريا. وأشيرُ إلى أننا نقَّذنَا العديدَ منَ الحملاتِ والمشاريعِ بشكلِ تطوعي، ولكنْ هناكَ برامجُ أو مشاريعُ تحتاجُ مثلَ تقديمِ الدعمِ الطبيِّ والحقوقيِّ والإغاثيِّ لأهالي ضحايا الاعتقال والناجيات/ين، بحاجةٍ إلى تمويلاتٍ ماليةٍ ولوجستية.

أيضاً يمكنُ أن أضيفَ بأنهُ بات يوجدُ الآنَ عشراتُ المنظماتِ السورية، المهتمةِ بقضيةِ الاخفاءِ والاعتقالِ القسريِّ في سوريا، ولكن لا يوجدُ تشبيكٌ وتعاونٌ حقيقيٌ بينها، الأمرُ الذي قد يجعل هناك تكراراً للمستفيدين أو للأنشطة، أو تكراراً للأسماءِ الموثقة، وبالتالي هذا بدورِه قد يعيقُ من فاعليةِ المنظماتِ في ملفِ الاعتقال. إنه من المهمِّ جداً وجود " داتا" واحدة، ومن المهم أن تتقاسمَ المنظماتُ الأنشطةَ والمشاريعَ حتى نبتعدَ عن التكرارِ أو لا يتسعُ نطاقُ وعددُ المستفيدات/ين.

وجودُ كوادرَ سوريةٍ مؤهلةٍ ومختصةٍ وذاتِ خبرةٍ في القوانينِ الدوليةِ وقوانينِ حقوقِ الإنسان، أعتبرُهُ صعوبةً وعائقاً هاماً، فنحن السوريات/ين جميعاً كنا مُبْعدين وبصورةٍ مقصودةٍ ولفتراتٍ طويلةٍ عن فهمِ القوانينِ الدوليةِ وعن فهمِ ما كان يقومُ به النظامُ السوريُّ من انتهاكاتٍ في حقوق الإنسان. أغلب خبراتنا في هذا المجال اكتسبناها من العمل المدني وعلى الأرض بعد عام 2011.

من أهمِّ الصعوباتِ والتحدياتِ، هي وصولُ أغلبِ أهالي الضحايا والناجيات/ين من الاعتقالِ إلى مرحلَةِ اليأسِ من حلِّ ملف المعتقلات/ين في سوريا، يأتونَ وهم يشعرونَ بالخذلانِ منَ المنظماتِ ومن المجتمعِ الدولي،

هذا الأمرُ جعلَ البعضَ منهم يُحجِمُ عنِ المشاركةِ في أنشطةٍ أو مشاريعٍ خاصةٍ بقضيةِ الاعتقال، ويؤثر ذلك في عملياتِ التوثيقِ أوِ البلاغاتِ أو المشاركةِ في مناصرة ملف المعتقلات/ين.

مساحاتُ العملِ الضيقةُ والمحدودة، بمعنى أن المنظماتِ السوريةِ تعاني هيَ الأخرى من قيودٍ قانونيةٍ تُفرَضُ عليها في مناطق عملِها، فمثلا في تركيا نحن نعملُ تحت شروطٍ ماليةٍ وقانونيةٍ تفرضُها الحكومةُ التركيةُ، هذه الشروطُ تصبح أحياناً صعوباتٍ وعوائقَ، أما حالُ المنظماتِ السوريةِ في الداخل فهو أصعب، لأن المنظماتِ في الداخلِ تخضعُ لسلطاتِ الأمرِ الواقع التي قد تكون مُعيقاً هي الأخرى، وخاصةً مع النساءِ. هذا كما أن هناكَ صعوبةً فائقةً في وصولِنا لأهالي الضحايا في المناطق الخاضعةِ لسيطرةِ النظام، هؤلاءِ الأهالي يخافونَ التوثيقَ والإبلاغَ والمشاركةَ في قضيةِ الإخفاءِ السورية.

نعم نحنُ كمنظماتٍ سوريةٍ عملْنَا على التوثيقِ وجمعِ الأدلة، قمنا برفعِ الوعِي القانونيِّ لأهالي الضحايا، استطعْنَا تقديمَ الدعمِ النفسيِّ للناجيات/ين منَ الاعتقال، تمكنَّا منَ استصدارِ بياناتٍ وأقمْنا حملاتِ مناصرةٍ لحلِّ ملفِّ المعتقلات/ين، سلطْنَا الضوءَ على المعاناةِ الكبيرةِ للأهالي وللناجيات/ين، قدمنا دعماً سريعاً وعاجلاً ومؤقتاً منَ الناحيةِ الصحيةِ والطبيةِ وغيرها، ولكننا ليس لدينا صلاحياتٍ قانونيةٍ رسمية،

أي أننا مثلاً غيرُ قادرينَ على استصدارِ أوراقٍ قانونيةٍ أو ثبوتيةٍ لأهالي الضحايا مثلَ شهاداتِ الميلادِ أو الوفاةِ أو الزواجِ وغيرها.. نحن ليس لدينا الصفة الشرعية التي تخولُنا مخاطبةَ النظامَ المتهمَ بإخفاءِ واعتقالِ الآلافِ من السوريات/ين، نحنُ أقربُ للوسيطِ بين المجتمعِ الدوليِّ وأهالي الضحايا.

أود أن أشيرَ لنقطةٍ هامةٍ جداً، وهي أن المنظماتِ والهيئاتِ والمؤسساتِ الدوليةِ والأمميةِ، التي تُعنَى بقضايا الإخفاءِ القسريِ وانتهاكاتِ وجرائمِ الاعتقال، لا تحاولُ بصورةٍ جديةٍ التواصلَ معَ المنظماتِ السورية، فنحن غالباً من نبحثُ عنها ونعملُ على إيجادِ قنواتِ تواصلٍ معها.

كما تعلمين صدرَ قرارٌ منَ الجمعيةِ العامةِ للأممِ المتحدةِ بإنشاءِ مؤسسةٍ دوليةٍ جديدةٍ لاستجلاءِ مصيرِ المفقودينَ والمغيبينَ قسراً في سوريا وأماكنِ وجودِهم وتقديمِ الدعمِ للضحايا وأُسرِهم، حَمَلَ الرقمَ A/77/L.79. وتضمنَ القرارُ في البندِ الثامنِ منهُ دعوةَ المؤسساتِ الدوليةِ ومنظماتِ المجتمعِ المدنيِّ السوريةِ إلى التعاونِ مع المؤسسةِ المستقلة، برأيِكِ كيف تستخدمُ المؤسسةُ المستقلةُ الجديدةُ أهالي الضحايا والناجيات/ين من الاعتقال، وهل سيكونُ دورٌ فعليٌّ للمنظماتِ السوريةِ في هذه المؤسسة؟

نأملُ أن تتمكنَ هذهِ الآليةُ بعدَ مُضِيِّ أكثرَ من عقدٍ

على النزاعِ في سوريةَ الوصولَ الى الحقيقةِ والعدالةِ ومحاسبةِ مرتكبي الجرائمِ والانتهاكات، فمن حقِّ العائلاتِ أن تعرفَ مصيرَ أحِبَّتها إن كانوا أحياءً أم أمواتً وما جرى لهم داخلَ المعتقلاتِ سواءٌ لدى النظامِ السوريِ أو لدى قوى سلطاتِ الأمر، وأيضا لهن/م الحقُّ في المشاركةِ في لجانِ الحقيقةِ والعدالةِ في المرحلةِ الانتقالية.

المؤسسةُ الجديدةُ هي عموماً خطوةٌ جيدةٌ، خاصةً أنها تدعو لمشاركةِ أهالي ضحايا الاعتقالِ في هيكليتِها. نحن بدأْنَا في مركزِ أملَ بتعريفِ الأهالي والناجيات/ين بالآليةِ الجديدة، فهن/م يحتاجونَ إلى المعرفةِ بأن لهم هذه المرةَ الدورَ الأكبر.

بالنسبةِ للمنظماتِ فهي يجبُ أن تكونَ جاهزةً تماماً للمشاركةِ في المؤسسةِ الجديدةِ ودعمِها، نحن في مركزِ أملَ لدينا " داتا " بياناتٍ ضخمةٍ وقُمْنا بعملِ توثيقاتٍ وجمعْنا أدلة، فالبتالي نحنُ مستعدونَ لتقديمِ كلِّ العونِ في الآليةِ الجديدة.

وأضيفُ أن عملَنَا السابقَ معَ الأهالي وضحايا الاعتقالِ والإخفاءِ القسريِّ، من ناحيةِ رفْعِ وعيِهم بأهميةِ المطالبةِ بحقوقِهم وفقَ شِرعةِ حقوقِ الإنسان، سيؤتي ثمارَهُ من خلالِ مشاركتِهم الفعالةِ في المؤسسةِ المستقلة.

المحامية أمل النعسان

الفصلُ الرابعُ: مقابلةٌ مع أليس مفرج

كي نَستقرِئَ مسارَ ملفِّ المعتقلاتِ/ينَ والمفقوداتِ/ينَ في سوريا في أروقةِ الأممِ المتحدة، ونقفَ على نجاعةِ القراراتِ الأمميةِ الصادرةِ بحقِّ قضيةِ الاعتقالِ السورية، ونرسمَ تصوراتٍ وخططاً عمليةً تساهِمُ في الوصولِ إلى الحقيقةِ والعدالةِ والكشفِ عن مصيرِ المعتقلات/ين والمفقودات/ين في سوريا، كان لَنا مقابلةٌ مع أليس مفرج.

صورة لوقفات عائلات من أجل الحرية

أليسُ مفرّج، مسؤولةُ لَجنَةِ المعتقلاتِ/ينَ والمفقوداتِ/ينَ في هيئةِ التفاوضِ السورية وعضوُ هيئةِ التفاوضِ كما أنها عضوُ اللجنةِ الدستورية.

شاركَتْ أليس مفرج في الاحتجاجاتِ السلميةِ بدايةَ الثورةِ عام 2011، وخرجَتْ في المظاهراتِ المطالبةِ بإسقاطِ النظام، وهوَ ما عرَّضها للاعتقالِ مرتينِ بتاريخ 20 تموز 2011، وبتاريخِ 12 كانونَ الأولَ 2013.

أنجزتْ أليسَ مفرّج ورقةً **بحثية ً43** تحتَ عنوان " المحاسبةُ للجميع والعدالةُ للجميع، ورقةٌ بحثيةٌ خلفيةٌ من كُتَيِّبِ العدالةِ الانتقاليةِ في سوريا-حلولٌ عمليّة. وقد تناوَلْنَا الورقَة البحثيةَ، حيث تتضمنُ توصيفاً واستقراءً لمسارِ ملفِ المعتقلاتِ/ينَ في سوريا ، وآلياتِ عملٍ لحلِّ الملفِ قَبلَ وبَعدَ عمليةِ الانتقالِ السياسي.

من ورقَةِ السيدةِ أليسُ البحثية:

"لطالما استخدمَ نظامُ الأسدِ في سوريا " مملكةَ الخوفِ والرُّعب" الاعتقالَ وتغييبَ الصّوتِ المعارِضِ وإخفائِهِ وتعذيْبِه، كآليةٍ لفرضِ هيمنتِهِ الأمنيةِ من سبعيناتِ القرنِ الماضي، وتفاقَمَتْ حجمُ الانتهاكاتِ الجسيمةِ في بدايةِ الحراكِ الشعبي كآليةٍ أخرى لقمعِ الحراك بمنهجيةٍ واسعةِ النطاق، تم توصيفُها على أنَّها جرائمُ ضدَّ الإنسانية، وجرائمُ حربٍ، ولقد كانَ لأجهزةِ المخابراتِ الأمنيةِ ذلكَ الدورَ القياديَّ في تعزيزِ وسائِلِ القمعِ والعنفِ السياسي، إلى جانبِ الجيشِ الذي أتم إدارةَ الصراعِ من خلالِهم على السلطة".

عطالة مجلسِ الأمنِ وتقيُّدِه بالفيتو الروسي كانَ منَ التحدياتِ في ملفِ المعتقلين: " إنَّ عدمَ فصلِ المسارِ الإنسانيِّ عنِ السياسيِّ وضَعَنَا أمامَ تحدٍ للعملِ على خلقِ آليةِ زخمٍ دولي بالتواصُلِ مع صُناعِ القرارِ الدوليينَ حولَ مجموعةٍ من المطالبِ الملحةِ بالتعاونِ مع بعضِ مؤسساتِ المجتمعِ المدني. وأهمُّها إصدارُ قرارٍ منْ مجلسِ الأمنِ للأممِ المتحدةِ تحتَ الفصلِ السابع، الذي يمنحُ اللجنةَ الدوليةَ للصليبِ الأحمرِ الوصولَ الفوريَّ والكاملَ وغيرَ المشروطِ إلى جميعِ مراكزِ الاعتقال (بما في ذلك الرسميةُّ وغيرِ الرسميةِّ) من دونِ إخطارِ النظامِ السوري، لكنَّ عطالةَ مجلسِ الأمنِ وتقييدِه بالفيتو الروسي حالَ دون ذلك. واستَمَرَّينا بالعمل للوصولِ لعقدِ مؤتمرٍ دولي للمعتقلين، بدعمٍ دولي وبمشاركةِ السوريينَ من جميعِ المساراتِ السياسيةِ والحقوقيةِ وروابطِ الضحايا، ويتمُ رفعُ توصياتِ المؤتمرِ لمجلسِ الأمنِ الدوليِّ لتحصيلِ قرارٍ مُلزِمٍ ينصُّ على إيجادِ حلٍ للقضية، بالإفراجِ عن المعتقلينَ وضرورةِ تشميلهم في عمليةِ السلام، لأهميةِ تأثيرِهم الهام على فعاليتها ومصداقيتها، ولكن الاستِئثَارَ الروسيَّ بإدارةِ العمليةِ السياسيةِ أعاقَ الوصولَ لهذا المؤتمر".

في محادثات "الأستانة " تحولَّ ملفُ المعتقلاتِ/ينَ إلى مقايضةٍ مصلحية: " تمَّ العملُ والاتفاقُ في الأستانةَ على تشكيلِ غرفةِ العملِ المشتركةِ الخاصةِ بما يسمى المحتجزين،

واختُزِلَتْ بالتبادلِ بين الأسرى، بما يُخالفُ الطبيعةَ القانونيةَ للاعتقالِ التعسفيِّ للمدنيين وحصرَه على خلفيةِ النزاعِ المسلحِ فقط، كما ويَتِمُّ استخدامُ النساءِ كسلاحِ حرب، بالخطفِ والخطفِ المضادِّ من جميعِ الأطرافِ وعلى نحوٍ متنامٍ كورقةِ مساومةٍ في تبادلِ الأسرى بينَ طرفي النزاع. حيث تستمرُ الخطورةُ بتحويلِ الملفِ إلى مقايضةٍ مصلحيةٍ تتعلقُ بطرَفَي النزاعِ بعدَم تشميلِ جميعِ المعتقلينَ من جهة، ومن جهةٍ أُخرى أنَّ النسبةَ والتناسبَ من حيثُ العددِ غيرُ محققة. لقدِ احْتفى النظامُ بهذهِ الآلية، لأنها تؤكد "البروباغندا" التي عمِلَ عليها بذريعةِ محاربةِ الإرهاب، ما يساهمُ في إسقاطِ المساءَلةِ والمحاسبةِ عن انتهاكاتِه الجسيمة، من منظورِ التساوي بالعددِ بين الطرفين، حيثُ قدَّمَ النظامُ في الأستانةَ قائمةً بـ (16) ألفٍ يدَّعي أنهم معتقلون لدى الفصائل المسلحة، بينما أكدَّ في الجلسةِ السادسةِ لِّلجنةِ الدستوريةِ بأنهُ قدَّمَ قائمةً من (20) معَ استمرارهِ بسرديةِ الإنكارِ وعدمِ اعترافِهِ وجودِ معتقلينَ لديه".

من خلالِ الورقةِ البحثيةِ تَحدثَتْ أليسُ عن تدابيرَ قضائيةٍ وتدابيرَ غير قضائية، وهيَ بمثابةِ حلولٍ لقضيةِ الاعتقالِ والإخفاءِ القسريِّ في سوريا.

الدستورُ الجديدُ لسوريا: " يتضمنُ الدستورُ القادمُ باباً خاصاً ومُفصّلاً بتشكيلِ الهيئاتِ المستقلّةِ كآليةٍ لاحترامِ الضماناتِ الدستوريةِ وتَطبيقِ أَحكامِه، ودَمقرطَةِ المؤسساتِ وسيادةِ القانون. منها دائمةٌ كمفوضيةِ حقوقِ الإنسان، وهيئاتٌ مستقلةٌ مؤقتةٌ كهيئةِ شؤونِ المعتقلينَ والمخفيينَ قسراً والمفقودين، وهيئةِ العدالةِ الانتقالية: وهي مؤسساتٌ إداريةٌ قانونيةٌ تتمتعُ بالشخصيةِ القانونية، يتمُ تأسيسُها بموجبِ نصٍ تشريعي، وهذه الهيئاتُ لها استقلاليتُها هيكلياً ووظيفياً عن مختلفِ أجهزةِ الدولةِ السياسيةِ والإدارية، ونَعني بالاستقلالية : لا تخضَعُ لوصايةِ السلطةِ التنفيذية، ويحكُمُها مبدأُ الحيادِ أو مبدأُ عدمِ الانحيازِ إلى طرفٍ انخرطَ في الصراعِ السوري، إضافةً لابتعادِها عن التّجاذباتِ السياسية، ولكنها ليستْ استقلاليةً مطلقةً بل نسبية، أيْ تخضعُ للرقابةِ البرلمانيةِ والرقابةِ القضائيةِ بما لا يمسُّ استقلاليَّتَها التي تُنظِّمُ عملَها دونَ أن يكونَ خاضعاً للتصديقِ من السلطةِ التنفيذية. ويتمُ اختيارُ أعضائِها وعُضواتها من قِبَلِ البرلمان، والمشاركةِ مع منظماتِ المجتمعِ المدنيِّ المعنيةِ بهذا الشأن، ممّن يتمتعونَ بالكفاءةِ والخبرةِ والنزاهة، على ألا يجمَعوا بين عملِهم وأيةٍّ وظيفةٍ أخرى ذاتِ طابعٍ تنفيذيٍّ أو تشريعي، وهي قاعدةٌ أكدَتْها المبادئُ الدستوريةُ العامةُ في غالبيةِ الدساتيرِ في العالم، وضرورةُ الالتزامِ بمبدأِ تمثيلِ النساءِ بنسبةٍ لا تقل عن ،30%/ ثلاثينَ بالمئةِ إضافةً لتمثيلِ عائلاتِ الضحايا، ويتمُ تنظيمُ مهامِها وصلاحياتِها بقانونٍ مفصل".

«هيئةُ العدالةِ الانتقالية ومهامُها: «إجراءاتٌ فورية: متابعةُ الإفراجِ عنِ المعتقلينَ والكشفُ عن مصيرِ المختفينَ قسراً ووقفُ عملياتِ الاعتقال. و جميعُ القراراتِ الصادرةِ والمتعلقةِ بالتوقيفِ وعملياتُ المداهمات، وقفُ تنفيذِ الإعداماتِ وجميعِ الأحكامِ الصادرةِ منَ المحاكِمِ ذاتِ الصفةِ الاستثنائية، تيسيرُ دخولِ اللِّجانِ الدوليةِ المختصةِ إلى جميعِ مراكزِ الاعتقالِ الرسميةِ والسرية، والتعاونُ معَهم بتقديمِ جميعِ البياناتِ والتوثيقاتِ لديهم، الكشفُ عن حقيقةِ وظروفِ المعتقلينَ الذينَ قضَوا تحتَ التعذيب والإعداماتِ الميدانية، وتحديدُ مكانِ رُفاتِهم وتسليمِها لذويهم. وعلى المدى المتوسّطِ والبعيد، وضعُ برنامجٍ للإصلاحِ المؤسسيِ وحوكمةُ القطاعِ الأمني». «

هيئةُ شؤونِ المعتقلينَ والمخفيينَ قسراً: «هي آليةٌ مؤقتةٌ لتنفيذِ تدابيرِ العدالةِ الانتقاليةِ ذاتِ الصلةِ باختصاصِها، وتقومُ بمتابعةِ الإشرافِ على الإفراجِ عنِ المعتقلينَ والكشفِ عن مصيرِ المخفيينَ قسراً، وتعتمدُ على مُشاركةِ ومِحوريةِ رؤيَةِ الضحايا وعائلاتِهم، وتعملُ على التحقيقِ في حالاتِ الاختفاءِ القسريِّ والأشخاصِ المفقودين ومن مهامها زيارة السجون. وتلتزمُ المؤسساتُ في الدولةِ إضافةً لمنظماتِ المجتمعِ المدنيِّ بالتعاونِ الكاملِ مع الهيئةِ وبتقديمِ الدعمِ والمعلوماتِ والتوثيقاتِ لتمكِّنَها منَ القيامِ بالتحقيقاتِ اللازمةِ في حالاتِ الاختفاءِ القسريِّ والبحثِ عنِ المختفيينَ والمختفياتِ والمفقودينَ والمفقوداتِ، وتحديدِ أماكنِ وجودِهم/ن،

وتحديدِ هوياتِ الأشخاصِ المُتَوفين/ات و تسليمِ رفاتهم/ن لِأُسرِهم/ن".

"عملياتُ العنفِ الجنسيِّ المُرتَكبِ من قِبَلِ الأجهزةِ الأمنيةِ المختلفة: " وردَ في تقريرِ اللجنةِ الدوليةِ المستقلةِ المعنيةِ بسوريا بعام 2018 فقدتُ كرامتي، العنفُ الجنسيُّ والجنسانيُّ في الجمهوريةِ العربيةِ السورية. فقدْ تمَّ توثيقُ اغتصابِ النساءِ والفتياتِ في عشرينَ فرعاً من فروعِ المخابراتِ السياسيّةِ والعسكريّةِ التابعةِ للحكومة. كما وَثَّقتِ الشبكةُ السوريةُ لحقوقِ الإنسانِ 8021 حادثةِ عنفٍ جنسي، استخدَمَها النظامُ بأسلوبٍ ممنهجٍ في المعتقلاتِ وعلى الحواجز، إضافةً إلى أنَّ النساءَ تتعرضُ للاستهداف بطرقٍ عشوائيةٍ من قِبَلِ معظمِ أطرافِ النزاع، حيثُ يتمُّ استخدامُهنَّ في مفاوضاتِ تبادلِ الأسرى. يمثلُ توثيقُ الانتهاكاتِ والجرائمِ الدوليةِ في بلدٍ يعيشُ حالةَ الحربِ أليةً مهمةً ومليئةً بالتحدياتِ وشديدةَ الخطورةِ للوصولِ إلى البياناتِ المتعلقة، وتحديداً توثيقُ هذه الجرائمِ بحقِّ النساءِ بسببِ الخوفِ والوَصمِ المجتمعي".

أهميةُ مشاركةِ المرأةِ في جميعِ مراحلِ إصلاحِ القطاعِ الأمني: " أكدَّ قرارُ (2151) لعامِ 2014 أهميةَ مشاركةَ المرأةِ الفعليَّةِ على قدمِ المساواةِ في جميعِ مراحلِ عمليةِ إصلاحِ القطاعِ الأمني، وانخراطَها الكاملَ فيهِ من أجلِ تعزيزِ تدابيرَ حمايةِ المدنيين،

وتحقيقِ الكوتة في مواقعِ صنعِ القرارِ في جميعِ مفاصلِ الدولة، وفي جميعِ عملياتِ إصلاحِ القطاعِ الأمني، بدءاً منَ التخطيطِ إلى التنفيذِ وانتهاءً بالمراقبةِ على عملِ هذه الأجهزة، وأن يَتَمَثَّلْنَ بكافةِ اللجان، والمشاركةِ بإعدادِ القوانينِ وهيئاتِ المراقبةِ والمحاكمِ المختلفة، ووضعِ برامجَ خاصةٍ للنساءِ لضحايا العنف الجنسي، ومحاسبةِ مرتكبي هذهِ الجرائمِ من جميعِ أطرافِ النزاع. وعندما نعملُ ونضغطُ باتجاهِ هذهِ المشاركة، فهي تتلخَّصُ بإحداث تغييرٍ مؤثرٍ على صعيدِ احترامِ التشاركيةِ باتخاذِ القرار، للحدِّ من العنفِ السلطويِّ والدموي، الذي جَسَّدَ ذُكوريةً فظةً قائمةً على التسلطِ والثأرِ والاستعبادِ للمجتمع السوري".

"رفعُ الدعاوى القضائيةِ والمحاسبة: تُعدُّ العدالةُ الجنائيةُ فعلاً مواجهاً مباشراً لمرتكبي الانتهاكاتِ واسعةِ النطاق، وشرطُها الازمُ ألا تكونَ انتقائيةً أو انتقاميةً، بل تهدفُ من خلالها إقامةَ الدعوى و التحقيقات، واتخاذَ الإجراءاتِ القضائيةِ ضدَّ مرتكبي جرائمِ الحربِ والجرائمِ ضدَّ الإنسانية، منَ القياداتِ والأفرادِ من جميعِ أطرافِ النزاع، من مرتكبي الانتهاكاتِ. ومحاكمةُ ومحاسبةُ الجُناةِ مَطلَبٌ أساسيٌّ للضحايا وعوائلِهم لإنصافهم، ومطلبٌ عامٌّ يؤسسُ لصياغةِ سلامٍ مستدامٍ في سوريا". من الآلياتِ التي ذكَرَتْها أليسُ أيضاً والتي يمكنُ قراءَتَها والرجوعَ لتفصيلاتِها في الورقةِ البحثية: جبرُ الضرر- الكشفُ عنِ الحقيقة-ضماناتُ عدمِ التكرار-

إلغاءُ المحاكمِ الاستثنائية- الإصلاحُ المؤسساتيُّ، الإطارُ المتعلقُ بالمؤسسةِ الأمنية".

تبَنَّتِ الجمعيةُ العامةُ للأممِ المتحدةِ بتاريخ 23- حزيران-2023، قراراً44 بإنشاءِ مؤسسةٍ دوليةٍ جديدةٍ لاستجلاءِ مصيرِ المفقودينَ والمغيبينَ قسراً في سوريا وأماكنَ وجودِهم وتقديمِ الدعمِ للضحايا وأُسرهم حَمَلَ الرقم A/77/L.79.

ومن ضمنِ القرارات:

أن تُنشَأَ المؤسسةُ تحتَ رعايةِ الأممِ المتحدة، لتوضيحِ مصيرِ جميعِ المفقودينَ سوريا، وتقديمِ الدعمِ إلى الضحايا والناجينَ وأُسرِ المفقودينَ بالتعاونِ الوثيقِ والتكامُلِ مع جميعِ الجهاتِ الفاعلةِ المعنية.

أن يكونَ للمؤسسةِ المستقلةِ عنصراً هيكلياً يضمنُ مشاركةَ الضحايا والناجينَ وأُسرَ المفقودينَ وتمثيلَهم بشكلٍ كاملٍ ومُجْدٍ في تشغيلِها وعملِها، وأن تعملَ معَ المنظماتِ النسائيةِ ومنظماتِ المجتمعِ المدني الأخرى بطريقةٍ منتظَمةٍ ومُستمرَّة

وعنِ القرارِ وتفاصيلِهِ وأهميتِهِ، ومدى فاعليةِ المؤسسةِ الجديدةِ

في حَلِّ ملفِّ قضيةِ المعتقلاتِ/ينَ والمخفياتِ/ينَ قسراً في سوريا، تواصَلْنَا مع السيدةِ أليس مفرج، وحدَّثْنَا عن ثلاثِ نقاطٍ هامة، إضافةً لتوقُّعاتِها عن هذهِ المؤسسةِ بحلِّ قضيةِ المعتقلاتِ/ينَ في سوريا.

" النقطةُ الأولى، هذا القرارُ صدرَ من الجمعيةِ العامة، وأعطى الأمينُ العامُّ للأممِ المتحدةِ مهلةَ مئةِ يومٍ ليكونَ هناكَ مشاوراتٌ معَ المجتمعِ المدنيِّ السوريِّ لوضعِ خطةِ اختصاصاتِ المؤسسةِ الدولية ، وعليهِ فإننَا ما نزال نؤكدُ على أن يشاركَ في التخطيطِ والتنفيذِ والمراقبةِ في هذه المؤسسةِ روابطُ الضحايا وأسرُهُم، بمعنى أن يكونوا فاعليْنَ في هذهِ المؤسسةِ ولا يقتصرَ دورَهُم على الاستشاري".

في النقطةِ الثانية، ترى أليسُ أنَّ هذهِ المؤسسةُ قدْ تلعبُ دوراً هاماً جداً في تشكيلِ بنكِ معلوماتٍ أو قاعدةِ بياناتٍ واحدة، تجمعُ فيها كلَّ جُهودِ الجهاتِ أو المنظماتِ أو المؤسسات، التي تعملُ على توثيقِ أسماءِ المعتقلات/ين والمخفيات/ين قسراً أو أسماءِ السوريات/ين الذينَ فُقِدوا خلالَ رِحلاتِ اللجوءِ أو في القصفِ أو غيرها في النزاعِ السوري: " هذهِ الآليةُ مهمةٌ جداً لتوحيدِ جهودِ كلِّ المنظماتِ أوِ المؤسساتِ السوريةِ العاملةِ على توثيقِ أسماءِ المعتقلينَ والمخفيينَ قسراً أو أولئك الذين فُقِدوا في البحرِ أو اختفوا بسببِ القصف... فيمكنُ لهذهِ المؤسسةِ أن تعقدَ شَراكاتٍ مع تلكِ الجهاتِ السورية، لتكونَ بمثابةِ بنكِ معلوماتٍ مركزي،

أو قاعدةِ بياناتٍ جامعةٍ لكلِّ عملِ هذهِ الجهات، الأمرُ الذي سيسهِّلُ الوصولَ إلى أسماءِ من تمَّ توثيقُهُم منَ المعتقلينَ والمخفيينَ والمفقودينَ في سوريا من مصدرٍ واحدٍ فقط".

حدَّثَتْنَا أليسُ في النقطةِ الثالثةِ عن مخاوِفِها بأنْ تكونَ هذهِ الآليةِ " بلا أسنان" كما وصفَتْها، وتشرحُ سببَ مخاوِفِها: " إذا لم يوافقِ النظامُ على التعاملِ مع الآليةِ ويمهدْ لتحقيقِ آلياتٍ للتعاون، وفَتْحَ السجونِ لها والوصولِ للأدلةِ للكشفِ عن مصيرِ المعتقلينَ ومنَحَها الوثائقَ الرسميةَ المتعلقةَ بهم، وإنْ قامَ بتزويرِها ليَنفِيَ تهمةَ تصفيَتِهِم تحتَ التعذيب، وهذا ينطبقُ على بقيةِ أطرافِ النزاعِ المتورطةِ بالانتهاكات، فستكونُ آليةً بلا أسنانٍ وستتحولُ لبنكِ تجميعِ معلوماتٍ مثلَ **الآليةَ المستقلةِ45** المحايدةِ آليةَ **(تربل أي أم - IIIM)" 46**

توضيحٌ عن آليةِ (IIIM):

اسمها " الآليةُ الدوليةُ المحايدةُ والمستقلة-
International Impartial and Independent Mechanism

"في 21 كانون الأول/ديسمبر 2016، اعتمدَتِ الجمعيةُ العامّةُ للأممِ المتحدةِ القرارَ 248/71/A، الذي ينصُّ على إنشاءِ آليةٍ دوليةٍ محايدةٍ مستقلّةٍ للمساعدةِ في التحقيقِ والملاحقةِ القضائيةِ للأشخاصِ المسؤولينَ عنِ الجرائمِ الأشدِّ خطورةً

وفقَ تصنيفِ القانونِ الدوليِّ المُرتَكَبةِ في الجمهورية العربية السورية منذُ آذارَ/مارس 2011. ويشارُ إليها على نحوٍ أكثرَ شيوعاً باسم '' الآلية'' ".

وافتراضُ أليسَ عدمَ تعاونِ النظامِ السوري ليس عبثيًّاً، إذ تقول: " طلبَتِ المفوضيةُ السّاميةُ من النظامِ ومن هيئةِ التفاوضِ السورية أن يُقدِّمَ كلاً منهما تصوراً عن عملِ المؤسسةِ الجديدة. نحنُ كهيئةٍ قدَّمْنَا تصوُّرَنَا، وأَصريْنَا أن تكونَ هذهِ المؤسسةُ آليةً إنسانية، أما النظامُ السوريُّ لم يُقَدمْ أيَّ تصوُّرٍ وقالَ أنهُ لم تتم مشاورَتُه بإنشاءِ هذهِ المؤسسة، مضيفاً بأنها مُسَيَّسَةٌ وضدَّ سيادةِ سوريا".

وتشرحُ أليسُ لَنَا سببَ إصرارِ هيئةِ التفاوضِ على أنْ تكونَ هذهِ المؤسسةُ أوِ الآليةُ إنسانيةً: " السببُ في إصرارنا أن تكون هذه المؤسسةُ أو الآلية إنسانيةً هو معرفَتُنَا بأنَّ المجتمعَ الدوليَّ لن يتبنَّى آليةً أُخرى للمحاسبةِ بوجودِ " أليةِ IIIM" التي تقومُ بدورِ المحاسبة. دورُ هذهِ المؤسسةِ هوَ البحثُ عنِ التوثيقِ ومحاولةُ الكشفِ عن مصيرِ المعتقلينَ والمفقودين، وبالتالي سَتَجمعُ الكثيرَ من الأدلَّةِ التي تُثبِتُ إجرامَ النظامِ وبقيةِ أطرافِ النزاع ِالأخرى، سيتمُّ تثبيتُ هذه الأدلةِ لدى آليةِ " IIIM" المسؤولةِ عنِ المحاسبةِ لاحقاً، وبالتالي في حالِ تمَّ تحويلُ الملفِّ السوريِّ للمحكمةِ الجنائيةِ الدولية-هذا الملفُ المقيَّدُ بالفيتو الروسي-فسوفَ تُستخدمُ هذهِ الأدلة" وتُتَابع أليس:

" إذن هي مؤسسةٌ إنسانية، لأنَّ الحقَّ في معرفةِ الحقيقةِ هو حقٌّ أصيلٌ لحِفظِ كرامةِ الضحايا".

وتضيفُ أليس: " لابدَّ أن تكونَ هذهِ المؤسسةُ إنسانيةً، لأنَّ بندَ ملفِّ المعتقلينَ والمخفيينَ قسراً هو بندٌ فوقَ التفاوضِ، ونحنُ نعلمُ بأننَا إذا جَعَلْنا هذه المؤسسةَ الجديدةَ آليةً للمحاسبةِ فإنَّ النظامَ سيرفُضُها ولنْ يتعاونَ معها".

وتُوَضِّحُ أليسُ سبباً آخَر لتكونَ هذه الآليةُ أوِ المؤسسةُ إنسانية: " نحنُ لا نريدُ الكشفَ عن مصيرِ المعتقلينَ والمفقودينَ لدى النظامِ فقط، بل أيضاً الكشفُ عن مصيرِ الأشخاصِ المختطفينَ من قِبَلِ باقي أطرافِ النزاعِ الأُخرى في سوريا، إذن نحن لا نريدُ محاسبةَ النظامِ فقط بل جميعَ الأطرافِ التي ارتكبَتْ جريمةَ الاعتقالِ والإخفاءِ القسري".

عن توقُّعاتِ أليس منَ المؤسسةِ الجديدة: " نحنُ لن نرفَعَ سقفَ توقُّعاتِنا بأنْ تُنجزَ على المدى القريب، فعملُها سيستغرقُ سنواتٍ وعلى الرّغمِ من ذلكَ لا يمكنُ التّقليلُ من الجهودِ التي عُمِلَتْ وضَغَطَتْ للوصولِ للقرارِ من جميعِ المساراتِ السوريةِ وعلى وجهِ الخصوصِ روابطُ الضحايا. وكونُها إنسانيةٌ لا يعني أن عَمَلَها سيُسقطُ مسار المساءَلةِ والمحاسبةِ لابل سيتمُّ البناءُ عليها بشكلٍ أساسيٍّ في عمليةِ المحاسبة".

وتَختمُ أليس : " لا يجبُ أن يتوقفَ العملُ من أجلِ قضيةِ المعتقلين/ت، وإيجادِ حلٍ جذريٍّ وشاملٍ من خلالِ الضغطِ المستمرِّ للكشفِ عن مصير وإنقاذِ حَيَواتِ من تبقَّى منهم على قيدِ الحياة، وآلياتٍ بعيدةِ المدى باستراتيجيةِ عملٍ تتعلقُ بتحقيقِ معاييرِ البيئةِ الآمنةِ والمحايدةِ في عمليةِ الانتقالِ السياسي"

أليس مفرج

ملخصُ السردية

بعدَ عامِ 2011 برزَتْ أداةُ الاعتقالِ كواحدةٍ منْ أقسى أشكالِ القمعِ التي استخدمَها النظامُ السوريُّ ضدَّ الحراكِ الشعبيِّ في سوريا، وفَعَّلَها إلى أقسى درجاتِها، حتى وصلَ الأمرُ إلى اعتقالاتٍ عشوائيةٍ طالتْ أشخاصاً لم يُسجلْ لديْهم أيُّ نشاطٍ ثوريٍّ أو تَوَجهٍ سياسيٍّ معارضٍ. وهذا لا يعني أبداً بأنَّ أداةَ الاعتقالِ كانت عشوائيةً أو غيرَ ممنهجةٍ ومدروسةٍ، بل هيَ من أكثرِ أدواتِه فعاليةً في دبِّ الرعبِ في نفوسِ السوریاتِ/ينَ. النظام الذي زجَّهم في سجونٍ ومعتقلاتٍ تحتَ أنواعٍ مختلفةٍ من التعذيب، التي هي بدورها أيضاً كانت ممنهجةً ومدروسةً.

" على فكرة كل تصرف عندهم، كل كلمة، كل حرف، كل فعل مدروس، الوسخ إللي موجود مدروس، كل شيء، يعني ما في شيء عن عبث، فتحت باب الزنزانة ما ممكن تنسيها، لقمة الأكل الصغيرة كثير عندهم مدروسة وإلها سبب" أم عمر، ناجية من الاعتقال.

لعلَّ الكِذبةَ الأكبرَ في سرديةِ الاعتقالِ بل حتى في سرديةِ الثورةِ السورية، بأنَّ كلَّ المعارضاتِ/ينَ للنظامِ السوريِّ هم من خلفياتٍ إسلاميةٍ متطرفةٍ، وبأن النظامَ اعتَقلَ الإرهابياتِ/ينَ والمخرِّباتِ/ينَ، والحقيقةُ بأنَّ الاعتقالَ طالَ أشخاصاً من أيديولوجياتٍ مختلفةٍ ومن جميعِ أطيافِ الشعبِ السوريِّ وانتماءاتِهم العرقيةِ والدينيةِ والإثنية. زجَّ النظامُ السوريُّ في معتقلاتِه المعارضاتِ/ين السلمياتِ/ين

وأصحابَ الرأيِ السياسيِّ المخالفِ لسياستِه وحُكمِه. لم يقبلِ النظامُ بأيِّ رأيٍّ أو حراكٍ سلميٍّ أو اعتراضٍ أو حتى مطالباتٍ إصلاحيةٍ قانونيةٍ كانت أم سياسيةٍ أو وجودِ أحزابٍ معارضةٍ في منظومتِه الشموليةِ والدكتاتورية.

في لقاءاتنا التي أجريناها ما يُثبتُ صحةَ الكلام، فرويدةُ كنعان، ناجيةٌ من الاعتقالِ وهي منَ النساءِ الفاعلاتِ اليومَ على الساحةِ السياسية، ومدافعةٌ عن حقوقِ النساءِ ومناهضةٌ للعنفِ ضدهنَّ بكلِّ أشكالِه، وتنتمي للحركةِ[47] السياسيةِ النسويةِ السورية، حيثُ تَشْغَلُ فيها عضوةً في أمانتِها العامة، ورويدةُ مارسَتْ نشاطاً سياسياً معارضاً للنظامِ خلالَ الحراكِ الثوريِّ في سوريا.

"مشاركتي السياسية الأولى المنظمة كعضوةٍ في حركة سياسية تدعى (حركةُ معاً من أجلِ سوريا حرّة ديمقراطية)، وهي حركةٌ تسعى إلى إسقاطِ النظامِ من خلالِ الاحتجاجِ السلمي، وترفضُ كلَّ أشكالِ العنفِ والتحريضِ الطائفي. وتهدُفُ إلى إقامةِ دولةٍ ديمقراطيةٍ علمانيةٍ حرةٍ، وإرساءِ الوحدةِ الوطنيةِ من خلالِ مجتمعٍ مدنيٍّ موحَّد" من مقابلةٍ[48] مع رويدةَ كنعان.

أليسُ مفرج، التي قابلْناها في سرديتِنا هذه، معارضةٌ قديمةٌ لنظامِ الأسدِ الأبِ ومن بعدِه الابن، تنتمي لحزبِ العملِ الشيوعيِّ، وقدِ اعتقلَتْ مرتينِ خلالَ الثورةِ السورية.

" أنا ابنةُ حزبِ العملِ الشيوعيِّ المعارضِ تاريخياً، ومن وسَطِه الاجتماعي ومثقّفيه، من النُّخبةِ الواعيةِ نساءً ورجالاً، دفعتُ ضريبةَ الاعتقالِ والملاحقةِ لسنواتٍ طويلة" من مقابلةٍ49 لأليسَ مفرج .

أيضاً جهادُ أسعد محمد، الذي كان لنا لقاءٌ مع زوجتِه، صحفي، ومعتقلُ رأي، كان سكرتيرَ تحريرٍ في صحيفةِ50 قاسيونَ التابعةِ لحزبِ الإرادةِ الشعبية، وهو حزبٌ51 تعودُ جذورُه إلى الحزبِ الشيوعيِّ السوريِّ الذي تأسسَ في عامَ 1924. واعتُقلَ جهادُ فقط لآرائِه المعارضةِ للنظامِ وخروجِه في مظاهراتٍ سلميةٍ مناهضةٍ للحكم، وكتابتِه لمقالاتٍ بعدَ عامِ 2011 معارضةً لممارساتِ النظام.

"زعج النظام وقوف جهاد الشيوعي واليساري مع المحتجين السلميين، لأنه النظام صار يطلق إشاعات عليهم إنهم اسلاميين طائفيين ومتطرفين، فحاول جهاد إنه يحكي لأ، إنه هذا حراك شعبي سوري ويضم جميع أطياف وفئات الشعب السوري، جميع توجهات الشعب السوري، جميع الأيديولوجيات المعارضة لنظام الحكم في سوريا " أملُ السلامات، زوجةُ جهاد.

لا يوجدُ لديْنا إحصائياتٌ دقيقةٌ عن أكثرِ الشرائحِ العمريةِ التي تعرَّضَتْ للاعتقال، ولكن يعدُّ المجتمعُ السوريُّ منِ المجتمعاتِ الفتيةِ والشابة، وبقراءةٍ سريعةٍ لتطورِ الأحداثِ في سوريا منَ الحراكِ السلميِّ إلى العنفِ المسلح،

نجدُ أن شريحةَ الشبابِ كانتِ الأكثرَ مشاركةً في تطوراتِ الوضعِ السوريِّ بعدَ عامِ 2011. وفي جانبِ الاعتقالِ يُعتقدُ بأن الشاباتِ والشبابَ هن/م كانوا أكثرَ شريحةٍ عُمْريةٍ تعرضَتْ للاعتقالِ والإخفاءِ القسري. تلكَ الشريحةُ دَمَّرَ الاعتقالُ حياتَها العلميةَ والعمليةَ، وحطمَ طموحاتِها وأحلامَها.

من خلالِ مقابلَتِنا سواءٌ مع الناجياتِ أو مع أهالي المعتقلين، التمسْنا كم هَدَمَ الاعتقالُ حيواتِ الشاباتِ والشبابِ وغَيَّرَ مَصائِرَهم نحو الأسوأ.

""كان عماد شاب مهذب وخلوق وطموح، يحلم بأن يعمل في مجال الصحافة، وضع خططاً لتعلم اللغة الإنكليزية كي يتمكن من كتابة مقالات باللغة الإنكليزية، كان يحلم بإتمام دراسته في أوربا. رفض عماد الذهاب إلى الخدمة العسكرية ليس خوفاً، بل لأنه كان يرفض فكرة حمل السلاح بوجه أبناء بلده "بسمة الرفاعي، من أهالي المعتقلين.

"ترك الجيش هو قال أنا ما بدي أرجع، أنا بفضل إني أموت ولا إني أقتل حدا. وانضم للثوار يعني بس ما مشان بده يقتل حدا، انضم للثوار مشان بس يزيح الأذى عننا، لأن نحنا كنا بحمص كثير عم نتعرض لهجمات شرسة من النظام. وبعدين تحاصروا هو ورفقاته بحمص القديمة، كان بيناتهم ساروت،

وكان بيناتهن كثيرين شباب، من شباب الثورة "أم رفيق، من أهالي المعتقلين.

يُرهبُ الاعتقالُ جميعَ السورياتِ/ينَ، وهم يفضلونَ الموتَ عليه! يتمنى أهالي المعتقلينَ أحياناً أن يموتَ أبنائُهم وألا يتعرضوا للتعذيبِ في المعتقلاتِ السورية.

"طبعاً وقت إللي إجاني خبر الاعتقال، يعني كان لو إنه خبر موت أو خبر يعني إنه استشهاد بمعركة أو بمواجهة أو هيك كان أهون بمليون مرة من إنه أبني يوقع بين إيدين هدول المجرمين، يعني كلياتنا منعرف مدى العذاب اللي بيعذبوه للمعتقل، كلياتنا منعرف" أم رفيق، والدةُ معتقل.

اعتقلَ النظامُ السوريُّ عشراتِ الآلافِ منَ السوريات/ين بشكلٍ تعسفي[52]، فاعتقلَ أشخاصاً لأنهم ينحدرونَ من مناطقَ شهدَتْ احتجاجاتٍ ضده، زجَّ الكثيرَ في السجونِ بسببِ تقاريرٍ كيديةٍ أو إفساديات، وخلالَ مداهماتِ الجيشِ والأمنِ للمناطقِ الثائرةِ فَعَّلَ أداةَ الاعتقالِ بشكلٍ عشوائي، كما أخفَى واعتقلَ الآلافَ أثناءَ مرورهِم على حواجزِ النظامِ بأشكالِها المختلفة، وكثيراً ما أعتقَل النظامُ أهالي المطلوبينَ ليكونوا ورقةَ ضغطٍ من أجلِ أن يُسلِّمَ المطلوبونَ أنفسَهم.

"واللّٰه بدون شي هيك بكون عم يجيب خبز

ربط البسكليت بالخشبة وفات يجيب خبز من الفرن. طلبته مرته ما لقته، دقت لمرت محمد ما رجع؟ وين راح، قالتلا راح يجيب الخبزات ما رجع قدام الفرن الآلي بالشام. أخدولي إياه، عم يجيب خبز ليش؟ لإنه لحيته طويلة عينيه زرق ووجهه أشقر كله ما يبين، أخذوه ليه هيك لأنه ذقنه طويلة، وبجوز لأنه هويته من إدلب" رسمية (أم عبدو) ، والدةُ معتقل.

" سببُ اعتقالي هو لأكونَ ورقَةَ ضغطٍ على أخي من أجلِ تسليمِ نفسهِ للنظام" رفيدةُ زيتون، ناجيةٌ من الاعتقال.

وعلى فَرَضِ واعتبارِ أنَّ النظامَ اعتقلَ الآلافَ لأسبابٍ وآراءٍ سياسيةٍ مُعارضةٍ له، أو بسببِ انخراطِهم في نشاطٍ أو عملٍ ثوري، فإن النظامَ لا يتَّبعُ في عمليةِ الاعتقالِ أياً من المعاييرِ الدوليةِ وقوانينِ حقوقِ الإنسانِ الدولية، وعلاوةً على ذلكَ يعملُ النظامُ على إخفاءِ أماكنِهم وإنكارِ وجودِهم في أغلبِ الأحيان، ويحتجزُهم في شروطٍ وظروفٍ لا إنسانيةٍ، ولا يُقْدِمُ على محاكمتِهم في محاكمَ علنيةٍ، بل سُجِّلَ على النظامِ السوريِ قَتْلُ الآلافِ ودفنِهم في مقابرَ جماعيةٍ مجهولةِ المكانِ والزمان.

"يحظرُ القانونُ الدوليُّ حالاتِ الاعتقالِ والاحتجازِ التي لا يُعترَفُ بها. والدولُ مسؤولةٌ عن كافةِ الأشخاصِ الذينَ تحتجزُهم. ويجبُ- بوجهٍ خاصّ -

أن تكونَ المعلوماتُ المتعلقةُ بتاريخِ وزمانِ ومكانِ الاحتجازِ جميعَها متاحةً للأسرِ وللمحامينَ وللسلطاتِ القضائيةِ المختصَّةِ وغيرِها من السلطاتِ في جميعِ الأوقاتِ ضمنَ سجلاتٍ رسميةٍ لا ينبغي أن يتطرقَ الشكُّ لدقتِها. وحالاتُ الاختفاءِ غيرِ الطوعي أو القسريِّ وحالاتُ الاحتجازِ غير المعترَفِ بها تُشكلُ انتهاكاتٍ خطيرةً بوجهٍ خاصٍّ لحقوقِ الإنسانِ الأساسية، بما في ذلكَ الحقُّ في الحريةِ والأمانِ على الشخص» الفصلُ الخامسُ53- حقوقُ الإنسانِ والاعتقالِ والاحتجازِ السابقِ للمحاكمةِ والاحتجازِ الإداري.

لا يَعرف أهالي المعتقلاتِ/ينَ أسبابَ الاعتقالِ أو أماكنَ تَواجدِ أبنائِهم، ولا إن كانوا أحياءً أم أمواتاً. وأبعدُ من ذلك يُدخِلُ النظامُ الأهالي في متاهاتٍ ودواماتٍ من البحثِ عن أبنائِهم وذويهم دونَ نتيجة.

«طبعاً كثير حاولنا عن طريق الائتلاف، عن طريق المجالس يعني الأحزاب خلينا نقول مجلس التركماني، عن طريق يعني هلق ما عم بتذكر طبعاً في عدة جهات، يعني بعثنا الأسماء مشان البحث عنهم، وبعتنا للقيادة الجيش الحر بهديك الأيام مشان موضوع تبادل الأسرى بلكي، ما أخذنا نتيجة وحتى بعتنا الأسماء مع أحد المشاركين ضمن الوفد إللي زار جنيف. شو كانت المناسبة هلق ما عم بتذكر، هذا الحكي أكثر من 5-6 سنوات كمان بعتنا الأسماء ما أخذنا نتائج صراحة» عبدُ القادرِ جيك، أخُ معتقل.

ويتعرضُ الأهالي بسببِ بحثِهمُ المحمومِ للاحتيالِ الماديِّ وللتهديدِ أيضاً بالاعتقال، إضافةً لدخولِهم في حالاتِ اليأسِ والقنوطِ منَ الوصولِ إلى خبرٍ بسيطٍ عن أبنائِهم وأحبتِهم. يمكنُ القولُ أنَّ الاعتقالَ في سوريا تَحولَ إلى تجارةٍ، المستفيدُ الأولُ منها النظام.

" وبعدَ أسبوعٍ أخبرَنا الشاب، بأن ابني لا يزالُ على قيدِ الحياةِ في أحدِ معتقلاتِ النظام، وأكَّدَ لنا وبعدَ تلكَ السنينِ أنه بإمكانِنا مساعدةُ ابني بالخروجِ من المعتقلِ بعدَ دفعِ مبلغٍ ماليٍّ يقاربُ سبعين مليون ليرةٍ سورية. لم أفكرْ بأيِّ شيءٍ سوى بأنني أريدُ مشاهدةَ ابني أمامَ عينَيّ، لم يكن لديَّ المال، فاضطُرِرتُ للطلب من ابنتي المتزوجة أن تبيعَ قطعةَ أرضٍ كانت قدِ اشترتْها لبناءِ بيتٍ لها، من أجلِ تأمينِ المبلغِ للشابِ بأسرعَ وقتٍ ممكن، ولكن ما حدثَ بعد فترةٍ تجاوزَتِ الشهرين لم يصلْنا أيُّ خبرٍ منَ الشاب، وخلالَ تلكَ الفترةِ بدأَتْ تسري إشاعاتٌ عن حالاتِ نصبٍ واحتيالٍ قامَ بها ذلك الشاب، وعن مبالغَ أخذها من أهالي معتقلين وصلَت قيمتُها إلى المليارِ ليرة سورية، وأصعبُ تلك الإشاعاتِ كانَ إشاعةً عن سفرهِ المفاجئِ إلى تركيا "أبو محمدَ والدُ معتقل.

أقسى أنواعِ التعذيبِ وشروطٍ لا إنسانيةٍ يعيشُها المعتقلات/ين في سجونِ النظامِ السوري، حيثُ لا هواءٌ ولا شمسٌ، وزنازينٌ تفوحُ منها روائحُ الدمِ والتعذيب. في سرديتِنَا وَصَفَتِ الناجياتُ حالةَ المنفرداتِ والزنازينِ والمعتقلات،

إضافةً لتعرضِهن للكلامِ الجارحِ والقذرِ والمُهين، كما تعرضَتْ بعضُهن للتهديدِ بالاغتصابِ أو التلويح به.

" حُبستُ في منفردةٍ، طولُها 9 بلاطاتٍ و4 بلاطاتٍ عرضُها، مظلمةٌ، رطبةٌ، لا ضوءٌ فيها، ولا شمسٌ تدخلُها" وفاءُ نجيب ناجيةٌ من الاعتقال.

" أنا بتذكر لحد الآن كانت عيوني مطمشة، ومكلبشة لورا من إجري وإيدي، وبلش حدا يحكي كلام بذيء جداً جداً جداً جداً، ويضربني يضربني كفوف، يعني كف رايح كف جاي لدرجة أنا خلاص فقدت توازني ووقعت على الأرض، بس بدو مني إني أصرخ، فأنا ما كنت أصرخ وأنا عم أكل الكفوف" وتضيف: " بعدين جابو عصاية أو كرباج أو شي يعني، وبلشوا يضربو فيني برجلي مشان إسه يوقعوني على الأرض أكثر، أنا وقعت وجلسوني في حدا كان ماسكني، طبعا أنا مكلبشة ماني شايفة يعني، بعدين شاله عن عيوني وبلش الكف كمان يضرب ويحكي، و الكلام البذيء متل ما عم قلك. وبعدين نزلوني، قال للمحقق ما عم تصرخ ما عم تتألم، لهيك حطوني بالدولاب وأنا أيدي مكلبشة -أنا لحد الآن في علامات بإيدي يعني كان ممكن ينقطع الوريد- بالدولاب بلشوا يضربوا على رجلي على راسي وين ما يضربوا، يضربوا ما يقصروا نهائيا، ويحكوا الكلام البذيء "أمُّ عمرَ، ناجيةٌ من الاعتقال.

" خلال احتجازي واعتقالي لم أتعرض لعنف جسدي، ولكن عشت ضغوط نفسية قاسية، تعرضنا لتهديدات غير مباشرة بالاغتصاب، فمثلا كنت مع 19 فتاة في فرع الخطيب محتجزات لصفقات تبادل، عندما كنا نضرب عن الطعام كان يقول لنا السجان (يلي شرفها رخيص عليها لا تاكل). صعبة الزنازين، صراصير وجرذان وقذارة، وروائح الدم والجثث تعبق في المكان. الخوف والقلق من المصير المجهول وحده كان يحيط بنا" رفيدةُ زيتون، ناجيةٌ من الاعتقال.

تَركَ الاعتقالُ آثاراً نفسيةً وجسديةً صعبةً على الناجياتِ وعلى أهالي المعتقلين، تَمثَّلَتْ في اضطراباتٍ نفسيةٍ وأمراضٍ جسديةٍ ذاتِ منشأٍ نفسيٍّ وعصبيٍّ، أو بسببِ التعرضِ للتعذيبِ وللضربِ في السجون، وتحولَتْ بعضُ تلكَ الأمراضِ إلى أمراضٍ مستعصيةٍ ودائمةٍ يَصعُبُ علاجُها وتَلافيها.

"بعدَ وصولي إلى تركيا، تناولتُ الأدويةَ النفسية، عانيتُ فترةً من نوباتِ الصرع، تَطورَ وتَفاقمَ وجعُ الديسك ليصبحَ آلاماً مُبرِّحةً تمتدُ لرقبتي وذراعي، لدرجةِ أنني لم أكنْ قادرةً على تقشيرِ تفاحةٍ" عبيرُ، ناجيةٌ من الاعتقال.

أَوجدَ الفقدُ والإخفاءُ القسريُّ ظروفاً اقتصاديةً واجتماعيةً وقانونيةً قاسيةً على الناجياتِ وعلى أهالي المعتقلين، من قبيلِ الحرمانِ من حياةٍ معيشيةٍ لائقةٍ،

فتَـركَ أطفـالُ المعتقليـنَ الدراسـةَ والتعليـمَ بحثـاً عـنِ العمـل، أصبحَـتْ زوجـاتُ المعتقليـنَ معيـلاتٍ لأسـرهن، بالإضافـةِ لمواجهتِهـن لنظـراتٍ مجتمعيـةٍ يشـوبُها الشـكُّ والظنـونُ واتهامـاتٌ لا منطقيـة.

" رفضت أي مال أو صدقة عُرضت علي، فأنا لم أعتَدِ الصدقات. عملتُ في الزراعة كقطافِ الزيتون، كما اضطر أطفالي إلى مغادرةِ المدرسـةِ ليسـاعدوني فـي مصـروفِ البيـت، إذ امتَهَـنَ كلٌّ منهـم مهنـةً صعبـةً، ولكـن أنقذَتْنـا الحاجـةَ إلـى النـاس "أم ياسـر، زوجـة معتقـل.

لايـزال الأهالـي يشـعرونَ بالرعـبِ مـن الاعتقـال، حتـى وإن كانـوا خـارجَ سـوريا! يخافـونَ ذكـرَ أسـمائِهمُ الصريحـة، ربمـا يعـودُ ذلـك إلـى تشـرُّبِ السـوريات/ين فكـرةَ أن مخابـراتِ النظـامِ السـوريُّ أخطبـوطٌ قـادرٌ على الوصـولِ إليـك أينما كنت، ومن ناحيـةٍ ثانيـةٍ يعلمُ كلُّ السـوريات/ين أن عقوبـةَ النظـامِ السـوريِ لشـخصٍ معـارضٍ لـه لا تطالُـه فقـط، بـل تطـالُ أهلَـه وأقاربَـه وأصدقائَـه وكلَّ المحيـطِ حولَـه. وهـذا مـا لمسْـناهُ فـي مقابلاتِنـا معَ الناجيـاتِ أو مـع أهالـي المعتقليـن، إذ طلـبَ عـددٌ منهـم ألا تُذكـرَ أسماؤُهمُ الصريحـةُ لخوفِهـم على ذويهـم فـي داخـلِ سـوريا، وخوفِهـم علـى أنفسِـهم رغـمَ أنهـم فـي تركيـا!

لـدى أهـلِ المعتقليـنَ يـأسٌ من رؤيـةِ أبنائِهم مرةً ثانيـةً، وبات أغلبُهم لا يؤمـنُ بالمجتمـعِ الدولـيِّ ولا بقراراتِـه أو آلياتِـه التـي صـدرَتْ بالعشـراتِ على طـولِ فتـرةِ النـزاعِ فـي سـوريا،

هم يخافونَ أن يُصَفيَّ النظامُ السوريُّ كلَّ المعتقلينَ في سجونِه، فتضيعُ الحقيقةُ ولا يأتي يومُ المحاسبة، ويصبحُ المعتقلات/ين مجردَ أرقامٍ نستذكرُها.

"لدي مأخذٌ كبيرٌ على أجهزةِ الأممِ المتحدةِ والآلياتِ التي تقدمُها في مجالِ ملفِّ وقضيةِ المعتقلينَ في سوريا، كلَّ يومٍ آليةٌ ومقرراتٌ وتفرعاتٌ للقراراتِ واجتماعاتٌ وأموالٌ تصرف... وحتى اللحظةَ لم نسمعْ أو نشاهدْ معتقلاً واحداً خرجَ من سجونِ النظامِ أو كُشفَ عن مصيرِه وِفقَ هذه الآلياتِ والقرارات. من وجهةِ نظري 99 % من الشعبِ السوريِّ فاقدٌ للأملِ والثقةِ بكل ما تقومُ به الأممُ المتحدةُ في ملفِّ المعتقلينَ السوريين. أخاف، نعم أخافُ أن يأتيَ يومٌ لا يبقى فيهِ معتقلٌ على قيدِ الحياةِ في سجونِ النظام، وتصبحَ كلُّ الملفاتِ والتوثيقاتِ التي عملْنَا عليها طوالَ فترةِ هذه السنواتِ بلا فائدةٍ أو قيمة. ونستذكرُ الأرقام فقط ، كأن نقولَ كان في سجونِ النظامِ 500 خمسمئةِ ألفِ معتقل. أتمنى ألا يحصلَ هذا، ولكن إذا بقيَ التعاملُ الدوليُّ مع ملفِّ المعتقلينَ والمخفيينَ قسراً بهذا الشكل فمنَ الواردِ جداً أن تتحققَ مخاوفي" بسمةُ الرفاعي، أخت معتقل.

الجميعُ (الناجيات وأهالي المعتقلين) يريدُ معرفةَ الحقيقةِ وتحقيقَ العدالةِ والكشفَ عن مصيرِ المعتقلاتِ/ين في سجونِ النظام، يحاولونَ أن يرسموا حلولاً وتَصوُّراتٍ نابعةٍ من عمقِ معاناتِهم. يأتي الكشفُ عن مصيرِ المعتقلينَ

كحاجةٍ أوليةٍ لهم في حلِّ ملفِّ المعتقلين،هم باتوا يعلمونَ أن لاحولَ لهم ولا قوة، وحتى منظماتُ المجتمعِ المدنيِّ غيرُ قادرةٍ على مساعدتِهم في الكشفِ عن مصيرِ أبنائِهم، فيلجؤونَ راجينَ آملينَ بأن تضغطَ الأممُ المتحدةُ على رأسِ النظامِ السوريِّ ليصلوا حالياً إلى مصيرِ أبنائِهمُ المعتقلينَ والمغيبينَ قسراً، وبعضُهم يرى أن الحلَّ ممكنٌ من خلالِ مساهمةِ عددٍ من الدولِ الفاعلةِ في الملفِّ السوريّ.

"ملف المفقودينَ كغيرِه من الملفاتِ الكثيرةِ في القضيةِ السورية، لا يُحلُّ إلا بإجبارِ النظامِ على ذلكَ من خلالِ قرارٍ دوليٍّ مُلزِمٍ، وجعلِ هذا المَطلبِ على رأسِ المَطالبِ التي تتبناها قِوى المعارضةِ السورية، كما يمكنُ أن يكونَ دورُ السوريين في الخارجِ مفيداً من خلالِ تحريكِ الرأيِ العامِّ في الدولِ المؤثرة" ياسرُ الصوفي من ذوي المعتقلين.

"كنا عم نقول السعودية، اليوم عم نلاقي السعودية أكثر دولة متحمسة للتطبيع مع النظام للأسف، لكن يعني يمكن حاليا بالساحة ما في غير قطر وتركيا ممكن التعويل لها لدولتين هي مشان إيجاد حل لها لقضايا منها قضية المعتقلين" عبدُ القادرِ جيك، أخُ معتقل.

من **الورقةِ التوجيهيةِ54** للمفوضيةِ الساميةِ لحقوقِ الإنسانِ في الجمهوريةِ العربيةِّ السوريةِ تحت عنوان " الحقُّ في المعرفةِ وقضيةُ الأشخاصِ المفقودينَ في الجمهورية العربية السورية" الصادرةِ في آب 2022 الفقْرةُ التاليةِ:

"الحقُّ في المعرفِة في سياقِ الجمهورية العربية السورية"

في الجمهورية العربية السورية، من الواضحِ أنّ هناكَ حالاتٌ ينطبقُ فيها كلٌّ منَ الحقِ في معرفةِ مصيرِ المفقودينَ وأماكنِ وجودِهم بموجبِ القانونِ الدوليِّ الإنسانيِّ والحقِّ في معرفةِ الحقيقةِ بموجبِ القانونِ الدولي لحقوقِ الإنسان. وينبغي أخذُ كِلا الحقينِ بالاعتبارِ عندَ معالجةِ قضيةِ المفقودين. ويحقُّ للضحايا في الجمهوريةِ العربيةِ السورية، سواءٌ كانوا من الناجينَ أو من أهالي المفقودين، معرفةُ المعلوماتِ التالية:

• كيفَ يَبلُغُ فقدانُ الشخصِ مُستوى الانتهاكِ أو كيفَ ساهمَ الانتهاكُ في فقدانِ الشخصِ، مع مراعاةِ آثاره المختلِفةِ على الجنسين؟

• ما الذي حدثَ للشخصِ المفقودِ (هل هو على قيدِ الحياةِ ومحتجزٌ أو فارقَ الحياة) وهل حصلَ أيُّ انتهاكٍ آخرَ لحقوقِه منذُ الإبلاغِ عن فقدانه؟

أين يوجدُ الشخصُ المفقود، أو إذا كان قد تُوفي، أين هي رُفاتُه؟

- متى فُقِدَ الشخص؟
- أين فُقد الشخص؟

ما هي الظروفُ التي أدَّتْ إلى فقدانِ الشخصِ أو بقائِه في عدادِ المفقودين؟

- **من كان متورطاً في فقدانِ الشخص؟**
- **هل أُجريَ تحقيقٌ بهذا الشأن؟ وإذا كانَ الأمرُ كذلك، فما هو وضعُ التحقيقِ أو نتائجُه؟**

- **إذا توفي الشخص، هل أعيدت رفاته إلى أسرته؟**

يمثلُ إعمالُ الحقِّ في معرفةِ الحقيقةِ جزءً لا يتجزأُ من عمليةِ المحاسبةِ التي تُركزُ على الضحايا والناجين. وهو يرتبطُ ارتباطاً وثيقاً بواجبِ الحكومةِ السوريةِ في حمايةِ حقوقِ الإنسان وضمانِها. وأخيراً، يساعدُ التكاملُ بين مختلفِ السبلِ التي تسهمُ في تحقيقِ ذلك الهدف، حيثُ تَركزَ إعمالُ هذا الحقِ على ضمانِ عملياتِ المساءلةِ الجنائيةِ على إثباتِ المسؤوليةِ الجنائيةِ الفرديةِ، مما يسهمُ في الكشفِ عن معلوماتٍ متصلةٍ بالأشخاصِ المفقودينَ إلا أنهُ لا يحددُ دائماً ما حدثَ لهم بالفعل.

للناجياتِ منَ الاعتقالِ كلُّ الحقِّ في تحقيقِ العدالةِ ومحاسبةِ مرتكبي انتهاكِ الاعتقالِ في سوريا. فهنَّ شاهداتٌ على انتهاكاتٍ جسديةٍ ونفسيةٍ مُورسَتْ في المعتقلاتِ والسجون، وهنَّ يُردْنَ أن تُحكَى حكايَتُهن لتكونَ وثائقَ على عنفِ وإرهابِ أقبيةِ النظام، ليسَ فقط من أجلِهن، بلْ من أجلِ كلِّ المعتقلاتِ والمعتقلينَ الذين مازالوا في ظلماتِ السجون.

"في سجن عدرا المركزي، كنتُ أحملُ دفتراً صغيراً، دونْتُ فيه أحلامي، طموحاتي، وكتبتُ عن معاناةٍ عشتُها أنا وعشراتٌ من نساءٍ أخرياتٍ في زنزاناتِ النظام، كان لَدَيَّ ذلكَ الأملُ بأنني سأخرجُ، وأروي حكايتي، حكايتي ستُدينُ جرائمَ النظام، حكايتي حقٌّ وحقيقةٌ، والحقيقةُ لا تموت" وفاءُ نجيب، ناجيةٌ من الاعتقال.

الناجياتُ اللواتي أجريْنَا معَهن المقابلةَ قُلْنَ بأنهن لم يتعرضْنَ لفعلِ الاغتصاب، ولكنْ تمَّ تهديدُهنَّ بالاغتصاب، كما أنهنَّ سمِعْنَ كلاماً بذيئاً بحقِّهن. وتعرضْنَ للإهانةِ والتفتيشِ بصورةٍ لا إنسانية. في تقاريرَ أخرى ذكرتْ أن مليشياتِ وقواتِ النظامِ قامَتْ بفعلِ الاغتصابِ على النساءِ المحتجزات.

نُورد من تقريرِ اللجنةِ الدوليةِ المستقلةِ المعنيةِ بسوريا بعام 2018 [فقدْتُ كرامتي55] الفقرةُ /29/ من الصفحة /16/ **" ومنذُ لحظةِ القبضِ وطوالَ فترةِ الاحتجازِ خضعَتْ كثيرٌ منَ النساءِ والفتياتِ إلى أنواعٍ مختلفةٍ من العنفِ الجنسي، بما في ذلك الاغتصابُ والتعذيبُ الجنسيُّ والاعتداءُ الجنسي والإذلال. وأَبلغَتْ معظمُ اللواتي تمتْ مقابلتُهن عن بعضٍ من هذه الانتهاكاتِ مجتمعة. وفي حينِ أن الضحايا كانوا من النساءِ البالغاتِ في معظمِ الحالاتِ ويتراوح عمرُهن بين /18/ ثمانِ عشْرَ سنةً و/45/ خمسٍ وأربعين سنةً، فقدْ وثقَتِ اللجنةُ أيضاً اغتصابَ عدةِ بناتٍ أصغرُهُن في التاسعةِ من عمرِها، والاعتداءُ الجنسيُّ والإذلالُ للنساءِ المسنات.**

وفي إحدى المناسباتِ تم اغتصابُ نساءٍ حواملَ أيضاً، بما في ذلكَ امرأةٌ كانتْ في شهرِها السابعِ منَ الحملِ وأخرى في المراحلِ الأولى من الحملِ وأجهضّتْ بعدَ ذلك".

العدالةُ للناجياتِ ومحاسبةُ منتهكي جرائمِ الاعتقالِ أمرٌ تنشُدُهُ كلُّ الناجياتِ من الاعتقال، وهنَّ يُردْنَ عدالةً تصونُ الكرامةَ، عدالةٌ تكونُ قادرةً على جبرِ ضررِهن النفسيِّ والجسديِّ والماديِّ، عدالةٌ تحاسبُ كلَّ مرتكبي جرائمِ الانتهاكِ بحقِّهن. هنَّ جاهزاتٌ ومستعداتٌ للمشاركَةِ في كلِّ عملياتِ العدالةِ والمحاسبةِ للوصولِ إلى الحقيقة، ولكنْ يحتاجُ ذلكَ زوالَ النظامِ أولاً ووجودَ حلٍّ سياسيٍّ وبيئةٍ آمنةٍ لا تنتهكُ فيهِ حقوقِهن مرةً ثانية.

تقولُ رويدةُ كنعان عن تحقيقِ العدالةِ للناجيات: " عندَ الحديثِ عن تحقيقِ العدالةِ سواءٌ للناجياتِ أو لمن مازالوا بالسجونِ والمعتقلات، فهذا الحديثُ لا يكونُ إلا بزوالِ هذا النظام، ومع وجودِ حلٍّ سياسيٍّ حقيقيٍّ يضمنُ عدمَ تكرارَ عملياتِ الاعتقال، وعدمَ انتهاكِ حقوقِ الناجياتِ مرةٍ ثانيةٍ. العدالةُ تتحققُ بمحاسبةِ كلِّ مرتكبي جرائمِ الانتهاك". "

محاسبةُ مرتكبي جرائمِ الاعتقالِ في سوريا، عمليةٌ معقدةٌ. حقيقةً في مرحلةِ العدالةِ الانتقاليةِّ، أنا لن يكونَ لَدَيَّ ثقةٌ بالقضاءِ الوطني، أو بمعنى آخر بذُيولِ هذا القضاءِ الوطنيِّ الذي سكَتَ عن كلِّ الانتهاكاتِ السابقةِ وكانَ حتى مشاركاً فيها،

ولكنْ لا يعني هذا فقدانِي لكلِّ الثقةِ بالمطلق، لذلك فأنا أُفَضِّلُ في حالِ وصولِنَا لمرحلةِ الانتقالِ السياسيِّ والعدالةِ الانتقاليةِ والوصولِ للمحاسبةِ أن يكونَ هناكَ قضاءٌ مختلطٌ تحتَ إشرافٍ أممي" رأيُ رويدةَ كنعان عن آليةِ المحاسبةِ لتحقيقِ العدالة.

استهدفَتْ منظماتُ المجتمعِ المدنيِّ قضيةَ الاعتقالِ والإخفاءِ السوريةً في مشاريعِها وبرامجِها، ولا سيما تلك العاملةُ في تركيا، إذ يتواجدُ أكبرُ عددٍ للاجئات/ين في تركيا.

أغلبُ مشاريعِ المنظماتِ ركزَتْ على رفعِ وعيِ أهالي ضحايا الاعتقالِ بحقِّهم القانونِيِّ في المطالبةِ بأبنائِهم وذويْهم المخفيينَ قسراً، وتوعيتِهم بقوانينِ حقوقِ الإنسانِ والقانونِ الدولي، وقامَتِ المنظماتُ بعملياتِ توثيقِ وجمعِ الأدلةِ متأملةً أن يساهِم ذلك في عملياتِ المحاسبةِ والوصولِ للعدالةِ في سوريا.

تمكنَتْ منظماتُ المجتمعِ المدنيِّ من تنظيمِ أهالي المعتقلات/ين في روابطَ وتجمُّعات، ضمتْ هذه التجمعاتُ أهالي المعتقلات/ين والمفقودات /ين في سوريا من قِبَلِ كافةِ أطرافِ النزاعِ في سوريا، وتمكنَتْ بعضُ تلك التجمعاتِ من أن تصبحَ بحدِّ ذاتِها منظماتٍ مدنيةً لها هيكليتُها، وبعضها كانَ فاعلاً في الاجتماعاتِ والمؤتمراتِ الأمميةِ المنعقدةِ من أجلِ قضيةِ الإخفاءِ السورية. ونذكرُ من هذه التجمعاتِ والروابط:

عائلاتٌ من أجلِ الحرية56، جمعيةُ عائلاتِ قيصرَ بألمانيا، رابطةُ معتقلي ومفقودي سجنِ صيدنايا57، مسارُ58 (تحالُفِ أُسر الأشخاصِ المختطفينَ لدى تنظيمِ الدولةِ الإسلامية)، مكتبُ شعاعِ الأمل.

ولكن تعاني منظماتُ المجتمعِ المدني السوريةُ من جملةٍ منَ الصعوباتِ والتحدياتِ التي تقفُ عائقاً في فاعليَّتِها في ملفِّ الاعتقال، يأتي على رأسها عدمُ وجودِ حلٍّ سياسيٍّ للقضيةِ السوريةِ حتى اللحظةَ، وبقاءُ ملفِّ المعتقلات/ين مُعلَّقاً حتى اليوم دونَ حل، كما أن صعوباتِ التمويلِ، ومساحاتِ العملِ الضيقة، وقلةَ وجودِ الكوادرِ المؤهلةِ وغيرِها كانت عوائقَ وصعوباتٍ في وجهِ المنظمات.

" صعوباتٌ تتعلقُ بالتمويل، حتى تستمرَ المنظماتُ في عملِها فإنها بحاجةٍ إلى التمويل، وغالباً ما يوجدُ صعوباتٌ في الحصولِ على التمويلِ والدعمِ الماديِّ لتنفيذِ مشاريعَ هدفُها دعمُ قضيةِ الإخفاءِ القسريِ في سوريا. وأشيرُ إلى أننا نَفَّذْنَا العديدَ من الحملاتِ والمشاريعِ بشكلٍ تطوعي، ولكنْ هناكَ برامجُ أو مشاريعُ تحتاجُ مثلاً تقديمَ الدعمِ الطبيِّ والحقوقيِّ والإغاثيِّ لأهالي ضحايا الاعتقالِ، والناجياتُ/ونَ بحاجةٍ إلى تمويلاتٍ ماليةٍ ولوجستية.

أيضاً يمكنَ أن أضيفَ بأنه بات يوجدُ الآن عشراتُ المنظماتِ السورية، المهتمةِ بقضيةِ الإخفاءِ والاعتقالِ القسريِّ في سوريا،

ولكن لا يوجدُ تشبيكٌ وتعاونٌ حقيقيٌّ بينها،الأمرُ الذي قد يجعلُ هناك تكراراً للمستفيدينَ أو للأنشطة، أو تكراراً للأسماءِ المُوثَّقة، وبالتالي هذا بدورِه قد يُعيقُ من فاعليةِ المنظماتِ في ملفِّ الاعتقال. إنه من المهم جداً وجودُ بياناتٍ " داتا" واحدة، ومن المهمِ أن تتقاسمَ المنظماتُ الأنشطةَ والمشاريعَ حتى نبتعدَ عن التكرارِ ويتسعَ نطاقُ وعددُ المستفيدات/ين.

وجودُ كوادرٍ سوريةٍ مؤهلةٍ ومختصةٍ وذاتُ خبرةٍ في القوانينِ الدوليةِ وقوانينِ حقوقِ الإنسان، أَعتبرُه صعوبةً وعائقاً هاماً، فنحن السوريات/ين جميعاً كنا مُبعَدينَ وبصورةٍ مقصودةٍ ولفتراتٍ طويلةٍ عن فَهمِ القوانينِ الدوليةِ وعن فهمِ ما كان يقومُ به النظامُ السوريُّ من انتهاكاتٍ لحقوقِ الإنسان. أغلبُ خبراتِنَا في هذا المجالِ اكتسبْنَاها منَ العملِ الميداني وعلى الأرضِ بعدَ عامِ 2011.

من أهمِّ الصعوباتِ والتحديات، هي وصولُ أغلبُ أهالي الضحايا والناجيات/ين منَ الاعتقالِ إلى مرحلةِ اليأسِ من حلِّ ملفِّ المعتقلات/ين في سوريا، وباتوا يشعرونَ بالخُذلانِ منَ المنظماتِ ومنَ المجتمعِ الدولي، هذا الأمرُ جعلَ البعضَ منهم يُحْجِمُ عنِ المشاركةِ في أنشطةٍ أو مشاريعٍ خاصةٍ بقضيةِ الاعتقال، ويؤَثِّرُ ذلك في عملياتِ التوثيقِ أو البلاغاتِ أو المشاركةِ في مناصرةِ ملفِّ المعتقلات/ين.

مساحاتُ العملِ الضيقةُ والمحدودة، بمعنى أن المنظماتِ السوريةَ تعاني هي الأخرى من قيودٍ قانونيةٍ تُفرَضُ عليها في مناطقِ عملها، فمثلاً في تركيا نحن نعملُ تحت شروطٍ ماليةٍ وقانونيةٍ تفرضُها الحكومةُ التركية، هذه الشروطُ تصبحُ أحياناً صعوباتٍ وعوائقَ، أما حالُ المنظماتِ السوريةِ في الداخلِ فهو أصعب، لأن المنظماتِ في الداخلِ تخضعُ لسلطاتِ الأمرِ الواقعِ التي قد تكونُ معيقاً هي الأخرى، وخاصةً معَ النساء. هذا كما أن هناك صعوبةٌ فائقةٌ في وصولِنَا لأهالي الضحايا في المناطقِ الخاضعةِ لسيطرةِ النظام، هؤلاء الأهالي يخافونَ التوثيقَ والإبلاغَ والمشاركةَ في قضيةِ الإخفاءِ السورية.

نعم نحن كمنظماتٍ سوريةٍ عملْنا على التوثيقِ وجمعِ الأدلة، قُمْنَا برفعِ الوعيِ القانونيِّ لأهالي الضحايا، استطعْنَا تقديمَ الدعمِ النفسيِّ للناجيات/ين منَ الاعتقال، تَمكنَّا منَ استصدارِ بياناتٍ وعملِ حملاتِ مناصرةٍ لحلِّ ملفِّ المعتقلات/ين، سلَّطْنَا الضوءَ على المعاناةِ الكبيرةِ للأهالي وللناجيات/ين، قدَّمْنا دعماً سريعاً وعاجلاً ومؤقتاً منَ الناحيةِ الصحيةِ والطبيةِ وغيرها، ولكنَّنا ليسَ لدينَا صلاحياتٍ قانونيةٍ رسمية، أي أننا مثلاً غيرُ قادرينَ على استصدارِ أوراقٍ قانونيةٍ أو ثبوتيةٍ لأهالي الضحايا مثلَ شهاداتِ الميلادِ أوِ الوفاةِ أوِ الزواجِ وغيرها.. نحنُ ليس لدينا الصفةَ الشرعيةَ التي تخوِّلُنا مخاطبةَ النظامِ المتهمِ بإخفاءِ واعتقالِ الآلافِ من السوريات/ين، نحن أقربُ للوسيطِ بين المجتمعِ الدوليِّ وأهالي الضحايا.

أودُّ أن أشيرَ لنقطةٍ هامةٍ جداً، أن المنظماتِ والهيئاتِ والمؤسساتِ الدوليةَ والأمميةَ، التي تُعنَى بقضايا الإخفاءِ القسريِّ وانتهاكاتِ وجرائمِ الاعتقال، لا تحاولُ بصورةٍ جديةٍ التواصُلَ معَ المنظماتِ السورية، فنحنُ غالباً من نبحثُ عنها ونعملُ على إيجادِ قنواتِ تواصلٍ معها" أملُ النعسان، محاميةٌ، مديرةُ مركزِ أملَ للمناصرةِ والتعافي.

" الفيتو الروسي"، عقبةٌ كبيرةٌ في وجهِ أيِّ قرارٍ أو عملٍ يُدينُ جرائمَ النظامِ السوري، ويبدو أنَّ المجتمعَ الدوليَّ لا يسعى للحلِّ في سوريا بقدْرِ ما يديرُ النزاعَ والصراعَ فيها.

" إن عدمَ فصلِ المسارِ الإنسانيّ عن السياسيّ وضعَنا أمامَ تَحَدٍّ للعملِ على خلقِ آليةِ زخمٍ دوليٍّ بالتواصلِ مع صناعِ القرارِ الدوليين، حولَ مجموعةٍ منَ المطالبِ المُلِحَّةِ بالتعاونِ مع بعضِ مؤسساتِ المجتمعِ المدني، وأهمُّها إصدارُ قرارٍ من مجلسِ الأمنِ للأممِ المتحدةِ تحتَ الفصلِ السابع، الذي يمنحُ اللجنةَ الدوليةَ للصليبِ الأحمرِ الوصولَ الفوريَّ والكاملَ وغيرَ المشروطِ إلى جميعِ مراكزِ الاعتقالِ (بما في ذلك الرسميةُ وغيرُ الرسميةِ) من دونِ إخطارِ النظامِ السوريِّ، لكنَّ عطالةَ مجلسِ الأمنِ وتقييدهُ بالفيتو الروسي حالَ دونَ ذلك. واستمرَّيْنا بالعملِ للوصولِ لعقدِ مؤتمرٍ دوليٍّ للمعتقلين، بدعمٍ دوليٍّ وبمشاركةِ السوريين، من جميعِ المساراتِ السياسية، والحقوقيةِ، وروابطِ الضحايا، ويتمُ رفعُ توصياتِ المؤتمرِ لمجلسِ الأمنِ الدولي،

لتحصيلِ قـرارٍ مُلـزِمٍ يَنـصُّ علـى إيجـادِ حـلٍّ للقضيـة، بالإفـراجِ عـنِ المعتقليـنَ وضـرورةِ تشـميلِهم فـي عمليـةِ السـلام، لأهميـةِ تأثيرِهـم الهـام علـى فعاليتِها ومصداقيتِها، ولكـنَّ الاسـتئثارَ الروسـيَّ بـإدارةِ العمليـةِ السياسـية، أعـاقَ الوصـولَ لهـذا المؤتمـر" أليـسُ مفـرج، مـن ورقتِها البحثيـة.

ذَكرْنَا فـي مقابلَتِنَا مع السيدةِ أليـسَ مفرج مـا كتبتْه فـي ورقتِها البحثيـةِ مـن حلـولٍ عمليـةٍ لقضيـةِ الاعتقالِ السـورية، هـذه الحلـولُ التـي تتطلـبُ بدايـةً، بيئـةً آمنـةً ومسـتقرةً يتـمُّ الوصـولُ إليهـا بالحـلِّ السياسـيِّ للقضيـةِ السـورية.

صدرَتْ عشراتُ القراراتِ والتوجيهاتِ والأوراقِ الأمميـةِ المؤكدةِ على حـلِّ قضيـةِ الإخفـاءِ القسـريِّ فـي سـوريا، ولكـنْ حتـى اللحظـةَ لـم يتـم تطبيقُها أو العملُ بها ولم نلمَس لها أيَّ نتائـجَ، إذ ما يـزالُ النظامُ السـوريُّ يحتجـزُ مئاتِ الآلافِ دونَ الإفصـاحِ عـن مصائِرِهـم كأدنـى حـدّ.

فـي منتصـفِ هـذا العـامِ صـدرَ قـرارٌ بتشـكيلِ **مؤسسـةٍ دوليـةٍ جديـدةٍ لاسـتجلاءِ مصيـرِ المفقوديـنَ والمغيبيـنَ قسـراً فـي سـوريا وأماكـنِ وجودِهـم وتقديـمِ الدعـمِ للضحايـا وأسـرِهم، ويأمـلُ الجميـعُ الناجيـات/ ين وأهالي ضحايا الإخفـاءِ القسـريِّ والمنظمـاتِ والناشـطينَ والعامليـنَ والمهتميـنَ بقضيـةِ الإخفـاءِ السـورية، أن تكـونَ هـذه المؤسسـةُ الجديـدةُ قـادرةً علـى أن تكـونَ بدايـةً للحـلِّ فـي ملـفِّ الإخفـاءِ القسـريِّ فـي سـوريا.**

الحديثُ عن سرديةِ الاعتقالِ في سوريا، يَحتمِلُ حقيقةً كلاماً وحديثاً طويلاً، نتمنى أن نكونَ في هذا الكُتيِّبِ الصغيرِ قد شكَّلنَا صورةً عن واقِعٍ من القمعِ والترهيبِ والسجنِ لكل رأيٍ مخالفِ أو مُعارضٍ للنظامِ الأسدي، واقعٌ عايشَهُ السوريات/ينَ لأكثرَ من نصفِ قرن.

صورة من حملة #نحن_ صوتكم لمركز أمل للمناصرة والتعافي

المراجع

1- الاتفاقية الدولية لحماية جميع الأشخاص من الاختفاء القسري، قرار الأمم المتحدة رقم 133/47 بتاريخ 23 كانون الأول/ديسمبر 2010.

2- ويكبيديا، الأنظمة الشمولية.

3- الشبكة السورية لحقوق الإنسان، التقرير السنوي الحادي عشر عن الاختفاء القسري في سوريا، ص 7.

4- Mass Graves Identified In Syria Could Hold Evidence Of War Crimes, The New York Times

5- أليس مفرج، ورقة بحثية، " المحاسبة للجميع والعدالة للجميع، ص 4.

6- ويكيبيديا، مجزرة سجن صيدنايا.

7- ويكبيديا، أحداث الأزمة السورية.

8- Fanar Turk، الهلال الأحمر التركي وبرامج دعم اللاجئين.

9- سميح شقير، أغنية " ياحيف".

10- منظمة العفو الدولية، تقرير " انه يحطم انسانيتك، ص 37.

11- منظمة العفو الدولية، تقرير " انه يحطم انسانيتك" ص 40

12- ويكيبيديا، فرع فلسطين.

13 - موقع اليوم التالي، عباس الموسى، الولاية العالمية للقضاء الوطني: محكمة كوبلنز.

14- موقع الحركة السياسية النسوية، رويدة كنعان، محكمة كوبلنز لن تكون الأخيرة.

15- موقع الحركة السياسية النسوية، رويدة كنعان، النسوية نمط حياة.

16- رابطة معتقلي ومفقودي صيدنايا، الهيكلية الإدارية لسجن صيدنايا وعلاقته التنظيمية.

17 منظمة العفو الدولية، بحث "المسلخ البشري"، ص 30.

18- منظمة العفو الدولية، بحث "المسلخ البشري"، ص 33.

19- رويترز، Exclusive: Syrian regime organized feared ghost militias, war crimes researchers say

20- موقع Swissifo.ch، حصري- باحثون في جرائم الحرب: النظم السوري هو الذي أنشأ مليشيات الشبيحة.

21- موقع حكاية ما انحكت، عمر يوسف سليمان، حاجز القطيفة، كابوس السوريين.

22- موقع حكاية ما انحكت، عمر يوسف سليمان، حاجز القطيفة، كابوس السوريين.

23- موقع الجمهورية، ياسين الحاج صالح، أركان التغيب القسري الثلاثة وجوهره.

24- رابطة معتقلي سجن صيدنايا، الاحتيال والابتزاز المالي لأهالي المعتقلين والمخفين قسريا- دليل حماية.

25-الشبكة السورية لحقوق الانسان، أنواع الحواجز التي استخدمها النظام السوري في حصار واعتقال المواطنين، ص3.

26- رابطة معتقلي سجن صيدنايا، الاحتيال والابتزاز المالي لأهالي المعتقلين والمخفين قسريا- دليل حماية.

27- موقع رابطة معتقلي سجن صيدنايا، الاحتيال والابتزاز المالي لأهالي المعتقلين والمخفين قسريا- دليل حماية، دياب سرية.
28-مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، - Living under Siege The Syrian Arab Republic، ص7.
29-موقع الجمهورية، عبد الباسط الساروت.
30- التلغراف، Syrian regime burned 'thousands' of bodies at crematorium to hide scale of slaughter, US diplomat reveals
31-موقع الجمهورية، سراقب جران الشمال العالية، صادق عبد الرحمن.
32-منظمة العفو الدولية، وثيقة تحرك عاجل -فقدان كاتب سوري، ويخشى أنه قد تعرض للاعتقال.
33-ويكبيديا، حزب الإرادة الشعبية.
34-موقع ألف، مقالات جهاد أسعد محمد.
35-مسلسل طريق النحل.
36- رئيس تحرير صحيفة قاسيون يتحدث لقناة روسيا اليوم، https://www.youtube.com/watch?v=YkPAIdu0E4o
37- تدريب ناجيات سوريات لإطلاق حملة مناصرة #اسمعونا، https://www.youtube.com/watch?v=bkEejw4Johg
38- حملة مناصرة بعنوان حي أريد أن أراه ميت أريد جثمانه، https://www.youtube.com/watch?v=N4pKz9SmhYM

Legal rights for women of missing persons in Syria، -39
https://www.youtube.com/watch?v=tJcdOzmW_TY
The National، 'Assad wants them to die of موقع -40
coronavirus,' say families of Syria's missing، Liz Cookman
Les familles de prisonniers syriens ،صحيفةِ لوموند الفرنسية -41
face au virus du silence، Annick Cojean
42-موقع الشرق نيوز، أمهات وزوجات المفقودين ألم حتى الثمالة يحدوه الأمل، وردة الياسين.
43- أليس مفرج، ورقة بحثية تحت عنوان " المحاسبة للجميع والعدالة للجميع.
44- الجمعيةُ العامةُ للأممِ المتحدةِ، قرار رقم 79.L/77/A.
45-الجمعية العامة للأمم المتحدة، قرار رقم 248/71/A/RES
/https://iiim.un.org/ar -46
https://syrianwomenpm. ،47-موقع الحركة السياسية النسوية
/a7%d8%86%d9%86%d9%b9%org/ar/%d8
48-موقع الحركة السياسية النسوية، رويدة كنعان، النسوية نمط حياة.
49-موقع مجلة صور، مجلة صُوَر تحاور عضو هيئة التفاوض لقوى الثورة والمعارضة السوريّة أليس مفرج.
/https://kassioun.org ،50-جريدة قاسيون الموقع الرسمي
51- ويكبيديا، حزب الإرادة الشعبية.

52-موقع الأمم المتحدة/حقوق الإنسان، نبذة عن الاحتجاز التعسفي.

53-الفصل الخامس، حقوق الإنسان والاعتقال والاحتجاز السابق للمحاكمة والاحتجاز الإداري، ص157.

54- المفوضية السامية لحقوق الإنسان في الجمهورية العربية السورية، الحق في المعرفة وقضية الأشخاص المفقودين في الجمهورية العربية السورية، آب/أغسطس 2022، ص5.

55- تقرير" فقدت كرامتي": العنف الجنسي والجنساني في الجمهورية العربية السورية، الفقرة 29 من الصفحة /16/.

56-موقع عائلات من أجل الحرية، https://syrianfamilies.org/ar/

57-موقع رابطة معتقلي ومفقودي سجن صيدنايا، https://www.admsp.org/

58-موقع مسار (تحالف أُسر الأشخاص المختطفين لدى تنظيم الدولة الإسلامية)، https://massarfamilies.com/

المحتويات

مقدمة 10

سردية الاعتقال والإخفاء القسري في سجون النظام السوري بعد عـــــام 2011 13

الفصل الأول: الناجيات من الاعتقال 22

وفاء نجيب 23

أم عمر 29

عبير 40

رفيدة زيتون 48

نور العمر 54

رويدة كنعان 66

هبة رمضان 75

الفصل الثاني: أهالي المعتقلين 80

إسراء 81

أم ياسر 87

حنان 91

بسمة الرفاعي 94

عبد القادر جيك 104

أم عبدو 112

أم إبراهيم 121

عبد القادر جميل 129

أم المعتقل 132

أبو النور الشالة 139

أم رفيق 143

أبو محمد 154

ياسر الصوفي 158

رسمية (أم عبدو) 164

أمل السلامات 170

أم صلاح 186

الفصل الثالث: منظمات المجتمع المدني العاملة على قضية المعتقلات/ين 192

مقابلة مع المحامية أمل النعسان 193

الفصل الرابع: مقابلة مع أليس مفرج 207

ملخص السردية 221

المراجع 245

عن هذه السردية:

هذه السردية، حكاياتُ الناجياتِ السورياتِ منَ الاعتقال، يَروين فيها صَبْرَهُنّ في زنازينِ النِّظام، يَحكِينَ أياماً عايَشْن فيها الخوفَ والقلقَ والضّغطَ النّفسيّ، وحُلمهُنَ بالخلاصِ من عَتمةِ المنفرداتِ وأنينِ الألمِ المحيطِ بِهِنَّ في أقبيةِ الأفرعِ الأمنية. حَدَّثَنا الناجياتُ عن مُواجَهَتِهِنَّ لظروفٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ ونفسيةٍ صعبةٍ بعدَ خُروجِهِن من السجن، ومِنْ ثم يذهبْنَ إلى منظُورِهِن ورُؤيتِهن في العدالةِ التي يُرِدْنَها لأنفُسِهن ولِغيرِهِن منَ المعتقلاتِ والمعتقلين، وتَصَوُّرِهِن لِآلياتِ محاسبةِ منتهكي جرائمِ الاعتقال.

وحَدَّثَنا أهالي المعتقلينَ والمخفيينَ قسراً فيها عن بحثٍ يَلُفُّهُ اليأسُ من سماعِ خبرٍ ولو بسيطٍ عن ذويهِم وأبنائِهم المعتقلين، وعن تَعَرضهم للتهديدِ والابتزازِ وللخساراتِ الماديّةِ الكبيرة. يُخبِرُنَا الأهالي عن آثارَ صعبةٍ عاشُوها ولا سيما زوجاتِ المعتقلينَ وأولادُهُنَّ، تلك الزوجاتُ اللواتي عايَشْن ضغوطاً اجتماعيةً واقتصاديةً ونفسيةً قاسيةً رَتَّبَها عليهِنَّ غِيابُ الزّوجِ والمعيلِ وانقطاعُ أيِّ خبرٍ عنه. يَحكي لَنا أهالي المعتقلينَ خيباتِهم من وجودِ حلٍّ لملفِّ المعتقلاتِ/ ينَ في سوريا، وبعضُهم يقطعُ أيَّ أملٍ بالوصولِ إلى معرفةِ الحقيقة.

ضمنا في هذه السردية التحدياتُ والصعوباتُ التي تواجِهُها المنظماتُ السوريةُ العاملةُ على ملفِ المعتقلات/ين، وهل استطاعتِ أنْ تنجحَ في مناصرَتِها لقضيةِ الاعتقالِ في سوريا، وهلْ قَدمَتِ الدعمَ الكافيَ لأسرِ الضحايا والمعتقلين؟

وكي نَستقرِئَ مسارَ ملفِّ المعتقلاتِ/ينَ والمفقوداتِ/ينَ في سوريا في أروقةِ الأممِ المتحدة، ونقفَ على نجاعةِ القراراتِ الأمميةِ الصادرةِ بحقِّ قضيةِ الاعتقالِ السورية، ونرسمَ تصوراتٍ وخططاً عمليةً تساهِمُ في الوصولِ إلى الحقيقةِ والعدالةِ والكشفِ عن مصيرِ المعتقلات/ين والمفقودات/ين في سوريا، كان لَنا مقابلةٌ مع أليس مفرج، مسؤولة لجنة المعتقلات/ين والمفقودات/ين في هيئة التفاوض السورية.